

مملكة في الميزان

مملكة الحجاز

دمشق

بغداد

عمان

خليج الفارسي

الرياض

المدينة المنورة

مكة
الفاطمة

عمان

صنعاء

عمارة

خليج عدن

محمد السوادى

مصر

2274
.857335
.361

2274.857335.361

al-Sawadi

Mamlakah fi al-mizan

DATE	ISSUED TO
OCT 27 1960	Bindery
NOV 16 1960	J. ROUMANI G

2274.857335.361

al-Sawadi

Mamlakah fi al-mizan

DATE	ISSUED TO
OCT 27 1960	Bindery
NOV 16 1960	J. ROUMANI G

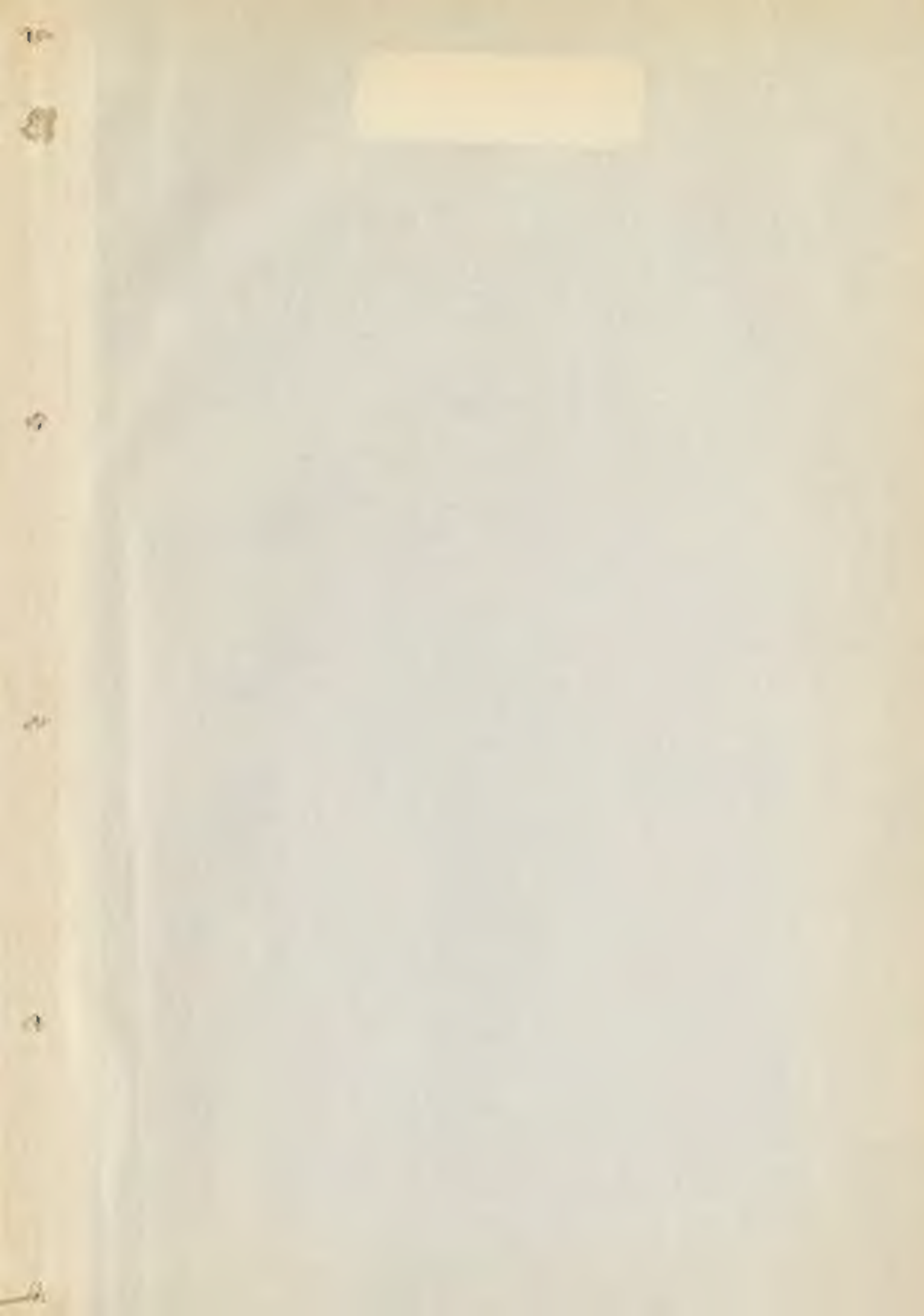
DATE ISSUED DATE DUE DATE ISSUED DATE DUE

NOV 16 MAY 31 61

Princeton University Library



32101 074326503



مِلْكَةٌ فِي الْمِيزَانِ

Mamlakat

بمِثْلِهِ

مُحَمَّدُ السَّوَادِي

١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م

الثنى ٢٥

مكتبة

الكتاب

الكتاب

الكتاب

الكتاب

تقرير وإهداء

من اثني عشر عاماً .. أصدرت كتابي الأول : (البرلانه في الميزانه)
وفكرت فيمن أهدى إليه تلك الباكورة من نتاجي فساءلت
نفسى يومئذ :

- « من الرجل الذى أذكر مصر وأتطلع إليه .. فلا يختلف
الساسة عليه .. ولا يختلف المواطنون ؟ »
وأجبت عن التساؤل قلت :

- « أنا لا أعرف بين الأحياء رجلاً يتعقد عليه مثل هذا الإجماع ..
ولكنى أعرف معنى .. أكثر فى الجلال من الرجال .. معنى يتعقد
عليه إجماع الأحرار ، ويقتدونه بكل مرتخص وغال » .

أثبتت هذه الإجابة الجريئة وكنت أتحدث عن بلادى .. وفيها
مساسة وزعماء .. وكنت منتسباً إلى حزب .. وكان الحزب حاكماً ..
وكنت أعمل فى جريدته ناقداً .. فلم أبال أن أقول لهم .. إنى لم أجد
من بينهم ذلك الرجل الذى رسمته لأهداني وإهدائي .. وإنما وجدت
المعنى الأكثر فى الجلال من الرجال .

وعنيت : « حرية الرأي » .

ولمى هذه الحرية .. أهديت ذلك الكتاب .

...

2274

857335

361

والآن وكتابي الجديد « مملكة في الميزان » يتخطى حدود مصر
إلى صميم العروبة .. أليس من حق أن أعيد بعد الستين سؤالاً القديم
في زيه الجديد :

— من الرجل الذي أذكر العروبة وأنطلق إليه .. فمن يختلف أحرار
الساعة من يفرها على أهرافه وصفاته .. ولا يختلف بنو العروبة جميعاً على
الرجاء المفقود على ذاته وإمكاناته ؟

وجوابي أيها الرفاق أني أرتو من سنين وسنين .. إلى أمنية كانت
تبدو للكثيرين بعيدة المثال .. وكنت أراها بعين البصيرة مقبلة في
الطريق .. تحجبها عن العيون طبقة من السحاب غير الطبيعي .. صنعها
يد المستعمر .. ولم تصنعها يد الله

وعنيت بالأمنية « العروبة العربية » .. عنيتها مفهومة ومرسومة
في « ولادات عربية متغيرة »

ولكن الفارق أني في كتابي الأول .. وجدت في « مربية
الرأي » المعنى الضارب في الجلال ولم أجد الرجال .. أما في كتابي
هذا .. فقد وضعت يدي على « الأمنية والرجل » .. وضعت يدي
على الأمنية « بإيماني » .. فتخذت منها مثلاً أعلى لن أحيد عن الدعوة
إليه حتى يتحقق .. ووضعت يدي عليها « بكتابي » كحلقة أولى في
سلسلة جهودي نذرتها لله ولهذا المثل .. ووضعت يدي على الرجل الذي
هياته الأقدار للنهوض بالعبء قهياً .. وجدته نتيجة لدراسات صادقة
قمت بها في حدود ما أسمفتي الجهد والوقت والظرف المتاح .. وستلقاها

مبسوطة في هذا الكتاب .. ووجدته وقد بدأ يعمل فعلاً لهذه الوحدة ..
ولم تسلم مصر الحديثة بأن بين الحاكمين في أرجاء الشرق العربي من
يقوى على النهوض بالتبعة غيره .. جلالة ومهابة .. وإمكاناً وإيماناً ..
ووضوحاً وشرعاً .. فبايعته على أن تكون له الساعد الأيمن .

ومدت الرجل الذي لا يختلف أصرار الساسة على أهدافه وصفاته ..
ولم يختلف بنو العروبة جميعاً على ذاته وإمكاناته .

فدعوتني إذن أهدى إليه نفوراً هذا الكتاب الثاني من نتاجي .

محمد السوادى

My dear Mr. [Name]
I have just received your letter of the 10th inst.
and am glad to hear that you are well.
I am writing you a few lines to let you know
that I am still in the same old place.
I am not feeling very well at present,
but I am getting on my feet again.
I am sure you will be glad to hear from me.
I am, dear Mr. [Name], very truly,
Your friend,
[Signature]

تمهيد

« مملكة .. في الميزان » كتابي الثاني أسارع بوضعه وطبعه .. قبل أن أبلع الحسین من عمری .. وقيل أن يدوى هذا الرقم الخفيف في أذني . فأفص يدى من كل حق لى .. في التشبث بأذيال الشباب الذى ولى
و « البرلمان » . في الميزان » كتابي الأول . كما لا بد أن تذكر

أمد طويل مر بين الكتابين - وليته ما مر - خضاً حلاله عمار
الكفاح الصحى المرير . حافلاً بالآسى والمهارى والعطائ والعبر .. وطويلاً
في برديه - وليتنا ما طويلاً - برد الشباب التائر الحر .

° ° °

قد تذكر أنى كنت يوماً ناقداً للعوديين .
وقد يهتك وأنت بياض الكتاب أن تسأل عن موقفى الحالى من نقدى
القديم .. وعما إن كنت قد عدلت عنه أو ما أزال عليه المقيم ؟
والجواب تتولاه أنت عنى .. مقروبا بالأسباب . بعد أن تفرغ من
مطالعة الكتاب .

وكل الذى فى وسعى أن أقوله لك الساعة . أنى قدت المملكة العودية ..
أو قدت بعض الحاكمين من بضع سنين .. عندما كانت الأبناء والبيانات
تترامى إلى أذنى من أفواه الزائرين الذين يجيئون إلى دار السوادى ، ليقولوا
لنا .. ما طاب لهم !

وكنا يومئذ صحفيين ١٤ ، تلقى البيانات عطاشاً .. وتلقف الأبناء
جياحاً .. وثب بها إلى الصياغة سراعاً .. وتركس بها إلى جامع الحروف فى
أصيق الظروف .. لتطلع بها المطبعة على القارىء . فصولاً صافية .. تجتذب

عينه وتسيطر عليه . ولا عليا أن تثبتا الأيام أو تفنيا . ولا عليا إن
سكت المهتمون بها أو عضوا كل حرف فيها

تلك كانت - ولم تزل - حطة الصحافة مع الأسف الصحافة في مصر
على الأقل .. يسوعها في موازين الصحفيين ما يسمنه ، سبقا صحفيا .

وصدقني وقد يكون هذا نقصا في كصحي - أني لا أحترم هذا
اللون من السبق .. بعد أن ثبت لي أنه يتقاضى ثمنه في الأعلب الأعم
من جوهر الخلق

° ° °

وفي مثل هذه الأيام من عام . طاف بعاطفتي بداء علوي يدعوني دعاء
خفيا إلى حج البيت الحرام واقترت بذلك الداء الخفي .. أمية لي من
الآمان . أن أرى المملكة السعودية ، على الطبيعة ، بعيني . وأن أدرس
الأوصاع كما هي كائنة .. وأن أدرس النظم كما هي قائمة ، وأن أعرف
أهدافهم كما رسموها بأنفسهم لأنفسهم ، وأن أعرف معها انتمياتهم إليها ،
ومدى تأثير العروبة بها ، أو مدى تأثير العروبة فيها .

° ° °

ورأيت . ودرست .. وعرفت .. في حدود ما اتسع لي من الوقت ..
وهالني بعض ما رأيته أو درسته أو عرفته .. وليس بدى بال ، أن أعجل
بالإساءة والمسرعة ومن كان التعجيب بأيهما لونا من ألوان اللاعة .. وليس
بدى . ل أن أقول لك الآن إن كان قد هالني قبحا أو هالني حسنا ،
إنني ذو نال أن وقفت على حقائق اهتر لها مني الكيان فرأيت أن أبصر
بني قوى بها وأن أصع أعينهم عليها . وليروا مثلي ومعنى .. أن الأمر في هذه
المملكة لم يعد أمر حصول قصائد أو طوال ، يجري بها قلم سيال أو غير سيال ..
أو لم يعد أمر فلان من الثر وقصائد من الشعر ينثرها النافهون على رؤوس
الأمراء والوزراء .. كما لم يعد أمر الرحلة إلى باب الهجاء في الأدب القديم ..

يستعير منه الغاضبون ، أقدع فون السباب ، ينصبون لها انصباباً على رؤوس هؤلاء الأمراء والوزراء .

كلا يا أخى .

الامر أكبر وأخطر .. من كل شعر ونثر .. ومن كل حمد وذم . الامر — كما رأيته بعينى — أمر اتجاهات جديدة عميقة الأثر فى مستقبل العروبة والشرق والإسلام .. اتجاهات مرسومة فى دقة وإدراك واستجم ..

• • •

لم تعد الرحلة إذن رحلة صح وماسك فقط .. إنما غدت رحلة تبصير وواجب .. واجب فى عنى أوديه لكل مصرى وشرق .. ولكل مسلم وعربى .. ورحلة ناقوس وقع فى يدي ، فجئت أرسل دقاته مجدجلة فى آذان قوسى ، أرح بها أعصابهم ، وأفتح عيونهم .. على ما يجرى فيما يحسبه صحارى من تفكير وتدبير ، ومن انقلاب بعيد المدى يرتدى فى هدوء موح التطوير ..

وأرجو أن أكون قد وفقت فى اختيارى هذه الآونة بالذات .. لشر هذا الكتاب حيث يطوف حجاج البيت باليت ، وحيث تتحد العدة ليجي . الخ فى هذا العام مؤتمراً إسلامياً عالمياً غير مسبوق ، وحيث يرجى أن يكون لمش هذا الكتاب صداه أو جدواه

• • •

سأحدثك إذن حديثاً طويلاً ذا شجون

وسأهصر يدين بمهمة ذات شأن أرعم أن النشير فيها يلتقى بالذير

فأى ماهج البحث آحد . وأى أسلوب للنهج أختار ؟

أفأخذ بالأسلوب السياسى الرصين فلا يقرأ كتابى غير السياسيين والامر يحصر مئات الملايين من لعرب ومن المسلمين ومن الشرقيين ؟

أم آخذ بالهبح الحديث في البحث العسى فأصيف كتاباً إلى كتب الباحثين
تعي به طائفة من خاصة المفكرين إذا قدر لبحثي التوفيق ؟

أم تراني أحيراً أنسح على موال الكائنين الذين يتجرون بالكتابة
وينحذون من البراعة صاعداً فأستر القائص وأحجب العيوب .. ولا أظهر
العيون إلا على الحسن وإلا على البخل ؟

لا هذا .. ولا هذا .. ولا هذا .

وقصى الأمر الذي فيه أمار .. ووقع مني الاحتيار على أسنوني القديم
الجار .. أسنوني لقصص المشبوب الذي يتدفق في إلى الصمائر والقلوب .
ولا أتدقق به إلى تغليب رأى على رأى أو نصر اتجاه على اتجاه .

سأعمر من كل قيد يا أساه .. وستحب معي وتكرهه وفي الله .. سأعرد
هوق أفان القصة وما عليك إلا أن تسمع .. وأنت حري أن تطرب أو
لا تطرب . سأحرق بالقلم هوق هذا الورق وما عليك إلا أن تقرأ .. وأنت
حري أن تعجب أو لا تعجب .

• • •

إنها رحلة يا أخى .. في ظلال سندهاد عصرى جديد . إلى حيث أحج
البيت وأعتمر .. وإلى حيث أفص عليك ما رأيت ولا أذكر .. وأنت مدعو
لأن تكون الرفيق في هذه الطريق ولي أثقل .

رحلة تبدأ من اللحظة التي دارت خلالها محركات الطائرة .. تخنقت بها في
سماها لقاهرة . واتجهت بنا إلى جدة الهادئة لننقل منها إلى مكة الطاهرة ..
ولنتهي ، بي وبك ، إلى ، اللحظة الحاضرة ، .

أى والله ، و وبك ، .. واسمعى يا جارة .

وإلى ، اللحظة الحاضرة ، وأعنى العبارة .

سأحبك معي بملابس الإحرام متجرداً لله .. أو ملبسك الكاملة

متأنفاً للحياة .. وسلتي هناك لسعود بن عبد العزيز « ولياً للعهد » .. وسعود
معي بعد أربعة وثلاثين يوماً إلى عاصمة مصر .. وسستقبل فيها بعد سبعة
أشهر من العودة سعود بن عبد العزيز « الملك » .. وسودعه بعد عشرة أيام
إلى الكويت والبحرين وباكستان والأردن . وسلتي به في الرياض الزاهرة
يقول لوزير الإرشاد المصري أشياء وأشياء . ويسمع من الوزير المصري
أشياء وأشياء .

وستخرج من هذا كله بالياسة الشرقية مفهومة . وبالأهداف العرية
محولة . وبالمملكة السعودية موزونة .

وفي هذه الرحلة الطويلة التي يخلق لك خلالها في طبقات الجو ونمخر
لك أحياناً عباب البحر . وتقطع لك أميالاً وأميالاً بين البدو والحضر .
لن يحشمك مشقة . ولن تكلفك دراسة . ولن تمارس فيها جغرافياً أو
طبوغرافياً . ولن تعاني منها جفاف الأرقام أو خطايا الوثائق . لن تحب
وتوضع في قصة نرجو أن تحب . وأن يطفى جانب العناية بها على
صرامة الجدل . وأن يمتدبك الحوار الفني فيها فيبلغ بك في سر أهداف
هذا المجلد .

وحتى تحلبنا لأشخاص المسؤولين أمام التاريخ عن سياسة هذه المملكة
وعن اتجاهات العروبة وأهدافها . سيجرى تحت عينيك مجرى القصص .
فتحب أحدهم أو تكرهه من غير عناء في الحب أو في الكره .

بل يسعدني أن ألفتك من الساعة إلى أن الكتاب من يابن .. وأملك
في الباب الأول منه ستركز معي ركضاً روائياً حيث الخطى بين عرفات
وأم القرى وجدة ويثرب .. حافلاً بالوقائع التي جرت علينا وبالمشاهد التي
وقعت عليها أعيننا والصور العابرة لمن اتصلنا بهم واتصلوا بنا ، ركضاً روائياً ..
يوافهم الرحلة وبلعة الروايات إذا قدر له أن يغدور حالة . أما إذا دعوتك إلى
مطار المدينة لتستغل مه الطائرة عائدتين إلى أرضنا المصرية في الطور .. فساعتد

تدخل معا بابا الثاني من هذا الكتاب . فدخل في دراسة ومياسة وأهداف ،
وتدخل في صميم العروبة التي حدثتك عنها في (الإهداء) .. ومع هذا كله
أعذك ألا بتحى عى في الباب الثاني أسلوى القصصى . ولن نعانى ما يعاينه
القراء من مثل هذه البحوث .

وحتى سر اختيارنا الخريضة رسما للغلاف . تستطيع أن تخط اللثام عنه
في غير مشقة بعد أن نفرع من "قراءة" وبعداً توجه إلى نفسك الأسطة التالية
هـ أم الحق أن هذا المؤلف . وفق فيما استهدف ؟

هـ وهل من الحق أنه صرني بأمر مصر والشرق . وأصرم في صميرى
لواصح الاهتمام بالعروبة والإسلام ؟

هـ وهل من الحق أنه استطاع أن يصع هذه المعلقة الطويلة عريضة في
ميزانه القديم المتواضع ؟

هـ وبى . الجواب . نعم ، فهذا كل أخرى - وصدقى وأنا بهذا
الأجر قانع .

هـ وبى . الجواب : لا ، فما صرني أنى حاولت "لهو" بواحي
وقصرت عنه كفايتى ؟

هـ ما صرني . أنى أردت "توفيق" وتخلي التوفيق عنى ؟
إن الذى بصر حقيقة ويصير أن أرائى قادراً على المحاولة ولا أحاول .
وهأنذا حاولت ما واجبى . ولربك أستعين ياربى . وهذا حسبى .

محمد السواري

الباب الأول



الفصل الأول

إلى جدة... بالطائرة

قلت لصاحبي الشيخ :

— موعد قيام الطائرة .. من مطار القاهرة .. الساعة الواحدة بعد منتصف الليل .. لتصل بنا جدة في الخامسة من صباح يوم الوقفة . لكون أحر حجّاج في العالم يلبعون مكة بعد أن بارحوا الحجاج إلى عرفات قبل أنت مستعد ؟

ورد صاحبي الشيخ :

— وأى استعداد تعني ؟ أننا عراة نسترنا قطعتان من قاش .. والحجاب معدة . ولا حاجة بنا إلى شيء على الإطلاق .
— عراة ؟

— طبعاً وشرعاً . لا بد أن نخرج من القاهرة .. أنه لروم ما يلزم .
— وإذا لم ألزم هذا الذي يلزم . وظللت بعباسي ولم أحرّم ؟ ما حكم الشرع فينا ؟

— الفدو .. لا بد أن تقدم فدا . إثر وصولك إلى مكة .

— تقدمه يا مولاي

— وليه بس يا سيدي ؟

— لا أنا ناسر يا مولانا الشيخ إلى بيت الله المحرم سفرأ غير مسبوق .. نساو على متن طائرة أجنبية تابعة لشركة الخطوط الجوية البريطانية العالمية .. رضيت بعد أن أقفلت الطريق بين جدة والخارج من يومين أن تسقطنا ،

في جدة . وهي في طريقها إلى عدن .. فيجب أن تقدر أن ركاب هذه الطائرة لا بد أن يكونوا من البرصيين أو من الأحاب في القليل ، ولابد أن يكون من بينهم سيدات وطهورنا بينهم حفاة عراة قد لا يقع منهم موقع الارتبح .. وقد لا يصور المصريون في أعينهم بالصورة المرتجاة .. وعند ذكر السيدات اقتنع صاحبي الشيخ لأنه اتهم .. ولم يثر .

ومضى بها الصائره . وتوالت الطرف ، وصاحبي الشيخ لا يعرف غير اللغة العربية . والمصيفة الانجليزية لا تعرف غير الإنجليزية ، وعدد ركاب الطائرة الكبيرة ذات المحركات الأربع لم يجاوز الثمانية . وقد اصرده صاحبي الشيخ بأربكة مخصصة أصلاً لاثني .. وكذلك فعل كل راكب التماساً للراحة . وصاحبي الشيخ وسيم الطلعة هرع لظول بادي الشاب برعم حلقة الساعة .. سبق الثياب أذنة واضحة . وقد رأى كل راكب يحلج سترته فخلع الشيخ جبهه واستلم لمقاعد الجلدية الوفيرة .

وصاحبي الشيخ حريص في كل حياته وحركاته على أن يؤكد دائماً ذاته ولكن على طريقته .. وقد حاولت عشياً إقناعه بأن يستجدي إذا ما وجهت إليه المصيفة سؤالاً .. وطل بصر على أن يؤكد ذاته بلغة الإشارة بيه وببها .. وقد جاءت مرة بقدح من الشاي .. ووضعت فيه ملعقة سكر .. ثم سأله بالإنجليزية (كان ؟) فأشار برأسه أن (نعم) وعادت توجه نفس السؤال وعاد يوجه نفس الجواب فلما راد السكر على المعقول أدركت لفظة أن الشيخ غير مدرك .. فقالت له بالإنجليزية (كفاية ؟) فأشار برأسه أيضاً أن (نعم) ولم تستطع التسمية أن نحى صمكة شاركها فيها أجبي شقي كان يرقب لعراك اللغوى من بعيد .

ومضت الطائرة تشق أجوار الفضاء .. في هدوء مهب يلهب في الذهول الخيال . كانت الرحلة ممتعة حقاً . ولم أكن أصدق أبداً أن السفر بالطائرات

يمكن أن يبلغ هذا المستوى من المتعة .. كانت كأنما تمشى على بساط من الريح ..

• بساط من الريح ، . يالها من عبارة ينتفص لها التاريخ .

• بساط من الريح ، . إذن قصة سليمان الحكيم التي سخر منها العلم الحديث لم تكن تستأهل منه هذه السخرية .

أما لا تعلم علم اليقين .. الزمن الذي عاش فيه سليمان . ولا العروة التي بلعها الحصار في عهده . فإذا كان العلم الحديث لا يريد أن يعترف بالآديان ولا بالديان .. فلماذا لم يقدر نوه — ولو على سبيل الأحذ بالأحوط — أن سليمان كان أغرر علماً .. وكان يملك من ألوان الطائرات ما لم يبلغه عليهم ؟ ثم لماذا يستكثرون على العروبة ونبيها مالا يستكثر اليوم على صاع طائراتهم وأصحاب محترعات في زمانهم .. والطائرة مدينة بوجودها لعرب .. والتاريخ الأمين ، الذي لا يكذب ولا يمين ، سجل حق الاكتشاف لعباس بن فرناس وتلقاه عنه المتلقون . فإذا كان هذا المواطن الشرقى قد أعطى أوروبا وأمريكا سر الطائرة .. فلماذا يستكثرون على سليمان وهو الأقوى ، لأنه على الأقرب ملك ، أن يحلق في الحو فوق بساط الريح الذي نفترشه الساعة أنا وصاحبي الشيخ .

مرت هذه الحواطر برأسي .. وصاحبي الشيخ يبادل المضيفة الإنجليزية ابتسامة حلوة بان لي من خلالها أن صاحبي — وهو رجل ذو ذوق وحس — يؤمن بأن الحال — كالعالم والفن — لا وطن له ولا جنس .

وعاد بي الخاطر إلى « الشرق المعترى عليه » ، في عصرنا الحديث .. لا شيء إلا لأن الحصار التي نبعت منه وولدت فيه .. وازدهرت على أبدى نبيه .. أقلت زمامها على حين غفلة منه إلى الغرب المتأخر فتقدم .. ونسى هذا الغرب تاريخه الطويل المظلم .. وإن كان فريق من خاصة العلماء

الأمم فيه يرون أن الإجماع ما يزال قائماً على أن تاريخ العلم بدأ على التحقيق في (الشرق الأوسط) .

وعلى أي قسم .

انقسمت لأنى ذكرت أن من بين هؤلاء العلماء أستاذاً في جامعة هارفارد هو الدكتور (سارتون) لم يحطه أبدأ أن يقول لنا صريح العارة وهو يتحدث عن العرب والشرق بل عن مصر وما بين الهرير :

« ونحن على كل حال مدينون لعلمين كثيرهما بفنونه الفنون والآداب والرياضيات والكيمياء وصناعات أخرى . وإنا نحن الغربيين مدينون لهم بكتابنا المقدس نفسه وبريفتنا وقواعد أعمقنا ديناً كبيراً » .

وإذا فسر الحصار الحديث في العرب إمعاناً حرج قلا من هذا الشرق الذي أصبح الآن في جوه متجه نحو أقدس البقاع فيه . .

إن قصة الحصار العربية التي قامت قلا على أكتافها وازدهرت عديم بغض تراثنا لا يزال ينقصها الفصل الأخير منها . . فإذا استطعنا أن نرتبه في الذهن . . ونكتبه فوق الورق ثم نخرجه على مسرح العرب . . استطعنا أن نسترده ذلك التراث المقتضب .

والفصل الأول من قصة الحصار العربية قام على حماسة القلة . . بقوا عما هم تفوقوا بفضل هذا القر عليها . . فتسلوا زمام القيادة وقادوا . . ثم تسكروا لنا ففرضوا علينا ما كان لنا من السيادة . . كل هذا بفصل القل عا . . فبادرنا لا نعود إلى العمل عنهم . . ونوغل في هذا انقل إيعالا . حتى نعود الحصار إلى بيعها الأصل ؟

إسراى :

وجاءت أشرفت فكره جديدة ستأهل تدبى قومي عليها . .

هذا القل عنهم يجب أن يتولاه ما القادرون عليه . . القل عنهم علماً . .

والثقل عنهم عملاً . . ولا جدوى من تعلم هندسة السيارات من غير أن تقيم
لبائها مصانع .

وأنا الآن في طريقى إلى مملكة السعوديين . .

وهذه المملكة كما نعرفها — بالأذن أو فوق الورق صحراء مترامية
الأطراف إذا أغضبت عن بعض المدائن والموانئ والقرى . . وقيل أن
دخلها السنوى من البترول يعد بمئات الملايين من جنيهات المصريين . .
وموقعها من الناحيتين الجغرافية والاستراتيجية يمكن لها من الهدوء وبعدها
عن المعترك الدولى إلى حد كبير . . أو على الأقل إلى حين . . وهى القاعدة
العربى وبفضل امكانياتها المالية . . فلماذا لا تفعل ؟

ورأيتنى أدعك عني وأفرك يدي . . وأتفكر الصعداء في ارتياح وكأنا
وقعت يداى على أول الحل أو وقعت قدماى على أول الطريق .

وكان صاحبى الشيخ لحظتئذ يمدح الغاية الانجليزية نظرة (برية) وهى
تمرق في الممشى مروق السهم المتجه رأساً إلى صميم القلب وترسل عليه ابتسامة
فتاة صاعقة ولا تميزنى أى التفات .

قسمنى وأنا بها قانع .

سأترك لصاحبى الشيخ هذه النفحة من الهوى العذرى تهب عليه نسيماتها . .
راضياً كل الرضى من ناحيتى بلفحة من الهوان العربى تلتقاها الساعة خواطرى
وأنا أفصل بين ما انتهت إليه العروبة من ضياع والضياع . . وما انتهى إليه
لصوص الغرب الدين سرقوا المعرفة منا من رفة والتماح . . فلاواصل
تفكيرى الهادئ . وأنا أعوص في المقعد الجلدى الوثير . . مطلقاً كالسهم في
فضاء الله وعلى بساط الريح .

ولبعد إلى هذه المملكة التى تتجه الساعة إلى ميائها الحديث .

أصبحت إذن تمدك موانئ حديثة .. ميناء صخيا في جده على البحر الأحمر . وميناء ضحا في الدمام على الخليج الفارسي .. وقرأنا الكثير عما صنع لها الأمريكان في الظهران وغير الأمريكان في غير الظهران .. وقرأنا كثيراً عن استغلالها علمهم وإحضاعها وعورة الجبال وإذلالها برمال .. وتسييرها لخط حديدي بين الرياض والدمام .

وإذن فاطاف بدهي عن مهمة : النفس الحصارى ، قد تبه عليه عبد العزيز مشي . هذه المملكة .. فبأى حظ ياترى أخذ النقلة بهذا الرأي ، وأى مدى ياترى قطعوا من الشوط ، وهم يطقون العلم على العمل ؟
سأرى إن شاء الله كل هذا .

وهذه العجالة انتهت إبرة تفكيرى من الدين إلى الدنيا ، واعتزمت أن أحج البيت العتيق ، وأن أدرس حقيقة الحال عند أخفى الشقيق .

هوى عاطفى :

ودعكت عيني ثابة وفركت كفى مرة أخرى ، وألقيت على صاحبي شيخ طرة على .. فهاثي منه هذه المرة مسبحة في يده .. يلتقط حباتها على مهر ، وكلسات تتقاتل فوق شفتيه ولا تبين .. في عنفمة حلوة عليها روعة الدين .

هزتي عجمات صاحبي الشيخ مرا عميق الأثر .. فسيت الحصاراة المصوعة التي كنت أفكر في استردادها للشرق والعروبة ، ورأيتني أحقق في حضارة أخرى لا تعرف لها صاعاً غير الذى أحسن كل شيء صنعا .. ورأيتني أعظم أما الآخر ، وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ، .. ثم رأيتني أتجمل البيت ولما أراه .. وأتجمل الكعبة في نطاق ما ارتسمت لها في الذهن من صورة .. ورأيتني أتجه إليها بجماع قلبي وعواطفى .. وأطوف بها .. ثم أسعى بين الصفا والمروة .. ثم أهول إلى عرفات لألقى صيدى

ومولاي .. متجرداً إلا من القطعة التي سأرح بها من دنياي .. ورأيتني
أفحص من عرفات .. وأذكر الله عند المشعر الحرام .. ثم أفحص من حيث
يفحص الناس .. ثم أستغفر الله .. فيعقر لي ويتقبل مني ويتوب علي ..

عرفات ١١٩

وجحد تفكيرى عند هذه الكلمة ...

أهذه كلمة هينة أعبرها بهذه السهولة ؟

ألم أتعب نفسى عشر سنوات كاملة وأنا أحدث القراء في مصر عن شيوخ
مصر ونواب مصر وبرلمان مصر ... رجاء أن أقوم الحياة البابية في مصر ؟
وجبل عرفات ؟ عصر الغد .. ؟ سيعدو هو الآخر رملانا .. هو الآخر ؟
ما هذا التعبير المتهاافت ؟ إنه أكبر برلمان عرفه نوا الإنسان .. من قام
للبرلمانات كيان .. إنه برلمان العقيدة تورعت على أرجاء المعمورة تجمع
الإسلام بين بنينا في هذا المكان .. وغداً سيجمعني فيه بصف مليون من
النشر .. أسمى مجلس يباي أقامه الله للشورى والشعائر والمافع في سفح الجبل
الأسهم .. نعم غداً .. وعند هذا الجبل .. يفتح رسمياً هذا البرلمان الأسمى ..
يفتح باسم الله لا باسم الملك .. ويقف في ساحة البرلمان الرباني عراة حفاة ..
بجردين إلا من التقوى .. هاتفين من الأعماق لصاحب الجلالة الكبرى .
ه لبيك اللهم ليك .. ليك لا شريك لك ..

هبوط ١٢٠

ولجأة أدير زر الكهرباء الحرام . إيداماً بالهبوط . وقال بعض الركاب
(جده) ورد آخرون (ليست جده) .

وهبطنا .. وإذا نحن قد تحطينا جده والمملكة السعودية .. واجتزنا
حدود السودان الحبيب .. وهبطنا في مطار بور سودان .

ما هنو القصص يا فتاه ؟

وعنت وقد بارحنا الطائرة إلى مقصف المطار .. أن الطائرة الكبيرة علت عن طريق اللاسلكي .. أن ركاباً في بور سودان يريدون السفر إلى جدة .. فأثرت أن تحمل بالنظام المقرر .. وأن تقترض منا نحن بني العروبة بعض موزاننا إنتماساً للربح .. فغيرت اتجاهها وقصدت إلى بور سودان لتجنيء بأولئك الركاب . وهناك استبدلت مضيئة إيطالية بالمضيئة الانجليزية ، وكانت الإيطالية الجديدة تملأ الكف حجماً وتبارى الكهرباء شاطاً ، وقد خيل إلى أُنَى رأيتها في مصر قبلاً ، وكانت تعرف العربية أو تستطيع التفاهم بها فزلت عن قلب صاحي الشبح بهذه الميزة . وبميرة الحس والخفة — برداً وسلاماً .. وظهرت صور البرد والسلام واضحة عند ما أكثر من مطالبه وأكثر من الإغداق عليه .

والسودان أيضاً :

وفي مطار بور سودان نلت ما كنت أفكر فيه من إمكانيات المملكة لعمودية وما تستطيع أن تؤديه .. وانصرف همي إلى قطعة من قلبي .. يا طاملاً ركزت فيها بعض حتى .. وبوحي من الطبيعة وانهر الخالد .. وبوحي من الجيرة والدم الدافق .. وبوحي من العقيدة والتاريخ الماطق .. وبوحي من العروبة — وإنما للذرة اللامعة في تاج تفكيرى — وأعني هذه القطعة من قلبي : (السودان) .

وما ننذا — وبمحض الصدقة والغلظة وبفضل البيت والرحلة — أخطو سعيداً فوق أرضه فبارك هذى الخطى يارب .. واكتب لها أن تكون أينذا بأرض العروبة موحدة .. وندول الشرق ولايات عربية متحدة . نحن الآن في مطار بور سودان يا أحيى ...

قلى أى مستوى نهض الاحتلال بهذى المطارات يا ترى .. وقد سيطر عليها سنين وسنين .. واستغلها حربياً وسلباً برغم أحبابها المساكين ؟

وهالني ما رأيت في دورة مياه المطار وفذارة المقصف الذي لا أرتضيه
مسرّحاً للأنعام واستهتار حراسه لا فارق فيهم بين رئيس ومردوس ..
وتثاؤب القائمين بأمره كأنهم أوفياء دائمون لعاس مقيم ؟

أهذا كل ما صنعه الاحتلال لتحضير السودان في خمسين من الأعوام ؟
وهل هذا هو المظهر الذي يقدمه الاحتلال في مطار بورسودان
للأوروبيين والأمريكيين الذين يجنازونه أو يهبطون فيه راثنين وعادين ؟

وقيل لنا أن الاحتلال يكره بورسودان .. لأن بورسودان تعد نفسها
مدينة مصرية .. وتتعامس دائماً مع المملكة السعودية .. وبريطانيا تكره
كل ما هو مصري وكل ما هو سعودي .
واتسمت مرة أخرى ..

انسمت لأن هذه الإجابة من أحد السودانيين . أعادتني من جديد إلى
الحواطر التي كست عارفاً فيها وأما ساج في الجو بشأن المملكة السعودية .
عدت إذن إلى هذه المملكة بالخاطر .. وأما راض فوق مطار
بورسودان .. فهل هي محاسن الصدق تلاحقني على هذا الجو لتصرف
تفكيري دائماً إلى هذه المملكة .. أم أن الأقدار تبتغي لدراستها بحافز خفي
ولحكمة عالية ؟
ست أدري ..

ولدع على أي حال أمر السودان الآن ؟ ولتبدأ من جديد لمواصلة
الطيران ودعيا إلى الطائرة وحلفت لنا عائدة إلى جدة .

ولكن ..

نعم ... ولكن ...

وكننت أظن أن كلمة « لكن » هذه مرضى مصري يلزم كتاب مصر ..
ولا يبرح أرضها أبداً .. وهابداً أكتشف أنها كلمة عالمية .. تلازم المفكر

في جميع أرجاء العالم . أو كلمة عربية على الأقل تلازم لعروبة في مراحل تفكيرها .. ويكثر وجودها في طريقا . لأن طريقا دائماً ملىء بالأشواك .. وفي حاجة دائمة إلى الاستدراك .. وهذه الكلمة أداة استدراك كما لا بد أن نعم .

نعم ... ولكن ، .

ولكن هذا السودان الذي يشاركنا نعمة النهر .. وحرارة العقيدة .. وراصة اللغة . وحقوق الخيرة .. هو بعبه الذي يشاطر السعوديين نعمة البحر وحرارة العقيدة وراصة اللغة .. وتبادل التجارة .. وهو بعبه الذي تربطه بهم وبنا أواصر العروبة التي لا انفصام لها ولا اعتذار إلا بالعمل على بحث أمجادها .. مسألة موحدة ماضية عنها عار التآخر الذي أودى بها . ورأيتي — ونحى في الطريق إلى حدة — أنه يحاطرى اتجاهاً جديداً أرط فيه بين ثلاثة أراهم لأول مرة من خلص الأشقاء . وأستقر عليهم تلك النسبة التي كما إلى عهد قريب بعثر بها وهي : أبا . العمومة ،

ومرت يحاطرى وجوه أشبه بين السودان والمملكة السعودية من حيث انقلة في السكان والعمران .. والسعة في الصحارى انقالة لإقامة المصانع .. والأراضي القالة لإشياء المزارع . والشمم الذي يلزم نفس كل عربي في كل المديس . ملارمة صارخة حية تدور أدنى ما تكون إلى العقيدة النسية .

ومرت يحاطرى وجوه أشبه بين مصر والمملكة السعودية من حيث الإمكانيات في المال والفقر من الانحليز والاستعانة بالأمريكان والألمان .. والميل إلى إحياء لغة القرآن .. والرغبة الملحة من الحايين في الإكثار من القرآن بين العتيات والفتيان .. مرجاً للدم .. وتوثيقاً للأصرة .. وتقريباً للرب .. وتقوية للعروبة ..

وخرجت من العرص بأن صممت مصر إلى السودان كما ينضم بالصبيعة الشقيقان .. ثم رأيت في ثلاثة قوى تكامل فلا يستحف بها عاقل .. ثم

عاودتني ابتسامتي التي يؤذن ارتسامها على شفتي بإشراق جديد فكري ..
 فخرحت أسائل نفسي : كل هذا أثارته عندى طائفة بارحت مصر قاصدة
 ملكة السعوديين فهبطت مصادقة في أرض الودايين ؟ إلى أى مدى إذن
 يمكن أن ينتهى التفكير .. إذا عثت وجوه الشبه الأخرى .. وأواصر
 العواطف الدافقة الحرى .. يبسا ويبس الأمم العربية .. عندما يخنى الاستعمار
 وأنصاره الحاكون .. يبسا ويبس شعوب هذه الدول .. ويطلق الفكر
 إلى تحيل القوى العربية متكافئة متكاملة .. متضامنة متعاونة .. أو عندما
 تتحين هذه الدول ولايات عربية متحدة .. ويذكر مع مصر والسودان
 والمملكة العربية السعودية .. أشعيا في العراق والأردن ولبنان وسوريا
 واليمن وليبيا .. وأدع الآن جابياً تونس ومراكش والجزائر .. وأدع الآن
 جابياً كل أفريقيا .. وأدع الآن جابياً بحث الأواصر الإسلامية يبسا ويبس
 باكستان وإيران وأندونيسيا وأفغان ؟ .

مر هذا الخاطر الحديد المجمع بذهي .. ولقمة المعنقة فوق رأسى والموصه
 بين داحل الطائفة وخارجها ترس على حصلات شعري يبسا عبيلا . تكيفه
 تكيفاً حميلاً .. فأمر يدي على هذه الحصلات لأريحها عن جيبي . فتدوى
 الصلحكة الرقيقة الناعمة في أذنى . فأنبته على مطر لا أنساه أبداً .. مطر المصيفة
 العمرية تيمى على صاحبي الشيخ تلف الحزام حول وسطه . (حرام النجاة) كما
 سميه و (حرام الحياة) كما تعبر عنه لغة الإنجليز .. ويدنو أنها لاحظت عليه
 أنه يحاول ربطه ولا يحبس الربط .. بعد أن رأى الركاب يهمون نفس
 المهمة .. فقلت العتاه كما قلت لك على صاحبي الشيخ تلفج وجهه النشوان
 بأعاسها العصرة .. وتحقق في نظره الوسان بعينها الخوة .. وتداعب يداها
 جبينه وهو نشوان مستسلم . وشفتاه تغمغان أغلب الطل : ليك اللهم ..
 لأنه حقيقة رجل صالح .

تنبت على هذا المطر الساحر .. وأدركت أننا دنونا من جده . وكان
 الصو . الأحمر قد أضيء فاطفات السجارة .. ولم أبال الحرام .. وهبطت

الطائرة هبوطاً عمودياً أدركنى بهزات ستوكا المنقصة فى الحرب الماضية
فكدت أثب ولكى تمالك نفسى .. ثم رأيت الطائرة تساق أسياهاً ..
ثم رأيت الرمال أمامى وعجلات الطائرة تعدو فوق الرمال . فأدركت أسا
بلعنا جده سالمين .. والحمد لله رب العالمين .

فى جملة

المنظار .. ومفارقة :

وفى مطار جدة .. ارتفعت الأصوات تهتف باسمى .. فأدركنا



أكثر من مندوب ينتظرنا .. وتقدم إلينا
الأستاذ أحمد قديم المدير العام للحج مرحباً
باسم سمو ولى العهد (الملك الآن) وباسم
الحكومة وأعلن أننا من الساعة ضيوفاً ..
وأن سيارة خصصت لنا لتظل معنا طوال مدة
إقامتنا .. فشكرناه وشكرنا من معه وقلنا له
أن أهم ما يعيب الآن مكان نعتل فيه ونحرم .
وقال قنديل ..

— مرحباً .. فى فصح (فدى) التيسير

إن شاء الله .. وإطلقت سائر العربات إلى
لفدى .

رحبوا بنا باسم ولى العهد

وعادت بى الذاكرة إلى التصرف الضيق الذى كانت لعاية قد أهميته
فكانت النتيجة هذا التكريم الذى يلاقه .

نعم ذكرت . قصة السفر الذى هبطت فكرته علينا فى الأسوعين
السابقين للحج .. وقصة الصعاب التى صادقتنا فى استعراج جوازات دولية
أو تجارية لا علاقة لها بالحج .. وقصة تذليل الصعاب فى اليوم الذى أعقق

فيه الباب . . وصدر مرسوم ملكي سعودي بإقفال الطريق بين المملكة السعودية وخارجها فلا تستقبل طائرة ولا باخرة ، ولا تبحر طائرة أو باخرة ، وذكرت اليأس الطارىء . ساعتئذ . . والأمل المفاجيء الذى هبط عني وأما أتحدث إلى السيد جواد ذكرى الوزير المفوض فى السفارة السعودية أسأله إن كان هاك أمل فى طريق السفر . . فطر له أن يقول وهو يهيم بإلقاء سماعة التليفون :

— بالله تسمع . أسأل لى حياتك شركة B.O.A.C. لأنى تذكرت أن لها خطاً بين القاهرة وعدن فهى تمر بجدة وتستطيع إنزالكم فيها .



السيد جواد ذكرى

ذكرت ذلك الحادث . وذكرت أن السيد جواد لاحظ فى ردى انى لم أعد عابثاً ولا آملاً . فاستحلفنى أن أتصل بهذه الشركة . وأدع له هو مهمة الاتصال . وإزاء هذه الرقة التى لم تحاوز فى ميزانى لوماً من ألوان المحاملة والكيسة . وإبراء للاستحلاف والحلف أدت قرص التليفون فإذا الخط موحود والأماكن موجودة والطائرة تقوم ليلة الوقفة .

وصاحبى الشيخ «ربون» قديم للحح . حج البيت واعتمر سبع مرات وبما أذكر . ثم حالت الحرب العالمية الأخيرة دون الثامنة . فكانت حجته معى هى الثامنة بالنسبة إليه والأولى بالنسبة لى .

ونهى إلى حقيقة كبرى . قال إنك لا تعرف معنى كلمتى (جدة) و(مكة) صبح الوقفة أو ضحاها . ان جميع الوزراء والكبراء والأغلبية الساحقة من المسئولين والموظفين بل من المواطنين الحجازيين والنجديين يصعدون فى ذلك اليوم إلى عرفات . وتكاد جدة ومكة تخوان إلا من القليلين

وقد لا يجد سيارة واحدة تقلنا من جدة إلى مكة . ومن مكة إلى عرصات .
والتمتع في دهمي حاطر .

ذكرت أن رسائل كانت قد تبودلت

بينى وبين ثلاثة من رجال المملكة . تعقيباً على
معص ما نشرته حريدى . وأن ودأ يريدبأ
كان قد وطدته هذه الرسائل بينى وبين
السعوديين الثلاثة . وهم الإخوان سليمان الحمد
(وكيل وزارة المالية يومئذ ووزير الدولة
أعلى) وعبد الله بلخير (السكرتير الخاص
لولى العهد يومئذ والسكرتير الخاص لملك
الآن) وعبد السلام على (المصرى الأصل ،
السعودى الجنسية والمشرف على الصياغة)

فأبرقت إليهم إثر اتصالى بشركة الطيران
البريطانى واهتدأت إلى أماكن خالية أحط بهم انى سأص إلى مطار جدة
صبيحة الوقفة .



عبد الله بلخير

فلما بلغنا جدة وارتفعت الأصوات
تردد اسمى أدركت أن التصرف الذى أهتم به
العاية قد أجدى وأن أكثر من مدوب كان
فى انتظارنا .

إحرام ومفاجأة :

واطلقت بنا العربة إلى الفندق وقد تبدى
كالمهجور لولا وجود مديره والمستخدمين
فيه .

وهناك اغسل وأحرما . وتأهبنا لآخذ طريقنا إلى مكة للطواف حولها
والسعي بين الصفا والمروة ثم استأنف الرحلة إلى جبل عرفات للساهمة مع
الحجاج في الوقفة والتلبية .
ولكن مدير الحج فاجأني بقوله أن عمه الوزير هنا .



وكت أعرف أن كلمة (الوزير) لا تعني
غير الشيخ عبد الله السليمان وزير المالية .
فخاصة بسموه (الوزير) ورجل الشارع
مدفعاً بما لست أدريه يطيب له أن يسميه
(الملك غير المتوج) .

وسألت مدير الحج :

— وماذا .. إن كان الوزير هنا ؟

وهبت أنه أخطره بوصولنا فأعرب
عن رغبته في أن يرانا وهو فعلا في انتظارنا واتجهت السيارة بنا إلى
بيت الوزير .
عند الوزير :

وكنيت أحسن معي لبعض رجال الحكم الهدية التي لا أملاك غيرها . نسخة
لكل منهم من أعز وأقدم مؤلف لي هو كتاب (البرلمان في الميزان) .
كنت أتوقع اني لا بد نازل عليهم صيفاً ، فإذا تم ما توقعته كان لزاماً أن
أقدم لهم بعض نفسي أو بعض حقيقي .

كنت أعرف أن بعض الصحف ، المصرية لم تكن دائماً بإيفاد مندوبين
عنها في مواسم الحج يرفعون رأسها . وكانت بعض الحوادث التي وقعت في
الأعوام الفائتة قد ترامت إلى في حينها . وكنيت أخشى أن يفهم بعض رجاله
الحكومة السعودية أنني صحتي من ذلك الطراز الذي ألفوا أن يستقبلوه كل

عام ، وأن يشيعوه بذلك القصص غير الكريم ، ليستنبهوا في العام الذي يليه فريقاً آخر من نفس الصنف .

ولم يكن في وسعي أن أحلو بكل مسئول سعودي لآلتي عليه محاصرة عن (خلقي أو قلبي أو شخصيتي أو حقيقتي) أما (البرلمان في الميران) في طبعته ثانياً ضد صدر بمقتطفات من أقوال الصحف عنى ، وبمقتطفات من آراء الورراء والعطاء والساسة والأدباء الذين تناولوني ، وبمقدمة بقلم المرحوم إبراهيم عبد القادر المازني حلل فيها شخصيتي وشرح فيها شخصي .

وفي وسع أولئك جميعاً — الأحياء منهم والأموات — أن يتحدثوا البلاد السعودية عنى ، وفي وسع هذه البلاد أن تتق بهم وبارائهم ، وتحت ستره الهدية . أستطيع أن أقدم لكل مسئول نسخة من الكتاب رجاء أن يطالعه وأن يعرفنى .

وكان للوزير الخطير نسخة طبعاً .



عبد الكريم السعيد

فلما وقفت بنا السيارة بباب داره أخرجت هذه النسخة من الحقية وحملتها معي .

واستقبلنا الوزير بحف به من حوله أولاده الثلاثة عبد العزيز وهو شاب في أخلفة الثالثة يعمل وكيلًا مساعدًا لوزارة المالية . . وأحمد وفهد وهما طالبان في الحققة الثانية أحدهما يدرس في إنجلترا وجاء إلى جدة لقضاء أجازته الصيفية والآخر يدرس داخل المملكة تمهيداً لإيفاده إلى الجامعة المصرية .

وكانت جلسة عائلية ثمت فيما بعد أنها قل أن تتاح لنا أو لعيرنا في غير هذا اليوم الفريد لأن رجال الحكومة كانوا جميعاً في معية ولي العهد

في عرفات كما قلت لك ، وكان الوزير هو وحده الذي استأذن في التحلف إلى ما بعد العصر ، وقد علن لنا هذا التحلف بقوله وهو يقبض على لحيته ويتسم : — يا سيدي أنا .. وهن العظم مني .. وتعبت .

وسألي عن قصة الطائرة وتأخرها فقصتها عليه ، فقص علي بدوره قصة طائرة أخرى تحولت فجأة بآبنة الجالس معنا — وكان قادمًا من إنجلترا — إلى السودان والحشة .. وكادوا يحجزونه هناك لولا الاتصالات التي قام بها أبوه . وجرى ذكر الصحف وحركة التأليف فقدمت له نسخة (البرلمان في الميران) فقبلها بشفتيه ثم رفعها إلى ما فوق رأسه بيديه . فكان جذاب التحية حفيفة .. واستطاع أن يترك في نفسي أثراً لا يمحي . واستطعت أن أدرك بعض دهاء ابن الصحراء وسر سيطرته .

وكان صاحبي الشيخ يرى — لياقة — أن يسام في الحديث .. فقص علي الوزير قصة قديمة قال لشيخ أنها وقعت من قبل ٢٤ عاماً عند ما كان يحج ومات قاضي جدة فطلبه الملك عبد العزيز وعرض عليه منصب القضاء بواسطة الشيخ عبد الله السليمان .

وترافقت عينا الوزير تراقصاً ظننت معه أنه لا يذكر واقعة كهدي فأردت أن أداعب دهاءه فقلت أوردته : — معاليك طبعاً متذكر ؟

فابتلع ابتسامه عريضة واستعار لوجهه أسارير جديدة وقال علي الفور : — إيش تفكر .. أنا إذا كرتي ما تخوفني .. بالمره .. علشان قلت لك وهن العظم مني ؟

وقلت صاحكا :

— واشتعل الرأس ذكاه ؟

وأدرك الرجل أني أردت أن أقول : (واشتعل الرأس مكرراً) فقهقه أو قل ضحك بملء رتيه .

ولهجة الوزير بحمدية لم يحاول تغييرها .. وكان يبدو في حديثه المازح بسيطاً إلى أبعد حدود الساطة .. حتى ليدمّن رائيّه إذا لم يكن له به سابق تعارف أو إذا لم تكن لديه فكرة عنه .. لهذه الساطة الحية في هذا الثوب القصاص كيف جمع صاحبها في يديه كل هذه السلطات .. وكيف ظفر ثقة الملك كل هذا الزمن ؟ وحتى لقد ذكرت وأنا أواجه أخطر رجالات الملك عبد العزيز بعض الدكاء الفطري في قريتي المصرية لثانية .

التربة . التي يربدها .

وجه ذكر امك وثقته فيه حال الوزير بدهته لجدية انطبعة أنه ليس وزيراً في البلاط الملكي بالمعنى المهوم من الملوك والوزراء . وإنما كان وما يزال وسيظل خادماً بالباب ومن التربة التي نشأ فيها سيده ومولاه نشأ .. وأغلى أمانى الوزير أن يظل خادماً أميناً لسيده ومولاه حتى يواريه جلالته نفس لتربة يديه .

وكان يتدفق في تأكيد هذا المعنى تدفقاً يلوح الصدق عليه ويصرم الحاسة والحرارة في سامعيه .

أمنية ... ؟

و في توديعه لنا أكد أن هذه الرقابة العائرة ليست هي المقامة التي يرجوها .. وأخذ علينا العهد والميثاق أن نتصل به بعد الملح لتتفق على موعد هو المقامة التي يعيها .. وأعطيناه من ناحيتنا هذه الكلمة شاكرين .. أما القدر فقد كان له فيها رأى سعود إن شاء الله إليه في حينه .

وطلب الوزير - وهو يودعنا - إلى نجله عبد العزيز الوكيل المساعد لوزير المالية أن يهرج - أي يتحدث تليفونيا - لمكة ويصدر التعليمات المشددة للعناية بنا .

وأقلتنا السيارة إلى مكة .. يسوقها رجل يملأ الكف حجاً مشوب الوجه

بالحررة .. تقترن فيه العساة بالخافة . علمنا من الحديث معه أن اسمه (محمود نمر) وأنه (تركى الأصل) استوطن جدة من عشرات السنين وتزوج بها وأنجب . ولا أهل له في دياره غير هذه الزوجة وهؤلاء النات والبنين .. وتبين فيما بعد أنه على حماقة واعتداده و (شحطه ونظره) يعتبر ذا أخلاق إذا قس بطائفة (السائين) الآخرين من أهل مكة أو جدة .

وقد رحمت حب السائق فيما لاح لى لأنى لم أشأ أن أؤكد ذاتى فيه أو أسط البيادة عليه وكان إذا أصدر إليه أحد أوامر نفر منها وأجفل .. ولاحظ على الأيام أن كثيرآ من التكريم العام .. موجه إلى شخصى .. وأنى مع هذا التكريم ، الرسمى ، و غير الرسمى ، أعطف عليه بمختلف (ألوان العطف) وأحسن إليه معاملة وأملوا ..

الفصل الثاني

إلى مكة وعرفات

بسمك اللهم بسمك :

وفي الطريق انطلق صاحبي الشيخ بلي - وهو ذبون ، قديم في الحج
كما سبق القول - فتابعته ولكن في عنفة لا تكاد تين .. ولست أدري لماذا
حاجني نفور عميق من إظهار التدبر الذي يطهره الشيخ خلصاً فيه بالطبع ،
ومررنا في الطريق الممهد بين جدة ومكة تمهيداً بعيداً إلى الأدهان الطريق
الصحراوي بين القاهرة والاسكندرية . مررنا في ذلك الطريق الممهد ..
تسبط على جانبيه رمال الصحاري وتكشفه من اليمين والشمال جبال وجبال .
دات ألوان وأنوان .. ألوان تحكي لك ما فعلت بها الأحواء والأجيال .
وتقص عن الجغرافيين ما عراها من اختلاف درجات الحرارة وعوامس
التعرية .. فتأكل منها ما تأكل ، وتفاعس معها ما تفاعس ، وتراكم عليها
ما تراكم .. تزداد على مسع التاريخ قصة العروبة من بدايتها .. وطوار
العرب حتى سمعهم .. وتحقق برعمك وقد دوت من المياي الحديثة خارج
مكة .. تحقق في هذه الجبال وتري بعين الخيال أحداث الاسلام ماثلة .
وصورة محمد تطل عليك من هاها .. وتظالمك من هاها .. ويتألا على
الوجه الجليل نور أي نور .. نور تنافله الدهور والعصور وتقول
للأبسي أي بقاء يقدر للحقائق .. وقد مضى على ابن عبد الله أربعة عشر
قرباً وما يزال البت الذي ظهره عالي الدري .. والدين الذي نشره
مسوط اللواء .

الآن أدرك معنى قولك : (فأما الربد فيذهب جفاء وأما ما يفع الناس
فيمكث في الأرض) .

وعرتني هذه المرة مرة .. واختلجت بين الصلوع خفقة . وترقرقت
في العين دمعة .. وصحت برغى وبصوت أعلى من صوت صاحبي : .. ليك
اللهم ليك .. ليك لا شريك لك ليك . إن الحمد والنعمة لك والملك ..
لا شريك لك ..

هنا باب جنة :

وصاح السائق محمود :

— قربنا من باب جنة يا عمي (وعمي .. كلمة تكريم يخاطب بها
الصغير الكبير) .

— إيه باب جنة يا محمود ؟

وعر على صاحبي الشيخ أن أسأل غيره وهو العليم .. فنهز السائق الذي
كان قد هم بالجواب .. وراح يقول : أنه مدخل مكة .. وعندما بلغه تقرأ
معى (السلام عليكم يا أهل المولى .. السلام عليك يا سيدتنا خديجة .. الخ) .

وكنت أعرف من مطالعاتي أن بعض أهل الرسول وصحبه ذهبوا في
هذه البقعة لطاهرة التي يسمونها (المولى) فلما بلغنا (باب جنة) — وهو
كأقواس البصر الضخمة التي تقام في بعض المناسبات في القاهرة — ألفت
السلام همساً لأن صوت صاحبي الشيخ كان قد علا .. وهديره كان قد تعالى ..
والصيح المحفوظة كانت قد بدأت تنساب من بين شفثيه .. فرايلتني (الإشرافة)
التي كانت قد بدأت قبلاً تنسرب إلى أحاسيسي .. لأنني كما قلت لك أميل في
التعامل مع ربى إلى السر والتجوى .

وصلنا مكة إذن . مكة المكرمة حقاً .. سلام عليك يا أم القرى ..
وعفواً إن قلتها همساً فما أحب الجهر في حبي .. ولا الصيح المحفوظة التي
تنبى .. وإنما أحب الصيح بأبعة من قلبي .

آل سليمان . . والعبادة :

وأصر السائق أن يبعد تعليمات الوزير واتجه بنا إلى بيت الشيخ سليمان الحمد وترك السيارة واتجه إلى الخدم ليسألهم عن سعادة وكيل المالية فقالوا له : أنه صعد إلى عرفات وهو يطلب إليكم التوجه إلى بيت الشيخ محمد سرور الصبان لأنه في انتظاركم .

ظاهرة في الحرم :

وأدى الخدم رسالتهم في غير اكتراث وهي ملاحظة لانفوت الصيف آنذا . . ملاحظة أن الخدم في مكة وجدة يلقونك في استحقاق وبغير اكتراث وفيهم اعتداد إراء الصبوف . وفيهم خضوع بين أيدي سادتهم . ولست أدري إن كان يحق لي أن أستجد هنا بعم النفس ونظرياته أو علماء النفس وآرائهم . . فأرى في هذه الظاهرة دليلاً على ما يلقاه الخدم من قسوة بصرغها بالتالي على رؤوس كل من لا سيادة له عليهم . . صيوفاً أكانوا أم غير صيوف . . لست أدري هل أفزع إلى نظريات علم النفس إزاء هذه الظاهرة أم الخير أن أعبرها . لا سيما أن ما يطبق على الخدم في الحرم في الدور يطبق على الخدم في الفنادق . لا إن كانوا يوبيين أو أجاب مديرين ولم يكونوا مكيين . . ودع جابياً أن يكونوا بدواً أو نجديين

وهل هذه النظرية التي مستها تصح ونستقيم . . أم أن الصراط المستقيم أن ترد هذه الظاهرة إلى شتم الجبال في هؤلاء الرجال . . وإلى كبرياء يريدون أن يبدوها أمام الأجاب . . حتى يتحصوا صد احتقارهم من أي جانب . .

في دار العبادة :

وانتهت بنا السيارة إلى دار الشيخ محمد . . وقيل لنا (إنه في البيت الآخر) وعدنا نخرج من (باب حدة) إلى (الفيلا) الأنيقة الجديدة التي أقامها الشيخ خارج مكة .

وأحسن الخدم استقبالي ، سيداً ..

وأدخلونا إلى صالون فاخر يعبد إلى ذهنك أنحر الرياش في أنعم القصور
في مصر ..

وجاءت (القهوة) على (الطريقة العربية) وكان سقاة القهوة أكثر
شاشة وأوفر ترحيباً فقدموها إلى وإلى صاحبي في أدب حم .

وكان رأسي يدور .. ونفسي تسأل :

— لماذا يطوف ما هذا السائق هذه البيوت ؟ إنما صيوف الأمير سعود
من ساعة وصولنا المطار . كما قيل لنا ، وحل توصية الورير من ساعة توديعه
لنا في الدار . كما سمعنا بأدانا ، فلماذا لم ينتظرنا الشيخ سليمان ؟ وهل يستقلنا
أيضاً الشيخ الصبان ؟ أم بطل ودعة السائق ينتقل بنا من مكان إلى مكان ؟
ألم يكن من الخير لنا أن نزل صيوفاً على أنفسنا .. وأن نفتح بأموالنا
الأبواب أمامنا ؟ وأين الأح . عبدالله بالخير ، وكنت أتصور من رقة رسالته
أنه سيقم المملكة ويقعدها احتفاءً .. وأين مواطى عبد السلام وكنت
أتصور أنه يطير فرحاً — إذا ما رأى مواطنه الكاتب المصري قد نزل عليه
صيفاً — وهو مدير الضيافة ووظيفة ؟

وكل هذه الأسئلة النابية أعترف أنها
كانت تملأ رأسي ..

وأعترف أن عجبى . الشيخ محمد أجاب عنها
بل من يبد المحو عليها وخرجت من لدنه
سعيدياً إلى الحرم حيث الطواف والمعنى ..
واغتسلت صفحة قلبي من أدران الصدأ الذي
كان قد علاها أو رآن عليها .

عم .. لحاة .. وحدثت بين الخدم
حركة .. وافلت سيدهم من الباب داحلاً ..



محمد سرور الصبان

فارع العود .. شديد يياض الخطاب . شديد سمرة الوجه .. شديد
لمعة العين . خفيف حركة الجسم .. تحاله شاماً يافعاً وهو يطل على الستين
كما قيل . ضاحك السن .. طلق الحيا . مشوب الترحيب بلبقائك كأنه
أح لك من قديم .. ويحدثك فتى أملك الضيف وأنه المضيف .. يحسن
التشيل بالشعر إن عرست مامبة فيه كل المؤهلات التي تؤهله للمكاة التي
طهر بها .

كانت الجلسة طيبة وطيبة .. ودعا إليه السائق باسمه . وأوفد معنا تابعاً
يلارماً في الطواف والسعي ، وطلب إلى محمود (السائق) أن يحج معنا البيت ،
فاعتذر بأنه غير محرم .. فضحك وقال له إنه كان يتوقع ما به تذرع .. وإنه
أمر بأن تصرف له فوراً ملابس إحرام جديدة .. وأن تصرف له فوراً
نفقائه لأنه يعرف أنه مقيم في جدة وعليه الآن أن يلازمنا ولا يعود إلى
جدة إلا إن عدنا نحن إليها .

وأحسن الرجل توديعاً كما أحسن استعمالاً وأهديت إليه نسخة من
كتابي .. وكنت أعرف أنه صاحب مكتبة تعتبر فريدة في البلاد السعودية ..
وكنت أعتقد أن كتابي لا بد أن يكون ضمن كتبه أو ضمن مكتبته ..
ولكن الرجل كان مهتماً فلم يذكر ما يؤيد تشاؤمي . بل عني القيص قصص
على فقط أنه كان من المعجبين الذين تبعوا نقدي البرلمان في (البلاع)
سين وسين .

محدث في الحرم

وانحج بالسيارة إلى الحرم .. ومعنا التابع والسائق .
وملأنا الطريق إليه تلبية للداء الذي جاء . وهتافاً لرب الأرض والسماء .
وليس في بيتي أن أعرضها بالوصف لشعوري .. لأنني أميل الساعة
إلى تسجيل الأحداث ولا أميل إلى تصوير المشاعر .

قال لي صاحبي الشيخ :

- أظنك لا تحفظ الصبغ التي قال في الطواف حول الكعبة .

وقلت لصاحبي الشيخ :

- قرأتها أكثر من مرة ولم أعنى يوماً باستظهارها .

قال صاحبي الشيخ :

- اعتمد على لأن الحجّة كما تعلم هي الثامنة ولأني رجل دين وهذه

صاعتي . فسر إلى جانبي بدلاً من أن نسير إلى جانب أحد المطوفين .. وردد
معي ما أقوله .

- وهو كذلك .

قال لي هذا كله مراراً وتكراراً كما قاله قبل أن تبلغ الحرم .. ولكنا
ماكدنا ندخله حتى أطلق يدعو .. بكلام لم أؤمن أكثره . وبدأ منه أنه
اندخ في الله وسينى .. حتى بلغنا الكعبة .. وكان أهدأ وقت لها .. ولعله
أهدأ وقت في العام يمر بها . لأن الحجيج جميعاً كانوا قد صعدوا إلى عرفات ..
ولم يبق من حولها غير المطوفين المحترمين الذين لا يحجون .. وغير القليلين
من يطيب لهم أن يطوفوا .. لأن الطواف من حولها لا يكاد يقطع في أية
ساعة من ساعات النهار والليل كما قيل لنا وكما رأينا فيما بعد ذلك بأعيننا وهي
إحدى معجزات البيت المحرم .

وجرت العادة إذا ظهر الحجاج الأجانب أن يخف إليهم المطوفون
منافسين وأن يحفوا من حولهم في تراحم . ولكن يا عجباً .. إنهم جالسون
جميعاً . ولا يتحركون أبداً .

ولأنه لرجل واحد منهم .. وهو في الأغلب الأعم ليس منهم .

رجل عليه علائم الصلاح والورع . فيما بين السبعين والثمانين من العمر ..

أبيض الوجه مشرب بالخرقة .. أشيب اللحية بطيخها . صاقي النظرة وديعها
دامني في هدوء وهمس في أدنى همسا رفيق الغم كالموسيقى :

— تحب أطولك ؟

وأجبت في بساطة :

— أبوه .

ولاحظ صاحبي الشيخ أن (المطوف) التقطى .. فانصرف إلى طوافه
وابصرنا إلى طوافها حتى إذا ما فرغنا من الطوافات ... قلت لصاحبي
الشيخ :

— اعط الرجل حتى يرضى .

ذلك أن صاحبي الشيخ كان يحمل تحت إبطه حقيبة صغيرة مما يحمله
الحجاج لحل النقود . ولم أكن قد اشتريت مثلها جهلا مني فأعطيته كل
ما معي من مال ليحملة معه في حقيقته .. وكان مالي كله عملة مصرية .. ولم
يكن معي نقود صغيرة .. وكان مع صاحبي الشيخ منها الكثير فانفقنا على أن
ينفق ويحاسبني آخر يوم أو آخر حجتي .

ووضع صاحبي الشيخ يده في الحافظة وأخرج منها ورقة وأعطاها للمطوف
الصالح .. ولم يحل مخاطري إلا أنها ملع سخى . أو على أسد أمام الخرص
ملع معقول . .

وما كانت أشد دهشتي عندما رأيت المطوف الصالح يقزع من مطر
الورقة .. ويقفر بصعة أمتار وهو يروح بأكلامه تنويج من يقصى عنه شيئا
عيقا وقال صاحبي الشيخ محتجا على حركات المطوف الصالح :

هوه حر .. أما عارفهم كويس . هو أنا تايه عنهم ؟

ودنوت من صاحبي .

وكادت أعصابي تغلت من اليادة التي فرضتها عليها . ولكنني عدت

فذكرت قوله تعالى : لا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ، فصحت في صاحبي بصوت مجروح :

— إعطه حتى يرضى .

وأحد صاحبي عن حاطره ونادى المطوف . (تعال يا شيخ) وأصاف منغمماً (أنا أصلي تارفعهم كويس) .

وكرر صاحبي الداء . وكرر الشيخ التلويح بأكمامه . . لينخى عن وجهه الشح الذي أمامه . . وساهمت في استدعاء الشيخ بكل قوة في . . وبأعنى صوتي . . وعشاً حاولنا أن يقترب منا . . وأن نصرفه عن عناده . لقد أصر الرجل على ألا يأخذ مليماً . . حتى لم يبق أمامنا يد من التوجه والسعي واللدخ بالخرج في عرفات . . مخلفين وراءنا . . رجلاً له أسرارته . . وله إصراره . .

إلى عرفات :

وأتئمتا السبي بين الصفا والمروة .

ولا أريد هنا أن أوجه النقد الذي تكرر عشرات المرات بشأن المتاجر القائمة على جاني المسعى واختلاط الساعين ذهاباً إلى المروة وإياباً إلى الصفا بينات البعة والزبائن والتجارة . . بحيث يستحيل أن يقال أن (الساعي) في هذا الطريق يمكن أن يحصل نجياً لله .

لا أحب أن أسام في هذا النقد بعد أن علمت أن سعود بن عبد العزيز هاله ما هال كل ناقد . وقرر أن يترع ملكية الدور والمتاجر المحيطة بالحرم كله . ليخلو بيت الله وما حوله إلا للطنثفين والساعين . . وللعابدين الركع السجود . . فها بنا إلى عرفات . . ها بنا يمر بمنى وإنها لقرية وفيها دور وقصور . . وها إلى المزدلفة وأحيراً ها إلى عرفات . .

لقد طوت بنا السيارة هذا لطريق الطويل . . في يسر .

وكنيت الملح إلى اليسار طريقاً آخر .. تشقه السيارات العائدة ..
 كيف حدث هذا وكأت وعورة هذا الطريق .. يشيب لول وصفها
 الفودان ؟ كيف ؟ كيف شقت الجبال شقاً .. وكيف دكت الأحجار دكا ..
 وكيف رصفت الطريق رصفاً .. ثم كيف دار بك ثم استقام .. وعلا
 ثم هبط من غير أن تشعر بالعلو وبالهبوط ؟ إنها إحدى معجزات العلم
 في لقن العشرين .. تحققت بيد المهندسين العرب لأن مكة محرمة على
 الأمريكيين وأحيراً من صنع هذا كله يا محمود ؟
 وأجاب السائق :

— « الشيخوخ .. طوليل العمر .. سعود .. »

حسناً .. فلنسجل هذه عبراً تمهيداً للبحث .

وتذكرت أنني قرأت قبلاً أنباء هذا الطريق من إصلاحات ولي العهد ..
 وتبين لأول مرة مدى الفوارق بين السامع والرائي .. أو بين القاري
 والمشاهد ..

في مخيم الفندق :

— إلى أين يا محمود ؟

— مخيم الفندق يا عمي .

وفهما أن لدى السائق تعليقات يازالنا في مخيم فندق التيسير ... وعرفنا
 جل أشم قائم على سهل مبسط .. ولا أقول بواد غير ذي زرع أو في صحراء
 لا يرتد عنها الطرف .. ولا يحدها غير الأفق .. في هذا الحلاء يقف على
 الأقدام نصف مليون من البشر .. وليس فيه بلاء .. بل خيام تتراوح بين
 الصغر والكبر .. وبحبات الفنادق كبيرة طعماً لأنها معدة لمرء لاكثر ..
 وهالك طعماً بحجم أكبر معد للملك أو لولي العهد .. وفيه كان ينزل هذا العام
 الأمير (يومئذ) سعود والرئيس محمد نجيب .. وأمام مخيم فندق التيسير

وقفت بنا السيارة .

واستقبلنا الشيخ عطا الياس صاحب فادق التيسير وعظما هذا .. شخصيته
تستأهل أن ترسم وتستحق أن تحل وسيجي دورها في حينها فلندعها الساعة
إلى غيرها .

وأرض الخيم فرشت بالسجاجيد .. وفي حيام تابعة له أو ملحقة به
حيام أخرى صغيرة متناثرة لراحة من يحبون العزلة وفيها تناثرت بعض
المقاعد .. فوق السجاجيد أيضا . ها يطيب للجسم أن يرند إلى أصله وتعرف
إلى معدنه .. لقد كان يطيب لنا بعد أن جمعت الشمس إلى المغيب أن نستلقي
فوق الرمال .. ونفر من السجاجيد .. كان يطيب للأجساد أن تصافح
التراب لأنه الأصل واليسوع .. وهنا فقط تنهار كل الحواجز بين الأصول
والفروع

هنا . هنا :

ها نصف مليون من الشر . بينهم موك وروماء دول . وزعماء
شعوب وساسة وشعراء وكتاب .. وأقوام أصنتهم عبادة الله فتبدوا في إيراد
ناحلة .. وأقوام أثقلتهم أورار الحياة فتدوا حيارى أو نادعين يجأرون
كالنديع مليون ..

ها . هؤلاء جميعاً مساوية كأسان المشط حقاً .. متساوون أمام الله
والصائرن .. لا يحكم القانون العادل أو الجائر ..

ها .. هؤلاء جميعاً عراة إلا من فاش يستر العورة ويذكر بالكشف ..
حفاة إلا من نعال تقي الأقدام مضرة الحرارة والحصى .

ها .. هؤلاء جميعاً يرفعون إلى السماء أكتفهم في خضوع ، يلف في برديه
الجميع . ويصيحون في ساحة الله الواحد بهتاف واحد . ليك اللهم ليك ..
لا أعتقد أن في وسع دين من الأديان السماوية أو الوضعية . ولا أعتقد

أن في وسع قيم أمريكي تنفق عليه يد السحاة مئات الملايين من الدولارات ..
أن تقدم (على الطبيعة) أو (يد الصدقة) لوحة تماثل أو تقارب هذا
المشهد .. أنها الشريعة ترقى وإنه التجرد .. التجرد الذي لا تعرفه الحضارة ..
ولا يعترف به العلم .. إنه التجرد الذي يعيشه أجهل آدمى يقف على هذا
الحل ولا يصفه أكبر كاتب يحمل الأوراق والعلم .

• لييك اللهم لييك لييك لا شريك لك لييك .. إن اخذ والعمه لك
والملك .. لا شريك لك .

عبارات معدودة ومحدودة .. تنطلق من أفواه نصف مليون من البشر
وهم أقوى ما يكونون إرادة .. وأنظف ما يكونون صدوراً .. وأظھر
ما يكونون قلوباً .. وأشد ما يكونون التصاقاً بالسما .. وهم على الأرض في
هذه الصفوف وقوف

فربكوبه .. وفربكوبه

قد يكون من خحك أن تسأل :

— ألم يكن بينهم رجل تبذل منه الحس وقسامه لقلب .. وكان يخالس
الحجارة الطر .. أو كان يدبر لآح له أى شر ؟
وأجيب :

— نعم .. سهم هذه القلة الملعنة .. وهل تريد نصف مليون في قطعة
من العراء .. وتحت قطعة من السماء .. صحاح العوس والقلوب .. لا يتسرب إلى
أحدهم شيطان واحد ؟ بل أنا أعتقد أن من كبار القوم من أضلته المطامع فلم
يتجرد منها بل أوغل فيها .. ورأى في اجتماعه بمن هو أكبر منه نفوذاً في هذا
اليوم .. فرصة للبلق . فراح يفاق وبفاق ، وأفق جل يومه يلي نداء سيده
الكبير ولا يلي نداء الخالق الأكبر .

قد يكون .. وقد يكون .. وقد يكون !

وأما لا أتحدث عن أنفس من خمسمائة ألف . : إنما أتحدث عن أربعائة
وئسعة وتسعين ألفاً — تركوا بلادهم وأكبادهم وأموالهم — وبحروا عباب
البحر أو شقوا أجوار الفضاء .. ليقعوا هذه الوقفة في العراء .. وليتجردوا
من أدران الأحساب والأسباب .. وليكفروا عن قوائم الجرائم قبل يوم
الحساب .. وليهتفوا في صوت واحد .. وقلب واحد : : ليك اللهم
لييك ،

أهذا قليل في حساب الأحياء والحياة ؟

وهل هو قليل في قوانين القاء وفي ميزان الله ؟

كلا يا أخاه

إنه شيء عجيب

إنه إقرار عملي وقلبي وروحي بأنني لست إلا العبد .. وإله الواحد الأحد
والفرد الصمد

عبارات .. ووقفات :

وأحب أن ألفت بطرك إلى شيء آخر .. وإلى حقيقة أخرى .. أحب
أن أقول لك ان عبارة : (لييك) قد لا تحرك بين جنبيك عاطفة جارفة
وقد لا تثير في دهنك معنى كبيراً .. ولكك في عرفات غيرك ها ..
والعبارة ها غيرها هاك .. انها ها كلمات ذات حروف .. لا تزيد على
اللافة المطفأة .. أما هناك مفتاح النور موفور .. وبمجرد وقوفك في عرفات
إدارة لهذا المفتاح وأصررت مثلاً أقول .. حادثاً وقع لي .. في سورة من
السور .

كان من عادتي وأنا في مصر أن أقرأ سورة (لإيلاف قريش) ضمن
السور القصيرة التي أستخدمها في الصلاة .. وكنت أتلوها ميتة الحروف
لا نور فيها .. وذات يوم وقعت أمام الكعبة أصلي ركعتين .. وحجرت هذه

السورة على شفتي — بحكم العادة في الأغلب — ولكي أحسست ان هرة
تعروني .. وأن المفتاح أدير واللافتة اضيئت والحياة دبت في الحروف ..
والكلمات استوت واقفة .. والسورة تربعت على عرشها في صدري وأخذت
سمتها إلى قلبي .. واعرورقت بالدمع عيني ثم تسببت ولم اعد أدهش .. من
رحمت أتمهل وأنا أتلو :

.. لا يلا ف قريش .. إيلافهم .. رحلة الشتاء والصيف .. فليعبدوا
رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ..
وقل معي مرة أخرى :

« فليعبدوا رب هذا البيت »

وأنا الآن قائم أصلي لرب البيت في نفس « البيت » .. إن جدار البيت
ماثل أمامي .. إني في صحمه وفي صياقه ربه .. إن هذه الأستار المرخاة على
الجدار هي التي يعرج إليها المتنازع .. وينشذب بها المحتاح .. ويطلبها بالدمع
كل مسال .. يلتبس الهداية ، وكل ضارع يلتبس الإجابة ، وكل معوج جاء
لتقوم الاعوجاج .

وما من إنسان لم يطعمه الله من جوع في أحد المواقف .. أو لم يؤمنه
مرة من بعض المحاول .. وقد مر بذهي يومئذ كل الشريط الشخصي ..
شريط الماضي الحبيب والماضي البغيض .. شريط الجوع الذي لم يكفه مني ..
وشريط الخوف الذي آمنى منه وهذه رحلتني إلى البيت في الصيف ..
« اللهم اكتب لي عندك رحلة الشتاء .. »

وهكذا أدير مفتاح الورد .. وأصيبت اللافتة ودبت الحياة في الحروف
واستوت المعاني قائمة بعد أن كانت محجوة وراء اللافتة القائمة .. فعرتني
الهرة وكان ما ينبغي أن يكون .. واحتوا في الحال ههناال الدمع المتون .

إلى المزدلفة :

ولم يكن من برنامجي في هصولي أن أطاوع أبداً عاطفتي .. لكنها العاطفة
حماها الله لنا .. ولا حمانا منها .. طغت على .. كما ترى طغيانا — فأهدرت
عهدي لك .. ونسيت الأحداث أمام الإحساس .. وما نزال كما ترى في
عرفات وأخشى أن تصيق بالرحلة هذه الصفحات .

الخير إذن أن نفرغ من التلبية وأن نستقل السيارة إلى المزدلفة وأن
نقطع هذه المسافة القصيرة في ساعات .. وأن نوجه بعض النقد إلى قلم
المروء الذي لم يحسن التنظيم .. أو أن نقول لمن شق في الجبال طريق الذهاب
وطريق الإياب .. إننا ما نزال نطمع في طرق كثيرة للذهاب وطرق كثيرة
للإياب .. لأن عدد السيارات ورق ما تحتله طريق واحدة .

الخير إذن أن نص إلى المزدلفة على أية صورة .. وبعد أي زمن
وفي صدر الليل ..

إغماء .. أو نرملكة :

وقد جاء وقت .. وقفت بنا السيارة فيه .. فلا متأخر لها ولا متقدم ..
انتهى الشوط واستحالت الحركة وتزاحمت من حولنا الآماسي .. وتراكضت
في صدورنا الأنفاس .. وأحسنا بالحاجة إلى الفضاء والهواء .. وحيل إلى
أنى لا بحالة محتق .. وصرحت في السائق : (يا جدد أما يموت) .

وعرفت أخيراً أما على بعد أمتار من بحيم العندق في المزدلفة فتدفقت
بنفسي إلى حارح السيارة ونمعي صاحبي الشيخ وهدمتنا سائقنا المرشد ..
وكافنا في سبيل البهاء كهاح الأهل . شاقين الطريق إلى المحيم حتى
بلغناه .. فما كدنا ندلف من بابة إلى داخله حتى استنشقنا الهواء بملء الرئات
وعادت إلينا الحياة .

وكان المخيم في المزدلفة رديئاً على التقيص من المخيم في عرفات .
حتى الطعام لم يكن في المزدلفة غير (صاندويتش بالجبنه) ثم كان من
حظي أن يجيئني (الصاندويتش) من غير (جبه) مع قدح الشاي وكان هذا
هو كل العشاء ..

ونمت على أطراف مجاد بمزق .. واتخذت من حقيبة جلد صغيرة كانت
معنا وسادة .. ثم نمت دقائق نهضت بعدها لأرى جارا لي لا أعرفه يتوسد
حقيقتي ولأرى رأسى يتوسد التراب .

واتسمت .. وفلت في سبيل الله ما ألاق في المزدلفة .. وها فمط
يحلو العذاب ويعذب .

والى منى :

وما كاد انصجر بحى .. حتى بحثنا عن الماء للوضوء .. وبعد الجهد
ظفرنا بمجرات فضليا .

وبعد جهود مضنية اهتدينا إلى السائق والياره وأخذنا طريقا إلى
منى .. وفيها كما قلت لك مبان وفيها قصر الملك .. وفيها (فندق لتيسير)
الذى نزلنا عليه .

وبدأت الراحة من جديد ..

فلنسترح معا قليلا .

وللتنقظ أفساسا استعداداً لاستشاق الرحلة هالك .

بلغنا منى ..

ورحب يا فندق التيسير فيها .. وأوردت لنا غرفة تطل من ناحية على
(حارة) أو (زقاق) تطل على الطائفة الاسماعلية وتطل — أى العرفة —
من الناحية الأخرى على الشارع الرئيسى في منى .

ومع أن منى ، قرية .. فيها دور وقصور وبها سكان غير الروار فإنك

تشعر وأنت تقيم فيها .. أنك في (طلعة العيد) في أى إقليم مصرى أو في مدائن الإمام الشافعى بالقاهرة .. أو في مولد السيد البدوى بطنطا .

وفندق لتيسير فندق كبير (وله ملحظان في نفس القرية) ولكن الملحوظ فيه أنه مأوى للصحيح في يومين اثنين أو ثلاثة أيام من كل عام .. ولهذا تراخت يد الإصلاح عن إحداث أى انقلاب فيه .

مطرفى بطارد :

وفى هذا الفندق ، صباح العيد ، وحيث يتبادل الجميع عبارات التهنة والتبريك ، حدث لى حادث فاستمع يا أحى :

حدث أن كنت في (بيت الراحة) ، وأردت كهادى أن أنظف أسنانى . وجرء منها كان قد سرى إليه السوس من أيام التلذذ ، فاستبدلت به أساماً صاعية . فأخرجت هذه الأسنان لأنظفها يدي في الماء ثم أعود إلى أسانى الطبيعية الباقية فأنظفها بالفرشاة أو أسوكها أو أسننا ، كما يقول اللعويون . ولجأة وثبت الأسنان المصنوعة من يدى وثبا ، وانفلتت إلى المرحاض انفلاتاً وقصى الأمر ولم يعد هالك سبيل إلى التفكير لأن بيت الراحة صارب في أرض لقرية حيث لا يعلم أحد .. ووحمت .. وحدث ..

وبعد دقائق ابتسمت ، واغتسلت وعدت إلى العرفة في صمت .
ابتسمت يا أحى الذى يقرأ . ابتسمت يا من أبته هذا الذى أكتب .
ابتسمت لأن حكمة الله استوت أمامى ماثلة حتى لتكاد تتجسد .
وحملت رأسى باليد . وبدأت أفكر .

إن الرجل الصالح الذى طوف في حول الكعبة في الحرم ، ما يزال يطارد ، وهذه أول آية .

قد تقول أن الذنب ذنب صاحبي الشيخ وأما أخالك ولا أظلم صاحبي .
وأما أقول مدفوعاً في قولى بحساسية الضمير أنه كان في وسعى أن أفعل شيئاً

لم أفعله . وكان يحسن بي أن أطلب من صاحبي الشيخ جيباً من جديهاقي التي يحممها لي وأعدو حطب المطوف الصالح وأعطيته الخفيه برعمه ، وأبرىء دمي قبل أن أمضي إلى عرفات .

وحملت رأسي باليد . وبدأت أفكر .

إن المطوف الصالح ما يزال يطارد . هاهي دى بصع أسنن مصوغة قد تحلت عن فمي فأحدثت فيه جوة غير مستملحة ، وأصابتي بلثغة جديدة في مخارج حروف الثاء والذال والراء واللين والشين والصاد غير لثغتي الطبيعية في حرف الراء .. فكيف بالله أتق ولى العهد وأتحدث إليه ، وكيف أتلى أصدقائي أسادة سليمان الخد وعد الله بالخير وعبد السلام غالى ؟ بهم أصدقائي بالقلب أو بالقلم ، ولكي لا أقاس أحداً منهم ، ثم أن الحديث هو الوساطة الوحيدة لتي نعرفهم بعض بنسبى وتميط اللثام عن بعض شخصى .

وحملت رأسي باليد . وواصلت تفكيري ..

ولكن لم كل هذا ؟ لم تسبب اللى لا يسى قط ؟ لم شغلنى الخلاق عن الخلاق ؟ لم أعنى بالأمير ولا أعنى برب الأمير ؟ لم لا أحمد على هذا المكروه من لا يحمد على المكروه سواء ؟ لم لا يكون الخير العميم رايصاً وراء هذا الامتحان الرهيب .. أو كام فى ثيابه .. لحكمة أرادها الله ؟

ورفعت عيني إلى السماء وقد اخضلت بالدمع الذى لم ينهل ، وانتعت رضاي رايصاً وابتمت .

وسألى صاحبي الشيخ عما بي فقصصت عليه الحادثة .

وقال الشيخ ان الله لا يد مقذك بعد يومين على الأكثر .

واستطرد بفص الامر ، وأشهد أنه ما أفادنى فى رحلتى قط قدر ما أفادنى فى هذه المرة .

قال إن فى مكة طبيب أسنان مصرى اسمه (عباس كرامة) كان فيما سلف

من الزمان صديقاله ، يوم كان يعمل في القاهرة (صانع أسنان) وأن أحد أقاربه حمل صاحبي الشيخ (علبة) بها مسحوق خاص لصناعة الأسنان ينتظره (كرارة) بفارغ الصبر ، فعلى أثر مغادرتنا منى إلى مكة تقصد إليه ، وفي ليلة واحدة يصنع عوض الفاقد .

وقلت للشيخ :

— ولكم التشريفات الملكية صباح غد ، ونحضر ضيوف الحكومة ، ويحتم علينا الواجب أن نهنئ الأمير ، وسنقابل هناك لأول مرة في الحياة الأصدقاء سليمان أحمد وعبد الله بالخير وعد السلام غالى ، ودع عك الصبان لأنه رآنى من قبل وأنا سالم الأسنان .

وقال صاحبي الشيخ : ليهون الأمر :

— ياكر ، أحوك ما هو أخوك وأبوك ما هو أبوك .

ويقصد بالمثل المصرى : أن زحمة التشريفات لا تبه أحداً عني نقص أحد ..

في قصر الملك :

وفي صباح اليوم التالي أقلنا السيارة إلى قصر الملك لنهنئ ولي العهد بعد أن تحللنا من ملابس الإحرام .

أقبلنا على القصر فإذا مداخل كثيرة ، يتجه إليها المهتمون ليأخذوا أماكنهم في انتظار دورهم . ولكننى لمحت المدخل الأكبر الذى لا يسمح الصباط لغير الكبراء أن يدخلوا إليه ، وعرفته لأن أمانا أمين الحسينى مفتى فلسطين — وله في المملكة السعودية مكانة — كان يدخل السراى . فاتجهنا إليه وحاول أحد الصباط أن يرشدنا إلى مدخل آخر ، فقلنا له فى حزم وصلاية :

— لا يا سيدى .. مكاننا الطيعى من هنا .

وسارع صاحبي الشح يعرف الضبط السعودي في وكان الرجل مهذباً
فقال بصالحتي :

— مرجأ .

وأصبح الطريق بعد أن سأته عن الشيخ عبد السلام عالي فدلى عليه
بإشارة من يده وكان يقف على مقربة من مدخل الباب فصحت في عبد السلام
— تعال يا شيخنا يا عبد السلام .

وعرفني الرجل من فوره . وكان ذكياً حقيقاً واحتوائى بين ذراعيه
معانفاً ، وقدمت إليه صاحبي فعانقه ، وكنت أعرف صورة الشيخ من قبل ..
كنت أعرف أنه في الحلقة السادسة وأن لحيته المدببة بيضاء باصعة ، وأن
لون بشرته صارب إلى الحمرة ، وأن أطلال الوسامة ما تزال قائمة على صفحة
وجهه ، وأن عينيه براقتان تشعان قناعة وطيبة وذكاء . وبعد العنق قلت
للشيخ :

— وين أحى عبد الله يا شيخ ؟

وقال الشيخ :

— والله هو أكثر منك في السؤال عليك .. تعال .. تعال

عبر الله بالخير :

ونادى الشيخ أحنا عبد الله ، ولا أدري كيف عرف كل ما أحده واندفع
بـيه واحتواه بين ذراعيه ، وإن كنت أعرف أن نشرت له صوراً ، وأهديت
إليه صورة لي ، وكان طعماً قد تلقى برقيتي .

رأيت أسمى في صارب اللون إلى السمرة .. في وجهه نشاشة ، وفي أسانه
صحوة . وعلى شفتيه ابتسامة ، وفي عيبيه فرحة ، وفي برديه شاب . وفي
هرولكه نشاط ، وفي مجموعته ذكاء .

في هذا الشاب شيء لا أنريه على التحقيق يجذبك إليه . ويجعل لك أنه

هو أيضاً محذوب إليك .. فهل كان ذلك الشعور مـى خاصاً فقط بشخصي
أم أن كل من يلقاه يجد منه مثل الذى ألقاه ؟ لست أدري .

انجذب عـى الشعور بالغربة ، ولا أجامل أحداً إذا قلت إنى أحسست
ساعتئذ أنى بين أهلى فى (سواده) — قريتى — وفى (المنيا) — إقليى —
لا فى (القاهرة) عاصمة بلادى .

أحسست أنى بين أهلى فى صعيد مصر .. أو أنى عائد من رحلة طويلة
إلى مسقط رأسى لأريحه فوق التربة الركية التى استقبل الدنيا فوقها .

كنت سعيداً بهذا اللقاء معادة أنسى قصة أسنانى . ولا أدري إن كانوا
قد تنهوا على الفجوة فى فى أم لم يتنهوا .. ولا أدري هل أحسست الحديث —
وكنـت رهين اللثغتين — أم لم أحسـته .

سليمان محمد والصبابه :

وكل الذى أدريه أن عبداً لله بالخير لم يدع لى وقتاً أفكر فيه ، وإنما جدسى
من يدى قائلاً :

— تعالى يا أنهى محمد .. الشيخ سليمان الحمد يريد أن يراك وينتظرك
يفارغ الصبر .

وفى نفس الجو وبفس الحرارة كنت أعاق شاباً يفيض رجولة — على .
الجسم وأسع العينين منسوط الوجه صاحك الثغر مشبوب الترحيب
فأحسـت من القلب أنى بين قوم يحبونى من القلوب ، وأقبل الشيخ محمد
سرور الصبان بصاغى مصافحة الصديق القديم ولم يكن فى ساحة طبعاً إلى من
يقدمنى إليه وقد زرته فى بيته كما حدثتك قبلاً .

وقال الشيخ سليمان إبه سيرانى بعد الحج طبعاً وسيرانى كثيراً .

ومال الشيخ عبد السلام إلى أذنى وقال هامساً :

— امضى ثلاثة أيام أراك بعدها كل يوم في الفندق .
وكنت قد قدمت صاحبي الشيخ إليهم جميعاً ورحلوا به ترحيلاً .

في مفضرة ولي العهد

واحتدني ، بالخير ، من يدي ووضع ذراعه تحت إبطي واندفع إلى
حيث الأمير ، يومئذ طبعاً ، لأرفع إلى سموه تهاشي وصب في أدنى حلاصة
دكية وسريعة للتقاليد المتبعة .. حتى إذا دلف إلى قاعة التشريرة الكرى لم
، بلخير ، أطراف عاتيه وهول أماما صوب الأمير .. هوقب الأمير
لاستقبالنا فاسرعنا الخطى نحو سموه .. فالتحني ، بلخير ، وهو يقول بلامير :

— الأستاذ محمد السوادى صاحب جريدة السوادى .

ورأيتنى أصافح سعود بن عبد العزيز لأول مرة .

ودار رأسي أو كاد يدور .

كنت أعرف أنى سألقى ، سعود ، في ربه العربى الطيف السيط .

وكنت أعرف صورته التى نشرتها في جريدتي أكثر من مرة .

وكنت قد عرست لشخصيته بالتحليل على صوء دراساتي له — من
أعماله وخطبه وصورة — ومن غير أن أراه أو ألقاه .

ولقد قبل لى في القاهرة ومن سعوديين كبار إني أجدت تصوير شخصية
الأمير .

ومع هذا الشاء الذى أنجب توامعى أشهد أن كل ما كنته عن سعود
انهار أمامى وثوارى عنى وأنا أصافح الرجل .. ثم وأنا أحقق فيه .. ثم وأنا
أستاذنه في أن يأذن لنا في الانصراف .. ثم وأنا أصافحه مودعاً .. ثم وأنا
ألقاه مرة أخرى بعد الحج مهتأ سموه بالقيادة العليا التى تنازل عنها جلالة
الملك عبد العزيز لولى عهده .

إن شخصية جديدة للأمير سعود طالعتني من خلال هذه المقامات التي التي حظيت بها وهذه الدقائق التي قضيتها معه . . شخصية تعيد إلى الأذهان الجلال في بني العباس والتي في صدر الإسلام . . مفرونة بالحضارة الحديثة في هذه الأيام . . يزينا تواضع ميب وإيتاس حبيب وبسطة في الجسم تشير إلى القوة . . وحركات متحفظة تذكرك بأنه ملك .

تناولنا القهوة العربية . ثم جاءنا أكواب عصير البرتقال ثم استأدما في الانصراف فأذن . . وابنس وودع . ليحيى الفوح الذي يلينا . . ثم حرحا لوداع الصبح وانتفق معهم على أن يلقاهم بعد أيام الحج الثلاثة الباقية .
ونحملنا وعدنا :

وواضح أننا كما قد تحملنا من ملابس الإحرام قبل أن تتوجه إلى قصر الملك لهني ، ولي العهد بالعيد الأكبر . . كست أردى سترة من (الشارككين) الأبيض وبطلونا من لصوف (الرمادي) وهو اللباس الصفي الشبيه بالرسمي وكان صاحبي الشيخ يلبس حبة سونا تحتها (قطية) حيلة . . وهما اللباس الرسمي للتشريفات أيضاً على الطريقة المصرية على الأقل .

عود للوزير :

وقد علنا من السائق في أثناء عودتنا من القصر إلى الفندق أن (للوزير) قصرأ في مي ، وأنه لابد أن يكون يومئذ فيه ، وكالة (الوزير) كما قلت لك قبل لا تعني إلا الشيخ عداة السليمان (وزير المالية والاقتصاد) فرأينا أن نمر بماله لنترك بطاقتنا مهتين بالعيد .

وفي الطريق كما نسال الشرطة عن بيت الوزير وأحيماً كنا نسال الساية من الأهليين فكان الخيع يقولون لنا في ساطة لطيفة (تريدوا بيت عبد الله السليمان ؟) ويرشدونا إليه .

(بيت عداة) مجردة من كل رتبة أو لقب .

ظاهرة حيدة تلقاها أدمك في كل مكان كلما سألت عن شخص بالغاً
ما سمع قدر هذا الشخص . . لا بك ولا ياشا ولا معالي ولا سعادة . أنه
(ست عبد الله السليمان) وكفى . . وليس هذه الظاهرة إحدى الفضائل التي
خلفها صدر الاسلام حيث أشرق وقام .

الشعوب الإسلامية

وقد أن نودع 'مى إلى مكة لطوف طواف الإفاضة ونختتم شعائر الحج
يهنى أن أقول لك شيئاً عن الشعوب الإسلامية . . شيئاً عاراً لا أقصد به
إلى الدراسة وإنما أمحل فيه مشاعر حالتي وحقائق تستأهل أن تسجل . .

في 'مى وعمرات والمردلة ومكة يجتمع نصف مليون من البشر . .
يستحيل عليك أن تحتجع عن أجاسهم وبيئاتهم وألوانهم ولغاتهم وعاداتهم
وبوكت تملك مئات الملايين من الحبيات ونفود الملوك والأمراء وصرت
في جناح الأرض عمرأ . . ودعت الكرة الأرضية طولاً وعرضاً .

أجن . . .

ليس هناك خمس واحد في أى إقليم من الأقاليم في أية دولة من الدول
س في أى مجهل من مجهل الدنيا إلا ومنت هناك ساء ورجال وشيوخ وأطفال .

ها تلتقي بالعالم الإسلامى كاملاً غير منقوص ، وها تدرس كل النبات
والأجناس ولا يعجزك غير جهلك باللغات . وأعتقد أنى بلغت من هذه الدراسة
المبلغ الذى وسعنى ، وواضح أن هذه الدراسة تتطلب المجلدات الضخمة وكل
الذى أحب أن أثبتة ها أسف عميق على تخلف هذه الأمم . أو قل أن البون
بين مستوانا نحن المصريين (وبرغم شكوانا من هوانه) وبين مستوى الكثرة
من هذه الأجناس أكبر بكثير جداً من البون بين مستوانا ومستوى
الشعب الأمريكى ، أو البريطانى .

أتريد مثلاً يقرب إلى فعلك الحقيقة ؟

قلت لك أن غرضنا في الفندق كانت تطل من إحدى جهتيها على (رقاق) يعلقه المني المعد (لتكية الطائفة الاسماعيلية) في منى ، وفي هذا (الرقاق) صبور ماء من الصاير التي أعدتها الحكومة ليشرّب منها الحجيج بجأناً ، ولكن هناك طوائف من حمة القرب يطلون طول يومهم ينشاجرون حول الصور ويتزاحمون على صورة مروعة يدوس القوى خلالها الضعيف ويهين الصبيان الشيوخ حتى يرخي الليل سدوله وتهدأ حركة الزحام ، ولو أنهم لا يسون وهم يتهاشكون ويهمون بالتصارب أن يقول أحدهم (صلوا على النبي) فيكفوا عن الصرب وناعت الشجار أن هؤلاء الفقراء يملأون هذه القرب ليبيعوها للحجاج في دورهم لقاء بضعة قروش .. فإذا أرحى الليل سدوله حرح أفراد الطائفة الاسماعيلية لاحتلال هذه الحففة ، أو هذا الصبور .. ليغسوا ثيابهم وليغتسلوا عرايا في الطريق العام ... وعلى مرأى المارة من الرجال والنساء .. وعلى الصورة التي كان يعيش عليها ابن العابة في مستهل اوجود الإنسان ، وفي بدانية باردة لا تميز الحسن من القبيح ، ولا تعرف ما نسميه الحياء ، وتدهش وأنت تسأل : أهؤلاء مسلمون ؟ وهل سمعوا يوماً عن الإسلام وما أرسى من قواعد للجمعات وما رسم من حدود للاستحياء ؟ ثم هن تسأل بعد هذا ، كيف استعمر الغربيون بلاد المسلمين ؟ طائفة الاسماعيلية المهمللة الثياب هذه هي التي تهدي إلى زعيمها في أعياده مثل ورنه دهاً ومثل وزنه ماساً .

إلى مكة .

والآن دعنا نأخذ طريقنا إلى مكة ، ولا نحل لأن أتحدث إليك عن الشياطين الثلاثة التي حصناها بالحصى ... فقد سبقني إلى الحديث عن شعائر الحج عشرات من الكتاب ، وحسبي أن أنب بك إلى إفاعة الطواف ولتم شعائر الحج ، وحسبي أن أنب بك بعد الإفاعة إلى فندق التيسير في مكة بعد إد أصبحنا حجاجاً .

الفصل الرابع

قصة الفنادق

ويخيل لي أن بك رغبة ملحة في أن تعرف شيئاً عن فنادق في البلاد السعودية . وأن هذا قد يبرر الطريق أمامك إن أتت شددت الرحال يوماً إليها حاجاً أو معتمراً . أو تاجراً أو موظفاً

(١) في مكة الفندق لفاحر العجم ، فندق الراهر ، الذي نزل عليه اللواء محمد نجيب في هذا العام .. ولم ينزل عليه سواه .

(٢) وفي مكة ، فندق مصر ، وله في مصر اسمه وسميته .. وجل المصريين ما يزالون يعتقدون خطأ أنه ملك (بك مصر) وأن البك هو الذي يديره .

(٣) وفي مكة ، فندق التيسير ، الذي نزلنا عليه .

ولكل فندق من هذه الفنادق قصة أحب أن تلم بأطرافها .

قصر الزاهر

كان جلالة الملك عبد العزيز قد بنى على أثر زيارته لمصر وعلى مشارف أم القرى قصراً شاماً طبق الأصل من قصر العفران في القاهرة ، وأسماه قصر الزاهر .

وكان الملك عبد العزيز قد تأثر من جلال الاستقبال الذي لقيه من مصر — حكومة وشعباً — وآمن بأن خير العروة في توثيق الصلات بين بلاده ومصر زعيمة الشرق العربي فأراد جلالاته أن يقول التاريخ يوماً أن العاهل الكبير ذهب في التكريم لمصر والمصريين إلى الحد الذي يقيم على ربي مكة قصراً على هذا النحو للذي كان مفروضاً يومئذ أنه يرمز لمصر ، وعين صديقاً

الشيخ عبد السلام على مديراً لهذا القصر ، وكانت لفظة بارعة من العاهل أن يعين هذا الرجل في هذا المنصب .. لا لفضله فحسب ولا لما عرف عنه من إحسانه استقبال الضيوف فحسب .. وإنما لأنه (مصري الأصل) .

وشاء الله أن يتصرف فاروق عن هذا ، الواجب العربي ، الكبير .. الذي يحسن معه ركناً من أركان الدين .. فلم يرد الزيارة لصاحب القصر . في تلك الفترة رأى وزير المالية السعودية — الشيخ عبد الله السليمان — أن رؤساء الدول في حاجة إلى قصر يماثل قصر الزاهر ، يملكون عليه صيغاً إذا هم حجوا بيت الله . فاستأذن الوزير في تخصيص بيته القمخ الكبير . القريب من فندق التيسير . لهذه الأهداف .. وأن يحسن منه فندقاً للأثرياء من الأضياف .. والكبير المدعو ينزل عليه صيفاً ، والكبير غير المدعو يجده فيه فندقاً .. وأذن الملك في تحقيق هذا الهدف وأطلق على بيت الوزير ، فندق الزاهر ، على غرار (قصر الزاهر) ويمتاز عن فندق مصر والتيسير ، بأنه مكيف الهواء فاخر الرياش .

ولكن يبدو — وقد قامت الثورة في مصر ورحل الملك السابق إلى إيطاليا — أن الية انصرفت إلى تخصيص (بيت الوزير) لرؤساء الدول فقط .. لأن أحداً من أثرياء الخليج لم يجده فيه هذا العام فندقاً .. وإنما فتحت أبوابه لاستقبال الرئيس اللواء محمد نجيب ولم يستقبل بعده أحداً .. ونزل أمير الحج المصري على فندق مصر ، كما نزل عليه كبار الحجاج وزعماء المسلمين .

وهذه هي قصة قصر الزاهر ، و فندق الزاهر .

فندق مصر

أما فندق مصر فكانت له المرتبة الأولى منذ تعاون طلعت حرب وعبد الله السليمان على إنشائه ومنذ تولى المقاتل المصري محمد حسن العبد هذا الإنشاء ،

وتولى (ملك مصر) إدارته في راحة ومهارة .. واحتير له شاب من الشبان المصريين تخصص في دراسة الفساد في سويسرا .



وكان الاتفاق بين
المرحوم طلعت حرب
والوزير عبد الله
السليمان قد تم على إقامة
فندق عمائر في حدة
ومدى ثالث في المدينة
ولكن المؤامرة التي
جسدت حول رعيم
مصر الاقتصادية فتحت

فندق مصر بمكة

عن إدارة السك . « وقتئذ في نفس الوقت إلى التخلص من الإدارة المصرية
لفندق مصر في مكة .. ولما كان الفندق من الناحية المالية قد أقيم بأموال
الوزير السعودي فقد تقدم إليه أحد أصحاب الملايين من السعوديين وهو
(صدقه كمكي) يرغب في شرائه . ونمت الصفقة وأصبح « فندق مصر »
الآن فندقاً مصرياً بالسمعة والاسم .. وفندقاً سعودياً باللحم والدم .. وإن
كان الشاب المصري الذي يديره ما يزال قائماً على إدارته يعاونه مواطن
سوداني .

ويمتاز الفندق أول ما يمتاز بالخبرة الهائلة للحرم .. فالدار في « فندق
مصر » يسمع الأذان في المسجد الحرام ويؤدي الصلاة في غير عنا .. ويتردد
على البيت العتيق في أي وقت يشاء .. وهذه ميزة كبرى .

والميزة الأخرى .. حسن الإدارة فيه .. والمشرفون مصريون
وسودانيون .. والخادم مدربون .. وداحل كل حجرة نوم حجرة حمام
كامن .. وتهوية بالمراوح .. إذا قيست غرفات الفندق بالغرفة التي استرحت
فيها يوماً .

أما مساوته فهي جوه لأنه قائم في حضن الجبل .. فالشمس تصلبه طول
اليوم نارا .. وإن كان يطفئ من الحرارة فيه عناية الفندق بالتهوية .

فندق التيسير :

أما فندق التيسير فأكبر ميرة فيه وقوعه في صاحبة (الجرجول) وهي
بالنسبة إلى مكة .. كعصر الجديدة أو (العباسية) على الأقل بالنسبة إلى
القاهرة .. فالجو فيه لطيف ، وما أحوج الحجاج إلى لطف الجو في
موسم الحج .



فندق التيسير بمكة

وكان فندق التيسير إلى وقت قريب يحتل المرتبة الثالثة بين الفنادق
الثلاثة .. ولكن بعد الإصلاح والتجميل امتدت إليه .. فأقامت غرفاته على
الطراز الحديث ، وأقامت طعمه حديقة بلغتنا وستانا بلغتهم ، وفيه يحلو سهر
الحجيج ويطول سمرهم .. وإليه يفزعون بفراشهم كلما اشتدت حرارة الجو .
على أن مساوىء فندق التيسير وجود (ماكنة نور) فيه ترسل إلى
الآذان صيحجها .. وتتقاضى من الأعصاب ثمناً فادحاً للإنارة على القيص
من (فندق مصر) الذي يملك آلة مماثلة لا تسمع لها حساً .

وفندق التيسير برغم بد الإصلاح والتجميل ، لا يزال أقل عناية بالرياش
والطعام من (فندق مصر) وإن كان موقعه يرقى به إلى الوقوف معه جنباً
إلى جنب ، ين إلى التفوق عليه من حيث الجو وأثره في الأعصاب ، ولهذا
تساوت أجور الصديقين ، وهذه المساواة في الأجور اعتراف فعلي بالمساواة
في المرتبة .

وللحكومة الحق دائماً في إزال صيوفها على أى الصديقين . . وتسوى
حساباتها معهما بعد انتهاء كل موسم .

المصادر في جدة

أما لمصادر في جدة فثمة طبعاً فندق التيسير وفندق الشرق وفندق التوفيق
وفندق لساتين وليس لفندق مصر فرع كما سبق القول .

وفندق اللساتين في جدة يماثل (فندق الزاهر) في مكة مكيف الهواء
ويبرل عليه رؤساء الدول وزعماء المسلمين الصيوف ومن شاء أن يدفع أجراً
صحيحاً يماثل أجر (فندق الزاهر) في مكة .

وفندق الشرق تغلب فيه الأناقة على الضخامة ويمثل المرتبة الثانية .

وفندق التوفيق يمثل الدرجة الثالثة .

أما فندق التيسير فبناء قديم خلق منه (العم عطا . .) فندقاً مقبولاً عما
أدخل عليه من تحسنات ولكنها تحسيات العطار الجار يقاوم بها ما أفند
الدهر . فلا سبيل إلى تغيير في أوضاع السلم الصاعد من هنا والآخر الصاعد
من هناك . والعرفات المتداخلة التي تصل إلى الواحدة منها باجتيار الأخرى
فتصح هذه عمراً وتصبح تلك محسناً . ولاستان يشبه أحاه الجائهم في صاحبة
الجروول بمكة . . لأن التيسير في جدة يقع على الشارع الرئيسي فيها فلا فسحة فيه
ولا فضاء حواله . . وخير ما يصنع لهذا الفندق أن يهدم من الجدار وأن يقام
من جديد (وميرى حجاج العام الجديد ١٩٥٤) فندق الكندرا الفخم الجديد
أقامته شركة مصرية سعودية لتزاحم به فندق اللساتين) .

وجدة التي وثبتت في ست سنوات بفضل عبد العزيز وسعود والأعوان من ميناء قديم مخرب يقطعها خمسة وعشرون ألفاً إلى ميناء جديد عالمي يقيم فيها ربع مليون من الألفس . . جدة هذه في حاجة إلى فنادق أرقى وأرخص .

المدينة المنورة :

أما المدينة المنورة فليس فيها غير فندق التيسير الذي يملكه (العم عطا) نفسه ويديره ابن أخيه . . ويضم هذا الفندق مئات الحجرات ولكن المبنى أثرى قديم عاصر الأتراك وغير الأتراك وكان في الأصل ثكنات للجيش الذي كان يقوده محمى باشا أيام الحكم العثماني ولم تكن به حمامات . . ولا أية مشاة حديثة ولكن (العم عطا) استطاع أن يزحف بالإصلاح إلى مبنى غير قابل للإصلاح فأشأ (حمامات) تشارك فيها بعض الغرف ولم يستطع أن يفرق بين الغرفات فلجأ إلى المساواة في الرياش والأثاث فلم تعد هناك درجات متفاوتات .

على أن المدينة المنورة في حقيقتها ليست في حاجة ملحة إلى الفنادق حاجة مكة أو جدة لأن أهل المدينة مضيفون مثاليون ويوتهم بطيعة وكرامة ومعدة دائماً لاستقبال الحجاج .

وأهل المدينة يغلب عليهم طابع صدر الإسلام فالنارل عليهم يلقي الأخوة والشاشة والإكرام .

وعلى ضوء هذه الحقيقة لا أطالب بالمزيد من الفنادق وإن كنت أطالب يد (لم عطا) السحرية أن تزحف بمزيد من الإصلاح إلى فندقه .

في الطائف :

أما الطائف — مصيف المملكة الفاتن — فتقع على ارتفاع شاهق وفيها الخصرة والعيون والزرع والنجيل والماء السلسيل والهواء العليل فلا تتطلب في هجير الصيف أى تبريد ولا تعرف (الثلج) الذي هو ترياق مكة وجدة

ومع ذلك لمس فيها غير فرع متواضع لفندق التيسير .

وَأما لم أزر الطائف برغم وجود جلالة الملك عبدالعزيز فيها وبرغم رغبتي الملحة في أن أملاً عيسى من الرجل الذي صبح يديه تاريخ الجزيرة . . وقد حرمت نفسي هذه الأمانة الحية تلافياً لما عسى أن يلحق سمعتي بعد أن سبقني إليها من سبقي من بعض المواطنين ، وترامت إليها ألباء تصرفاتهم فلم يكن بد لي أن أحفظ كرامتي من التصحية بأغلى الأمانى عندي . . وهي زيارة الطائف بزيارة الملك .

وعود إلى فندق التيسير في (الطائف) — لقد قيل لي إنه شيء أعيد ما يكون عن الراحة وإن المصيف في حاجة إلى فادق نظيفة أخرى . ولكن يبدو أن الحركة في الطائف لا تشجع على معامرات أصحاب الفادق . لأن أحداً لا يزورها من الجميع إلا بعض الباهيين إن حل بها الملك أو ولي العهد . . وهذا الحلول غير مكفول في كل عام ، وإن كانت (الطائف) قد طهرت بهذا الخط في هذا العام وطب للبلد أن يظن فيها المقام .

والآن نعود :

والآن نعود إلى فندق التيسير في مكة حيث معتزم أن نقيم ، وكان الشيخ عبد السلام عالي — بوصفه مدير الصياغة — قد مال إلى أدنى ونحن في القصر الملكي بمى ثاني أيام الأصحى وقال لي :

— ستذهبون الآن إلى فندق التيسير فاحتلوه ثلاثة أيام حتى ألحق بكم وأعد لكم مكاناً أكثر ليافة .

وشكراً للشيخ هذا لشعور المطوى على التقدير ، وقلنا الأمر على مختلف الوجوه ، فاستبعدنا (فندق الزاهر) بعد أن قيل لنا إن أحداً غير الرئيس محمد نجيب لن ينزل عليه في هذا الموسم .

وإذن فالشح لا يعنى إلا أن ينتقل بنا إلى (فندق مصر) حيث ينزل

أمير الحج المصري وبعثته .. وحيث ينزل أصحاب الأسماء اللامعة من زعماء
الحجيج ولكن ..

ماكدنا بحث الأمر حتى اعتزمنا أن نعتذر من عدم استطاعتنا الانتقال
إلى (فندق مصر) لأن « التيسير » في ميزاننا أكثر رجحانا وأحف ظلا ..
والطف هواء .. وأدى إلى الجو الرقيق السميع الذي نجه ونركن إليه .. إنه
في صاحبة كما قلت لك .. وفيه سائين نمرح فيها أحراراً .. وفيه الصحفيون
المصريون الذين ألفوا أن يحجوا في كل عام ، وبما رغبة في الوقوف على
أحوالهم .. وليس في (التيسير) بثبات أو هيئات أو زعماء يستتبع وجودهم
مراعاة بعض القيود والقيام ببعض المراسيم التي أمر منها بطبعي .

صح لعزمي إذن أن أعتذر للشيخ عبد السلام عبد مايم عفا تخفى في
تغير الإقامة ، ولكن الشيخ أعفانا من مهمة الاعتذار لأنه لم يكلف نفسه
مشقة العرض الجديد علينا .. وحسنا فعل .

المطوف الصالح :

وكان هي الأول على أثر عودتي إلى مكة واستقراري في الفندق أن أستخدم
لعربة التي وضعت تحت تصرفي طوال مدة إقامتي في البيت الحرام في أثناء
الليل وفي أثناء النهار عسى أن أهتدي إلى (المطوف الصالح) لأدفع إليه
بالأجر الذي له في عنقي .

ويا عجبا للمطوف الصالح .. عثرت على المحترفين من أهل مكة جميعاً حتى
الصبية الذين لا يجاورون الأحاد عشر عاماً والذين يتصيدون الرنوح
أو عشرات الهود يرددون من حلف الصبية ما يقولون غير مدركين ..
إلا مطوف في الصالح فلم أقف له على أثر .

والمنصف المصري :

ولكن يحصرني في هذا المقام حادث يستأهل التسجيل حقيقة :

فقد حدث ونحن عند طيب الأسنان أن جاء المغرب ونحن على مقربة من الحرم وطاق يذهني أن تؤدي هذه الصلاة فيه .. رجاء أن نخرج منه إلى بيت الشيخ عبد السلام عسى أن يكون قد عاد من جدة إلى مكة لنسلم عليه ونحييه وبعد الصلاة أخذنا طريقنا إلى الخارج وقبلة الحجر الأسود أو الأسعد .. وفي الصحن الفسيح المليء بمختلف الأجناس .. لاح لنا من بعد أحد الصالحين في حالة استغراق صوفي عجب .. فهاكنا روعة استغراقه ولم تبين ملامح وجهه لأنه كان في جلسته يولبنا طهره .

وما كانت أشد دهشنا أن كان الرجل العائب عن الوجود هو صديقنا الذي أريد أن أروره .. الشيخ عبد السلام غالي .. ومن ذلك الوقت آمنت بأن الرجل ضارب في « الحقيقة » بهم .

عزلة طهر منها .

ومرة أخرى ، أعود بك إلى « التيسير » .

هنا نحن أولاً . نحتل غرفة جميلة في الطابق الأول نطل منها على البستان وباهرة الماء والناثمين الساكبين الذين لا يطبقون الحرارة في الحجرات فيهجرونها ومعهم فرائشهم إلى نمائى البستان ، يتوسطهم سرير صغير أنيق يأوى إليه (العم عطا صاحب الفندق) إذا ما جن الليل .. فيذكر الله من داخل « الدومسية » كثيراً ويسبحه طويلاً .. حتى يدركه النوم فيسام .

وهنا نحن أولاً . نعرف أن للطعام « صالة » ، أو قاعة مستطيلة وإن الطهاة مصريون من طهاة الطبقة الوسطى وأن هناك « صبية » من الحاس يوقع عليها أحد الصبية طرقات معينة في أوقات الإفطار والغداء والعشاء فتدور في جسات الفندق أصداؤها ذات الرين تدعو البازلين إلى الطعام .

والجو في مكة هذا العام ، كان معجزة من المعجزات .

قال لنا أهل مكة وجدة أن أحداً من المعاصرين لا يعرف عاماً رق فيه

الجو وراق .. كهذا العام .. فباركت يارب .. لمن من الجميع كان هذا الإكرام البهيج ؟ هو وحده يعلم .

عظيم .. عظيم .

وما هم أبناء الصحافة يدعوني إلى المكان المختار لهم في البستان لنسهر ونسمر .. فهل أحقق مطلبهم أم أظل بمزل عنهم حتى أعرفهم ؟

وصعت هذا السؤال نصب عيني . وعيت بالإجابة عنه قبل أن ألبى مطلبهم .. فمنهم من لا أعرفهم ومن لم أسمع بأسمائهم قبلاً .. وهم هنا في مكة من قبل الحج بأسابيع فما هي أهدافهم يا ترى ؟ كل هذا لا أعرفه .
وإذن فلي أن أعرف أولاً .

وهكذا استطعت أن أجيب عن السؤال فأقرر الاعترال .. أنا وصاحبي الشيخ .

وأدرك الأخوان — بعد محاولات جمة — أن لا فائدة من هذه المحاولات وأن الخير في أن يدعوني وشأني ، وقد احتلوا هم البستان الفتان داخل الفندق ، فلتنقع نحن بالبستان الصغير الواقع بمدخله والمفروش بالسجاد القديم الهادي . ولتقر إليه الوسادات الفطيفة ليلاً ، ولتبسط أجسامنا أحراراً فوق هذه البسط .

وهكذا عرف من في الفندق جميعاً أنا — لسبب أو لآخر — لانتحب الاختلاط بأحد ، وأنا نحيي الرملاء ، كلما التقينا بهم عبراً ، تحية تليها الجمالة ويقتضيها الأدب ولا شيء أكثر .

بسم الله الرحمن الرحيم :

وبعد يومين ، وفيما أنا وصاحبي الشيخ فوق هذه البسط ، إذا باثنتين لا أعرفهما أقبلا علينا مسليين ، وقد ما لي تقسيهما وعرفت منهما أحدهما من أسرة الأهرام ، الغراء .

و. الأهرام ، جريدة كبرى كما تعلم والمنسوب عنها لا بد أن يحترم .

قلنا : إن للأهرام في هذا العام بعثة مؤلفة من ثلاثة ، وأهم ليسوا
من المحررين ، بل هم مدويو إعلانات أودتهم جريدتهم لعمل عدد خاص
بالمملكة السعودية في هذا الموسم ، وأن الخط لم يحالفهم والريح لم تهب طيبة
رحا ، بالنسبة إليهم ، وأنهم يعرفون عن كل حلقى وقد رأوا أن يلقوا بالعبء
على عاتق ، ويطلبوا المشورة مني .

وراحت هما وسألتهما عن ربيتهما الثالث ، فخلا أنه من حريجي الجامعة
الأمريكية الملحفين بقسم الإعلانات لكتابة صيغ ، وأنه مصروف عنهما إلى
صحفي ماكناتي قادم من لندن يطلب من الحكومة السعودية عونا ولا يتكلم
العربية .

وطلبت إليهما أن مصا على تفاصيل أمرهما وبدأ الاثنان يعصان .

قال أحدهما ، وقال الآخر ، وأقول أنا ، ملخصاً لك كل حديثهما ، أن
قسم الإعلان في الأهرام ، كان قد رأى أن يصدر في موسم الحج هذا العام
عددأ ، خاصاً ، باس به الأعداد الخاصة التي أصدرتها بعض الرميلات قلا .
وقالا ، الرميلات ، أن الأمر كان قد عرس على أميرين كبيرين دوى شأن ،
عد وجودهما معاً في القاهرة قل موسم الحج نشور . وأن الأميرين رحبا
بالفكرة أيما ترحيب ، وأصدرا إلى السفارة السعودية في القاهرة تعليمات في
هذا الشأن ، وأن السفارة رحت هي الأخرى بدورها . وأن الأهرام ،
عن صوء ذلك الترحيب القديم أودت اثنين ، الرميلين ، من أقدم المشتغلين
فيها بقسم الإعلانات ، وودتهما بالرميل الثالث الذي هو في حكم المحرر
ليتولى تحرير ، الإعلانات التحريرية ، وصياغة ما يحتاج إلى الصياغة

وقال ، الرميلان ، أن ثلاثتهم جاءوا طائرين ، على نفقة ، الأهرام ،
وأن الإدارة زودتهم بمبلغ من المال يكفي لإقامتهم وحفظ كرامتهم ، وأن
القصير فيهم يتولى مهمة لصيقة والإيفاق

صعوبة المهمة :

وقال الزميلان : إنهما التقيا بالشيخ عبد السلام غالى وغيره من المسؤولين السعوديين .. وفيما مهم أنهم خلاة الدهس من المشروع الذى سبق للأميرين الجليلين أن ياركاہ .. كما فهم الريميلان على صوء خطو أدهامہ ، أن الصياقة الرسمية ، لم تعد حقاً من حقوق مئة ، الأهرام ، وأنهما اكتشفا بعد فوات الوقت أن الإقامة على نفقة (الأهرام) فى فندق التيسير .. أمر جد عسير .. لأن الأجور من الغلاء بحيث تستنفد ما معهما من مال فى أيام .

وقال الريميلان أن الشيخ عبد السلام كان رقيقاً معها كل الزقة .. وقد أفهمها أن الأمر كله — ما حل أو قل — يد سمولى العهد ما دام قد شرف أرض الحجار ، ثم اقترح الشيخ الرقيق عليهما أن يرفقا إلى سموه تويها بالمهمة وأن يرفعا إلى مقامه كتاباً بالمطالب .

وقال الريميلان أنهما والزميل الثالث كتبوا فعلا وأبرقوا إلى سموه وأنهم لم يتلفوا حتى الساعة رداً .. وأنهم فى القليل حيارى .. وهم لهذا ما كادوا يعلمون بوجودى فى الفندق حتى اسبشروا حيراً وخضوا إلى .. لأنهم يحسنون الظن بى ، وقد رأوا فى لقاء الشيخ عبد السلام لى يوم رارنى ما فهموا مه أن الشيخ يولى عناية خاصة يكى بعضها لتيسير كل مهمتهم على عسرها .

وقلت لهما :

وقلت لريميلان — وكان صاحبي الشيخ يستمع للحديث — إني على استعداد لعمل المعكس فى سبيل تيسير مهمتهما .. ولكن يحس أولاً أن يعرفا أنى إعاجت حاجا لا صحفيا .. وأن الكرم الذى أحاطى به بعض المسؤولين هما إعا هو كرم منهم لم أطلبه أصلا .. فهم يعد فى وسعى أن أعاونهما مطلقاً . وإنما أبذل عونى على قدر الجهد وهذا القيد وداحل السياح الذى ضرته حول كرامتى حتى لا يلحق بها الغبار .

الصحفيون المصريون :

وأكد الإثنان أنهما ما تشجعا على الاستعانة إلا بعد أن رأيا بأعينهما من تصرفاتي استعساكي بهذا التحفظ .

ثم بدأ كل منهما بنافس الآخر في سرد بعض التصرفات التي تورط فيها بعض المنتسبين للصحافة المصرية حتى اضطرت بعثة الأهرام إلى اعتزالهم كما اعتزلتهم .

قال لي ، الزميلان ،

ستجد هنا ، فلاناً ، وستجد ها ، علاناً ، وستجد ، ثنائياً ، وستجد .. وستجد ، وأخيراً ستجد أعانا الذي كان ضمن الصحفيين العشرة الرسميين وتحلف في المدينة وعاد إلى جدة ليحاول السفر إلى الظهران — وستجد هنا ملحقاً بهؤلاء الصحفيين أو أصدقاء هؤلاء جماعات لا نعرف عنهم إلا أنهم مصريون أطلقوا النحي .

وبرأنا نصفي :

وبدأت أصغي إلى هذا العجب . كنت أعرف أن أحد من ذكر الزميلان أسماءهم صحفي قديم وأديب محبث وأنه يحفظ كثيراً من الشعر والمواد والطرف وأنه سمير مقدور من الشيخ محمد سرور الصبان ، وأنه — أي الزميل — كان يعمل مكثراً في تحرير الجريدة حرة زالت بزوال حزبها .

وكنيت أعرف أن هذا الأخ — وهو محبوب مني — طفر من سنين بلقنات من الحكومة السعودية ، فسألت إن كان قد نزل هذا العام أيضاً على صياقة هذه الحكومة ، فقليل لي أنه دعي من السيد سرور وأنه نزل على فندق التيسير صيفاً على الشيخ لا على الحكومة ، وأنه — أي الزميل — حرص على أن يصون كرامته وكرامة داعيه .

وعلى ضوء هذه البيانات لم أكن أضيق بالآخ كلما حاول أن يجالسنى أو يتحدث إلى .

مجلة هندية :

وعرض الرميلان لاح آخر أعرفه من قديم .

لقد كان غيباً فى (دار أخبار اليوم) ثم ترك عمله فيها والتحق بمجلة شهرية تصدرها السفارة الهندية فى القاهرة .

وقد سألت زميلى مندوبى الأهرام عن الدور الذى يقوم به هذا الآخ فى هذا العام فقل لى أنه اتفق مع هذه المجلة الهندية على إصدار عدد خاص منها عن المملكة السعودية وأنه استعان على هذا العدد برفقة (السيد ذى العقال والعبادة) وهو فلسطينى قديم كان قد شغل منصباً كبيراً فى حكومة السعوديين .. ثم وصع شجرة السبب لملك شرقى معزول .. ثم أوجرت عليه الحكومة السعودية معاشاً شهرياً يعيش به وهو مقيم بمصر إقامة دائمة ، وأن أخانا المصرى رأى فى وجود الفلسطينى معه نجاحاً مكفولاً للعدد الخاص بـ الجاء الإثنان . وطولوا بكل مكان ، وما يزالان يطوفان التماساً للتوفيق . وهما الآن يذرعان المملكة طولاً وعرضاً ، ويمبرانها شرقاً وغرباً . وإن كان اسم المجلة التى يمثلانها .. لا يعاون كثيراً على نجاح مهمتهما .

ثم حدثت :

ثم حدثت بعد جلستى مع زميلى (الأهرام) ان طهر هذا الآخ المصرى فى الميدان . فلم على . ثم انتهز فرصة انفرادى ليلاً فطلب أن يحلو فى فرجيت به وبدأ يقول :

— لعلك علمت أن لى صلة قديمة بهذه المملكة وإن جل الحاكمين أصدقاء لى شخصيون وإنى أعمل هنا مع (السيد الفلسطينى) . بمحس جهودى لأن المجلة التى أمثلها لا أصدقاء لها .. أما وقد جئت أنت وشخصك محترم

ومعروف وودنا قديم وموصول .. فأحسب أن من الخير أن نتكاتف وأن
أحول مجهودي من مجلة الهدية إلى (السوادى) فإرايك ؟

واستمعت إلى العرض الذى ساقه بعبارة الرقيقة .. ثم انصت وقلت .
— أظن رجىء هذه المهمة إلى العام القادم إن شاء الله .

— لآى سب ؟

— لسب بسيط .. وهو أنى جئت أحس البيت وليس فى نيتى أن أقوم
بأى نشاط صحفى ، وريارتى هى الأولى لهذه المملكة وحاجتى ماسة أولاً إلى
التعارف برجال هذه الحكومة على أساس حال من شوائب العرض ، وماسة
ثانية إلى دراسة هذا البلد ، فإذا توطدت بينى وبينهم الصداقة كان فى الوسع
أن يتصل قسم الإعلان فى السوادى بالأسواق فى جدة ومكة على مهل ،
وداحل التقاليد المرعية فى العمل ، إن لم يكن هذا العام فى مقبل الأعوام ..
وأسميت الحديث فأنصرف عنى الآح (غير عمون) على حد تعبير الصحفيين
اللسابيين .. ثم طهر الآح والفلسطينى ومعهما مصور ظريف .. ألف أن يحج
إلى المملكة كل عام .. فأدركت أن الثلاثة اتفقوا على التعاون ثم اختفوا فعلاً ،
ولم تعد نسمع عنهم شيئاً .

والموظف :

أما هذا الجديد ولافت الشخصية غريبها ، لم أره من قبل وقيل أنه موظف
فى إحدى مصالح الحكومة المصرية أو كان موظفاً وهو يعرف القراءة
والكتابة على ما لاح لى من حديثه . ولهذا آثر أن يتخصص فى شؤون البلاد
العربية السعودية . فمن مجلة يصدرها صاحب مطبعة فى القاهرة .. لتصح
كما يقول بلسان العروبة والإسلام .

ولكن الآح (الموظف) حملته الحياة فيما حيل إلى على احترام الصحافة
لأن الرق عن طريق الصحافة درى سهو وميسور ، وما عليه إلا أن يحج البيت

في كل عام ، وللتناس كما لا بد أن تعلم مافع من الحج ، وأن يحقق إحدى حكمه .

وأخوياً (الموظف) حم النشاط كثير الطواف . يبارح الفندق في الصباح . وقد لا يعود إليه إلا في المساء . فهو والحق يقال « من المتحجج » وما أيسر أن يذهب كل يوم إلى جدة ويعود إلى مكة .. وأكثر من مرة إن اقتضى نشاطه هذا الطواف .

ويدعو على بساطة شخصيته أنه ربح من السعوديين أصدقاء كثيرين .. لأن شبيهاً صغاراً من طلاب العلم كانوا يجتئون إلى الفندق في عرياتهم (الملاك) للسؤال عنه ، وكانوا يدعونه للعداء عندهم .. ويدعون من يجدونهم من الصحفيين معه . وقيل إن من بينهم أمراء من عائلة السديري التي تحكم المدينة ، وهي صداقة تدل على أنهم ينتظرون إلى أحيانا نظرة « توقيف » ، .

يد أن لشائعات التي لا ترحم أحداً في مثل هذا الموسم قد أحاطت بعض إخواننا المتتمين إلى الصحافة ، حتى لقد قص على سعودي كبير قصصاً تناهت في العراية ولا أحب لها أن يطوى عليها كتابي ، ولكن المهم أنه قال لي أخيراً :

« قل لي بالله ماذا نصنع في مثل هؤلاء ؟ »

وهزرت رأسي وقلت : أنتم المسئولون ، وسألتني : وكيف ، فأجبت في صراحة .. إنكم تعرفون كل الصحفيين ولكم سفارة وفيها عيون . فكونكم ترحبون بهذا الطراز وتمتحنون لأفراذه صدوركم ثم تحملون الصحافة أخطاهم فلم غير هيئ أو على الأقل خطأ بين كما ترى .

وصاح السعودي :

— إذا لم نكرمهم شتمونا .

— وصحت بدوري :

— وإذا لم ترخصوا لم بالقدم انقدم أنفسكم وأنقذتمونا .

وقال الرجل :

— لماذا لم تمنعهم نقابتكم ؟

وقفت للرجل : إن القاعة لا تعرفهم . عاملوهم بحفوة ينقصوا عكم .

— وإذا انفضوا ولم ينفضوا ؟

— لن يحسوا لم في مصر صدى ولا في الصحافة سامعاً . بر في وسعكم أيضاً الاتصال سنوياً بالنقابة لاختيار من يمثلون الصحف الكبرى من طراز رفيع ثم لا تعترفون بعدها بغيرهم .

وانشم الرجل لأنه يحس في نفسه بحقائق قد يعجزه التدليل عليها ثم هز رأسه وقال :

— والله ، برصه ، سيحيثون هم أنفسهم وسرح بهم حياء م .

— تحملوا إذن مسؤولية حياتكم .

منروب المرفأ :

أما صاحبنا الذي أوفدته وكالة أباء عالمية أمريكية فقد تخلف عن زملائه في المدينة وعاد إلى جدة يريد الإذن له في أن يطير إلى الطهران ليثب منها إلى الكويت والبحرين .

عاد إلى جدة مرة ثانية ، ثم علم بوجودي ، ثم قيل لي أنه يسأل عني . وأخيراً هبط على بابا هو الآخر قد أمسى ذا لحية كثة سوداء داكنة ، تلاء كل وجهه .

وأحب أن أقف عند هذه النقطة قليلاً .

فقد جرت عادة السعوديين على أن يطلقوا لحام عند الدفن المديب

إطلافاً رقيقاً متواضعاً . ولكن بعض من يترددون على الحجاز من المتسعين
للصحافة يسرفون في مجاملة السعوديين ، ويطلقون لحام كاملة إلى الفودين ،
وفي غزارة تسترعى الطر ، فإذا ما بلغوا الطور عائدتين ، أزالوها غير آسفين ،
ولعلك تأسف أنت .

وأعود الآن إلى الأخ الذي يمثل وكالة الأنباء .

هبط على وسلم ، والشرر يتطاير من عيبيه . وبدأ يقص كل أمره .

قال إن وكالة الأنباء التي يعمل بها اتفقت مع أرامكو (شركة الزيت
العربية الأمريكية) على أن يزورها وجاء بطلب الإذن له في السفر إلى
الطهران من المملكة السعودية فأذنت له ولكنها لم تمنحه أمر إركاب (أى
تذكرة سفر مجانية بالطائرة) وأن هذا التصرف يراه الأخ غير كريم من
جانب السعوديين وإهانة له بل وجميع الصحفيين .

وقلت للأخ في هدوء . وكائنك أولاً عالمية وأمريكية وذات ملايين ،
و (أرامكو) ثانياً شركة عالمية وأمريكية وذات ملايين ، والإيفاق على
سفرك ثالثاً حاصل بهما وقائم بينهما ، ولا بد أنك تفاصيت أجر السفر من
وكالك . فادخل الحكومة السعودية في الموضوع .. وهل هي دعيتك إلى هذه
الرحلة حتى تسافر على حسابها ؟

وزجر الأخ وقال في ثورة :

— هل لا يستحق الصحفي ما أدياً أن يسافر مجانياً على الخطوط السعودية ؟

وقلت له :

— آه ، هذه مسألة أخرى تدخل في باب التقدير أكثر منها في

باب الحقوى .

وانتهى أخونا إلى الاقتناع بأن من الخير الإقلاع عن هذا المطلب .

ولكن حدث بعد ذلك أن انتقلنا في نهاية الرحلة إلى فندق التسير في جدة بعد أيام نيفت على الأسوعين أو الثلاثة ، فألفت أخانا لا يزال مقبلاً في جدة في الفندق ، وعلى صاففة الحكومة السعودية . ولاحظت أن له نشاطاً واسع المدى ، وأنه استحوذ على سيارة ثقلة ، وأنه يزور بعض كبار المسئولين ويتحدث عنهم كأصدقاء . ثم حصل أخيراً على تذكرة السفر .

وهكذا انصر إصرار الأح

ومصعبون غير مصريين

وكان معاً صحفيون من غير مصر . إثنان من العراق أحدهما سليمان الصفوان نقيب الصحفيين العراقيين ، والآخر عبد العزيز بركات صاحب إحدى الصحف في (لصرة) وأشهد أنهما حرصاً إلى حد كبير على ما نسميه (الكرامة) ، واحتماع الاثنين في رمالة ووه . رغم أن أولهما شيعي والآخر سني . يدل على أن الخلاف المذهبي في العراق بين المتعدين فقد على الزمان حدثه .

وكان يقيم معاً محمى باكستاني فقير قال إنه معقم في لندن من ثلاثين عاماً ، وأنه جاء ليحج البيت ويعرف المسلمين ، ويقابل الصحفيين منهم . وقيل إنه إنما جاء يطلب معونة الملك أو ولي العهد . وأنه يحمل كتاب توصية من لشيخ حافظ ووه ، وكان لصحفي الباكستاني ثراءً . لا يريد أن يصمت ، وجوالاً لا يريد أن يهدأ . ورغم طبيته التي تسترعي النظر . وحالته التي تثير العطف . كان يواصل الحديث مع كل من يلقاه في أية ساعة من ساعات الليل والنهار بحيث يورثك الملل . مهما بكك عصفك عليه ، وقد وجد في أحيا (العصور المحررة) من أعصاء (بعثة الأهرام) صيداً سهلاً ، لأن (أحان) أولاً يعرف بعض الإنجليزية ، ولأنه ثانياً يحب أن يعرف الأجانب ، ولأنه ثالثاً هادئ . الأعصاب إلى حد يثير الدهشة ويتسع لصداقة الباكستاني الملتحي . أو الفارع العود . أو مبل القميص المفتوح فوق البطون القديم . أو ما شئت له من

الوصف .. الذى يرسم الصورة للجسم الأهوج أو للعقل الأهوس .

هرو لرو :

وأحب أن أذكر - قبل أن أنسى - أن الصحفى الباكستانى لم يكن يكره أحداً من الزلا . إلا شخصى الضعيف ، ومبعث الكراهية طريف . ذلك أنى لاحظت فيه الثرثرة التى لا يتسع لها صدرى فلما أراد أن يتقرب منى وأتت السلام على بالإنجليزية تظاهرت بأنى أجعلها .. وردت عليه بقولى (عليكم لسلام) فطوف فى صغ مرات ثم جاء بأجنا عضو بعثة الأهرام - ومترجمه الخاص - وطلب إليه أن يقوم بحمة الترجمة بينى وطى الرمين المصرى هو الآخر أنى أحبل هذه اللعبة ، فطاب له أن يهصر بنبعة الترجمة ، ولكنى حدث على الأيام أن لاحظت لباكستانى أنى أعرف شيئاً من الإنجليزية وأنى أنعمد التجاهل . فحاول جهده أن يخرجى من هذا التجاهر ، فأصررت عليه .. فأدرك أنى غير راعب فى الاستماع إليه .. فضع بالسلام يقيه على بالإنجليزية وبالرد يثلقاه منى بالعرية . ثم حدث أن سقنا إلى جده ليفايل ولى للعهد ، وليستقل الطائرة إلى المدينة .. فلما اتقلنا إلى جده بعد أسبوع من سفره لتقيانه مرة أخرى فى (فندق تبسيرا) فلم يسلم على فأدركت أن أعصابه قد خاتته وصفه فى قد تفجر . وأرجو إن كان قد أتيح له أن يبشر فى إحدى صحف لندن أو الباكستان مذكرات كهذى .. أن يذكرنى هناك كما أذكره ها .

جو غريب :

وهكذا عشا ضمة أسايح فى مكة فى جو غريب مشحون بأفاصيص الصحافة معبق بروائح تختلف فى الحكم عليها الأنوف ، وحال حرصى على إثارة الضمت فى معظم الوقت دون القيام بأى تحقيق لهذه الأفاصيص ومدى الصحة فيها .

وكرامات .. مصرية .

وأعتقد نسبياً أن أحاما ، زكريا نيل ، مثل المصرى كان حريصاً على كرامته برغم ما له من شلب .. وما يقسم به شبابه من اندفاع . ومع ذلك يبدو أن الحرص على الكرامة لا يميل الخط الحسن إلى مخالفته ، وقد وقع أخونا زكريا مرة في ورطة ، أشهد أني أخرجته منها بفضل الصدقة وحدها .. لا بفضلى .. والآناسى في أغلب الأمم مدينون بما يلقون من الخير .. لحاسن الصدف .

ولى العهد :

وقصة الورطة أو السقطة التى أشير إليها .. خاصة سمو ولى العهد الأمير سعود (جلالة الملك الآن) والحفلة التى أقامها لتكريمه فضيلة الشيخ الباقورى أمير الحج المصرى فى فندق مصر وفقاً لما يجرى عليه العرف من زمن . وأذكر بهذه المناسبة أننا لم نشهد الحفلات الرسمية التى تقام عادة قبيل الموسم ، وتلقى فيها القصائد والخطب ، لأننا بلعنا جدة صبيحة الوقفة كما سبق القول ، ولكن حدث أن دعينا بعد الموسم لحفلة أمير الحج تكريماً لسمو ولى العهد ، وشهدناها فعلاً ورأى أمير الحج أن يلفت نظر مندوب مصرى ، إلى رغبة فضيلته فى أن يقتصر الوصف الذى يرسله المندوب لجريدته على بضعة أسطر إجبارية يقول فيها ما معناه (أن فضيلته أقام حفلة تكريم لسمو ولى العهد وأنى كلمة مناسبة وأن الأمير ودع كما استقبل بمظاهر الحفاوة والتكريم) .

وأدى زكريا الرسالة كما طلبت منه وذكر (سمو ولى العهد المعظم) ، ولم يذكر اسمه .. لأن شهرة سعود كولى للعهد كانت تطبق الآفاق .

ولكن ما نسميه (المطبخ) فى جريدة (المصرى) فى (القاهرة) أراد أن يبالغ فى التكريم بذكر الاسم الكريم .. فشر الخبر هكذا (ولى العهد المعظم

الأمير فيصل (بدلاً من (الأمير سعود) .

وجاءت نسح (المصري) إلى جدة ومكة بالطائرة ، وكانت قبلة الموسم ..
لأن أي الأميرين عى هذا الخطأ ، وإنما لأن الجماهير ونحن منها - كثير
تساؤلها ، وجن جنون زكريا - وهو نائر الشباب أصلاً - وأبرق لجريدته
في القاهرة يسألها عن سر هذا (المقلب) .

وكلبة (المقلب) ها تصور الحادث في ذهن زكريا تصويراً معيناً .. لأن
زكريا يعمل مراسلاً في القاهرة لمحطة الإذاعة السعودية في مكة ، وقد ظن
خطأ أن الذي تصرف في الخبر على هذا النحو .. إنما يقصد إلى الإساءة إليه
في العلاقة بينه وبين هذه المملكة .

«لؤصر في النصاب :

وأجرت (المصري) التصحيح أو التصويب ، وأبدت الأسف الصادق
العميق ، وأبرقت إلى سمو ولي العهد تعتذر عن الخطأ غير المقصود . كما أبرق
زكريا إلى سموه أيضاً .

وحدث أن ديوان ولي العهد كان قد حدد لنا موعداً لزوره فيه أنا وصاحبي
الشيخ .. فقصداً إلى القصر في جدة .. وبينما نحن جلوس في غرفة الأستاذ
عبد الله بن حير سكرتير ولي العهد .. وكان السيد أمين الحسيني مفتي فلسطين
موجوداً أيضاً .. إذ رقية اعتذار (المصري) تصل .. فقصها عبد الله
وأشرق منه الوجه وناولنيها صامتاً .. فقرأتها ورأيت أن الفرصة سانحة لإيقاد
زكريا .. فقصصت على الأخ عبد الله حقيقة الأمر .. وعادر مكتبته إلى مجلس
الأمير فمرص عليه الحقيقة كما سمعها مني .. فضحك الأمير واعتبر الحادث
منتهياً .. وأمر بالرد على برقيتي (المصري) و (زكريا) شاكرآ .

عزكم الرضا :

وظهرت علام الرضى واضحة عندما أمر الأمير بإهداء (الكسوة) إلى

مندوب (المصرى) وقد اقتصر إهداءها هذا العام على بضعة من الصحفيين المصريين يعدون على أصابع اليد ، وعلى الصحفيين العراقيين الذين أشرت إليهما من قبل .

فصل الكسوة :

و (الكسوة) فى ذاتها ليست ذات شأن وإنما شأنها الكبير فيما تطوى عليه من معان .. وهى تعنى — أول ما تعنى — رضاء الملك أو ولى عهده عن الذى تهدى إليه .

و (الكسوة) من الملك عبد العزيز فى قيل له كانت عبدة عن عبادة مقصدة شتوية من الصوف فى لشتاء وصيفية (رفيف كما يسمونها) فى لصف . وعقال مقب لا يحق لأحد من أهل المملكة أن يرتديه إلا إن كان من العائلة المالكة أو من الأشراف .. وإن كان يحق لكل صيف أحب أن يرتديه إذا هدى إليه . (وحطة) أو (كوفية) من حاص ، الكشمير ، القيم توضع على الرأس لعلوها العقال — ساعة ذهبية يراعى فيها قدر المهدى إليه فقد يرتفع ثمنها إلى مئات الجبهات وقد يهبط الثمن إلى جبهات .

هذا هو وصف الكسوة التى قيل لنا إن الملك عبد العزيز كان يهدىها إلى صوفه .. وقد أهداها فعلا إلى الصحفيين العشرة الذين رافقوا الرئيس محمد نجيب رسمًا هذا العام إلى الطائف وسعدوا ببقاء الملك .. وقيل إنها أهديت إلى نعة .. وكان للعشر قصة .. لم يحسن فيما يلوح وقت نشرها .

أما (الكسوة) التى أهداها إليها ولى العهد الأمير سعود فى هذا العام (جلالة الملك الآن) فكانت أحتًا لتلك التى وصفتها .. ولكن تمقصها (الساعة) وأعلب الطن أن واضع البروتوكول نعد هذا (القصص) للتفريق بين هدية (الملك) وهدية (ولى العهد) وهو تصرف محمود إن صح استنتاجى .

قواهر الإهداء .

وكان المتبع فيما مضى — كما قال لى الصحفيون المصريون أن تهدي الكسوة لكل صحفي بغير تفريق — فهل حدث هذا العام مثل الذى كان يحدث فى سالف الأعوام ؟

كلا مع الأسف .

أقول كلا ، وأظلم السعوديين إذا أنا لهم .

لقد سلك (بعضهم) — بعض المتمين إلى الصحافة كما حدثتك — مسلكاً أقل ما يقال فيه أن صدور السعوديين الواسعة ظلت تضيق به على السنين حتى كادت من القبط تميز .. ولكن السعوديين حريصون دائماً على كرامة مصر والصحافة المصرية ، وشعور المصريين على العموم وشعور الصحفيين على الخصوص . فلم يجدوا — أعنى السعوديين — بداً من أن يحتجوا على هذا (المسلك) احتجاجاً صامتاً ومؤدباً وعملياً بأن يهدوا الكسوة إلى فريق دون فريق ، فيعرف الذى أهديت إليه أنه محل التقدير .. ويعرف الذى حرم منها أن عليه أن يتصفح من جديد أوراق كتابه .. من غير أن يوجه إليه لوم أو يواجه بالعتب ، ومن غير أن يحرم من حلاوة لقاء شيخنا اللطيف عبد السلام غالى . ومن غير أن يحرم من الروغان الطريف من جانب صديقنا عبد الله بلخير . هذه هى الخطة الجديدة التى أرسى السعوديون قواعدها فى الحفلات .

المهرى إليهم :

أما من هم أولئك الذين أهديت إليهم الكسوة هذا العام ؟ .. فلا محل لذكرهم . لأن أقل إشارة إليهم تخرج الآخرين ، وهصولى أحب لها أن تبقى . أرفع من أن تخرج أحداً .. إلا على مذبح الصالح العام .

مضحك :

ورحة كهذى - وفى مثل هذا الرحام - لا بد أن يحدث فيها بعض الاضطراب . وأن ترسم على الشفاه بعض الابتسامات

ومن هذه المضحكات أن صديقنا الشيخ عبد الله بلخير أرسل ، ونحن فى مكتبه باقصر بسأت فى السفر . يرفقين إحداهما إلى معالى الأمير عبد الله الديرى وكيان أمير المدينة المورة يحطره بأن السوادى ورفيقه فى طريقهما إلى المدينة ضبعين على الحكومة . والأخرى إلى المختص بإعداد تذكرة سفر ، نحو إلى المدينة فاطور . . . وسى أن يقول (إلى القاهرة) وكما أكرم على أنفسنا من أن نلثته إلى هذا (السهو) المبسط ، ولم يكن يصير أباً ما أن يدفع عشرة جنيهات لطائرة مصرية من الصور إلى القاهرة . . أى من أرض مصرية إلى أرض مصرية .

وقد تسألنى : (وأى مضحك فى سهو وقع ؟) .

وأجيب . المضحك فى هذا السهو أن بعض إخواننا الذين كآ توسط لهم فى الحصول على تذاكر العودة . صرفت لهم هذه التذاكر إلى القاهرة ، أما نحن فقد تدى موقفاً نسب السهو غير المقصود . عريباً بعض الشيء . وكان من حق أى ، سادح ، أن يستخلص من ذلك ، الواقع ، أنى وصاحبى كما أقول شأماً فى نظر لقصر والحكومة من كآ توسط هم . . هذا هو المضحك الذى أعيبه . . لأنه نتيجة للسهو الذى وقع أحوا فيه . وقله يحرق على البرقية . ومكتبه يموج بالعشرات من عطاء . لبلاد الإسلامية . وأجراما المرة تواصل دقائقها .

فى التبرعات :

وأحب أن أحدثك الآن فى كلمات عن إحدى التبرعات التى شهدناها . حدث ذات يوم أن رددت نضاح مكة صدى مرسوم حظير تنقته الجهات

المستولة من جلالة الملك الراحل المغفور له عبد العزيز آل سعود يتنازل فيه عن القيادة العليا للقوات البرية والبحرية والجوية لولى عهده الأمير سعود .

وهرول عبد السلام غالى إلى الفندق متهلل الوجه مبسوط الأسارير ، يقل إلى الخبر ويحسن التعبير عما فى قلبه من سرور ، فأبرقنا فى الحال إلى ولى العهد رفع إليه التهئة ، ولكن الشيخ عبد السلام أقهما أن تشريفة كبرى ستقام فى القصر الملكى فى جده ، فكان لزاماً طبعاً أن يذهب الصحفيون إلى القصر لتهئة ولى العهد بالفضل الذى أسغه عليه والده ومليكه .

وانتشر الخبر وخف إليا الصحفيون العشرة أو التسعة ، وجى لهم سيارات من الفندق واستقلنا نحن السيارة الموصوعة تحت تصرفنا .. وهناك فى ساحة القصر لتأم جمعاً ، ثم دعينا إلى القاعة الكبرى ، واعتبر صاحبى الشيخ فى هذه الرحلة صحفياً .

وكان الصحفيون قد تفصلوا تقدموا ، فسرنا فى صف طويل والأمير سعود جالس هالك فى صدر القاعة فلما رأنا تفصل فوقف ، فكان لزاماً علينا أن نغذ السير وستحث الخطى من أن نهرول حتى نبالعه . وحتى لا يطول وقوفه . وفى حلال الهرولة .. وعندما بلغناه . وعن غير عهد طبعاً .. رأى صاحبى لشيخ نفسه فى المقدمة .. فارتخت لمحسن الصدوف التى أعفتى من هذه الصدارة .. وقتلها عفواً ومجدارة .. إلى رجل من رجال الدين بقطع النظر عن صنته بالصحافة .. وحظيا بمصاحفة صاحب الجلالة ولاحظت أنه يحرص فى الدقائق التى يمكثها المهثون فى حصرتة على الإبتساماة الدائمة ، ويوجه بين الحين والحين كلمات الترحيب العربية فى هدوء كما تنتشر منه الهيبة والتوقير . ولاح على رجال الحشية عند خروجنا أن قياما بهذا الواجب صادق مهم كل الإرتياح ، وتبدى أرنياحهم فى توديعهم لنا توديعاً لانتعوزه الحرارة . وعدنا إلى الفندق كما عدنا إلى الجلباب والتحرر وجلسة النستان .

الفصل الرابع

بعيداً عن الصحافة إلى حين

وعم . نحن ما زال في فندق التيسير عمكة ..

وما يزال العم عطا لياس صاحب فندق التيسير يصاحبا بصواته وتسيحاته ، وتلاوته القرآن قبل مشرق الشمس (إن قرآن الفجر كان مشهوداً) .. ويمامينا بقصصه التاريخية عن عهد الحسين بن علي وعجائبه .. ويجري المقاربات بينه وبين عهد عبد العزيز الآم .. ثم يتحفا للعم عطا بالكلمات الخلوة عن صباه .. وما لقي من عناية الله .. ووفاء صديقه القديم الشيخ محمد سرور .. حتى إذا انتصف الليل حمل الرجل عظامه إلى البستان .. حيث أعدوا له سريراً فوثب إليه وأغمص عينيه .. وأطلنا نحن عليه .. من نوافذ الغرفات والشرفات .

كانت ليالي حمية نرس من السهل أن نساها .

وكان في مكتبته شأن من الحصارمة والوطيين أحسن اختيارهم ، فأحسوا معدمتنا ، وليس من السهل أيضاً أن نسام ..

بل إن منهم شاماً حصرمياً يعمل مراقباً في المعهد الديني بالطائف طوال العام الدراسي ، ولا يتردد في موسم الحج في أن يضم للعم عطا لياس مشرفاً على الفندق أو مساعداً لمديره .

ومدير الفندق هو السيد عمر لياس ..

شاب هادئ الطبع رقيق الخاشية يعرف لكل نزول قدره ويؤدي في غير تردد واجبه وهو ابن أختي العم عطا وزوج كريمة .

أما الخدم غليظ من الحصارمة والحجازيين بعضهم دائمون وبعضهم يعملون في الموسم .. حتى إذا خف زحامه ودنا من نهايته .. حضوا بدورهم إلى

دورهم يبحثون عن أعمال أخرى .. ومنهم الكسول الذى تناديه فلا يرد ..
ومنهم نصف الكسول الذى تناديه فيتألم ويحس .. بعد فوات الوقت ..
ومنهم غير الكسول يخف إليك هاشأ ويقول (مرحباً) .
ولكن لماذا أندفع الآن إلى الحديث مرة أخرى عن فدىق التيسير وقد
أشبعتك أحاديث عن الفنادق ؟

إنها ذكريات ثور كما ترى فى غير ضابط وتجري فى النفس مع الخواطر .

واللبناني :

وجرياً مع الخاطر ثور فى الدهن ذكرى صى لبناني .. نعم .. أذكر مثلاً
أخاها عبد الجليل الشامي الذى يمشى لسان أحسن تمثيل .. بل يمثل العنصر الفينيقي
القديم .. المعامر المهاجر .. الضارب فى الأرض ، والمأشى فى المناك ، والآق
من كل فح .. ممن (ييارون فى المسير العاما) على حد تعبير شاعر النيل .
وعبد الجليل فتى من فتية لبنان المسلمين جاء إلى جدة من بيروت
ولا يعرف أحد كيف جاء .. لا جوار له ولا مال عنده .. ولكنه أفلت .
كان ألم عطا يزور مرة لبنان .. وهماك ألفت الأقدار فى طريقه بهذا
الصغير الذى لا يجاور ثمانية عشر عاماً .. وعرف أن عطا صاحب فنادق
وقال له مارحاً أنه سيحس .. يوماً إلى مكة وسيعمل عنده .. ورد عطا مجاملاً :
(مرحب) .

ومر الزمن ..

وفى موسم الحج رأى ألم عطا هذا الفتى الوسيم الضحوك الدكى
(المتعاط) يقف أمامه .. ويستنجزه وعده .. وقال عطا لعبد الجليل
(اشتغل) .

وانقلب الفتى (جرسوناً) مقطوع الظير (وحادماً) لا يمل العمل ..
يتام الخدم من كل جنس وهو ساهر .. يصبهم الإعياء والغباء وهو وحده

الذي الماهر .. حتى إذا حب رحام الموسم .. حبس العم عطا من إخلاء
طرفه فألحقه بلطابق الأعلى من الفندق خادماً مقبلاً للترلا الدائم .

وهكذا عرف اللباني الصغير كيف يتفقد إلى القنوت فيوطد في الفندق
قدميه . وأرانا صورة مخلوة للباني المهاجر الذي لا يألف من عمل ولا يقتر
في الهمة .. ولا ينسى سوء الحظ . ولا يقارن بين الأجور .. بل إنه عمل
من غير مرتب .. حتى أعطى نقوداً فشكر .. وأنا أتوقع أن أعود يدين الله
فأراه وقد ترفى .. وقد لا تمضى السنين حتى يثرى . من يسرى . وقد يزل
يوماً على فندق يملكه .

كان المصريون يرحون معه كثيراً . وإلى حد التجريح .. وعلى حساب
الملاحظة فيه .. فإراهم مسوط الأسارير باسم الثغر .. غير صائق بأية كلمة
مهما يكن لونها .. فما نوال الأيام رأيت العلاقة بينه وبينهم وقد استحال
صداقة أو كاصداقة .

كان أحرماً مصطفى الصاحي أشد ما إنقالا عليه بالتجريح وبالطريقة
المصرية (التكيت) الثقيل .. وبالتقليد الساخر لهجة اللبنانيين .. وكان
الفتى يحاط به باسمه مجرداً صائماً فيه (ات يا أزعز يا صاحي .. شرف
بيروت تلاقيا جنة .. شو مصر تنعك يا أزعز) .. وانتهى هذا التلاحق
إلى موقف لا أساه .. كان الصاحي يرمع الرحين .. وورع بعض
دالإكراميات، الخفيفة على الخدم ولكنه حص عد الجليل وحده بمبلغ صخم ..
مقابل احتماله مُملح الصاحي .

وأما أعنى هذه الصورة وأستعملها للعاني التي انطوت عليها .

لقد كست أدهش للشاميين وبجاحهم في المملكة السعودية ، ولكن
عبد الحليل أزال الدهشة عني ورأيت فيه على بساطته حلاً للعز الذي تعذر
على حله .

والإدارة المصرية .

وإذا كان الشيء بالشيء يذكر (على حد تعبير المرحوم سليم سر كس)
فإن الإدارة في فندق مصر تستحق هي أيضاً أن تذكر .

وقد ررت هذا الفندق مدعواً بصع مرات ، وحدثك عنه ولا أعود ،
وربما أمس فقط ذكريت لي وقعت فيه .

حدث مرة أن دعاني الشيخ عبد السلام على لتناول طعام العشاء معه في
فندق مصر . واستقبلني مديره الشاب ووكيله السوداني له وكاتب حسابه
الموفر لشاط ، وفي غرفة الإدارة والحسابات .

وهناك أطلعوني على دفتر الريارات لا أكتب لم كلمة فيه .. وهذا الدفتر
يزدان بكلمات لكثيرين .. منهم رؤساء وزارات ووزراء ورعماة من مختلف
الأجاس

ولاحظت أن مدير الفندق الشاب يحب كثيراً أن يكتب عنه الكاتبون ،
وأن يطلع الزائرين على ما كتبوه شهادة فيه . فأشبعت رغبته وكتبت عنه
وعن معاونيه .

والمهم في هذا الشاب أنه لم يصب ورحب بي ثلاث مرات .

وفي كل مرة كان يؤكد أن له في عني أمانة لا مهر منها .. وهي أن أقبل
دعوة منه إلى مأدبة يقيمها لي .. وحلقة ساهرة يمشوها معي .. وكتبت أوكد
له استعدادي للقول .

وكانوا يحدثوني كثيراً يعرفوني .

وأقمت في مكة قرابة الشهر ، ورحلت عنها ، والكلمات الحقة مهم ترن
في أدنى ، والمائدة لم تنم بعد ، والديلة الساهرة لم يحيا أحد .

ومع ذلك سمرت راضياً عن هذا الشاب .

وأدركت سر نجاحه كمدير للفندق .

الناصرة الهندية

على أن ذكرى أخرى عن تاجرة هندية شب الآن إلى ذهني .

إنها سيدة حياء مثوقة القوام مليئة الجسم باسممة الثغر واسعة العينين مسوطة الأسارير سمراء اللون اجتماعية السلوك سافرة الوجه هدية أري .
واخاح عادة يعصى إذا واجه حياء ، ويستغفر الله إن طاف به من الشيطان طائف ، ولكن الهدية السمراء دائمة النشاط يادية الاغتياب ، تذرع ، فندق النيسير ، ذهابة وجيئة ، وتودع ابتساماتها البريئة على جميع الزلاء ، وتحدث إلى كل من تأس فيه قابلية للحديث معها .

وبالاختصار (هوسنا) . حتى اسفكر صاحبي الشيخ هذا السفور منها . ثم استطاع على الزمان سفورها وآمن براءتها ، ووصفنا يوما أيديها عليه وهو يبادلها لتحية ، ولكنها مع الأسف لا تحسن الفصحى ولا العامية ، ولا تتكلم إلا الانجليزية . وهي لغة ملمونة انتسيا بها نحن وبرى . منها صاحبي الشيخ .

ولسيدة الهدية أو العانة السمراء تاحرة من كولومبو (عاصمة جزيرة سيلان) . تاحرة واسعة الثراء تتعامل مع تجار الحجار من قديم ، وتتح البت في كل عام ، ويحيى معها زوجها وعشرات من أتباعها يحجون معها ، ويحجز لهم جناح كبير في الفندق من أول ذي القعدة في كل عام بصف الأجر حتى يصوا ، وبالأجر الكامل متى وصوا .

وتعتبر رحلتها (زيارة وتجارة) فهي ترحل البيت ، وتسوى مع التجار حساناتها ، وتلقى منهم طلباتهم ، وتعود إلى بلادها حاجة وموفقة ، ولا تقطع عن هذه الزيارة في أى عام ، لتثبت أن في الحج منافع للناس .

وروجها مثل يعلأ الكف ويحى المظار نصف وجهه ، وهو بالنسبة لها لا يعدو أحد أتباعها ، أما هي فشخصية بارزة تفرض نفسها وتبلى إرادتها

ولا تزايد الانتماء نغرها بل أكاد أتخيل أن الابتسامات تملأ عينها أيضاً وتطل منها على رائيتها .

وهذه صورة من الصور الإنسانية التي يتحفنا بها موسم الحج .

الشريف :

أما الصورة الجديدة فلرجل رقيق أبيض يلقي علينا تحية الإسلام ويستوقفنا منه عقاب قصبي لا يلبسه إلا ألباء العانة المالكة والأشراف .. وهذا الوجه هالوف منى . وقد رأيته كثيراً .. فنى .. وأين ؟ .

وفي اليوم التالي رأيته يرتدى بذلة أفريقية كاملة لاح لي أنها بقايا ماض وبقياء مجد وبقايا ثرا .. وهو لا يحاط الناس .. بل يطير الصمت .. ويؤثر العزلة .. ويستمسك بأهداب الوقار .

وها هو ذا يحطو إلى صداقتي فأرحب به فتجانب الحديث .. وأسمع صاحب الفندق يأديه بكلمة (لشریف) فيفسر لي قصص العقال .

وأخيراً عرفت أنه مقيم من قديم في القاهرة وبقية أسرته في العراق .. وهو يجلس في مقامى ميدان الأوبرا حيث يجلس .. ومن أشراف الحجاز قبل الغزو السعودي .

ما شأنه :

واستطعت أن أعرف من الرجل أن نجاح السعوديين في حكم الحجاز مر بيد المحر على ما كان ينطوى عليه الأشراف من موحدة .

وحصاً في سيرة سعود بن عبد العزيز (ولى العهد) فأننى الشريف عليه ثناء مستطاباً وقص على الكثير من ميراثه

مرجاء الأهمرب :

وتوصدت على الأيام أوامر الصداقة بينى وبين الشريف .. ونسيت أن

أقول لك أنه محدود الظهر قليلا . يادى الكبرياء كثيرا . دو كبرياء كريم لا زيف فيه ولا اضطباع يعرفه .. كبرياء الأمير الذى كان مثريا ثم افتقر .. ولم ينقله في مصر غير صبيبه في أطيان كانت موقوفة تقع في أقليميا (الميا) وهو صيب لا يكفيه من حيث المظاهر .. فهو يكن انتص بأحاديث المجد المدثر والكبرياء المفرن والكرامة للادية .

ولهذا الشريف الاحدب رجاء كبير هو الذى جاء به إلى احح في ذلك الموسم .

لقد كان في بغداد يشهد حفلة تنويع الملك فيصل وكان سعود من عدد بعير يوب عن والده واستطاع الشريف أن يحظى باللقاء وسط بين يدي سعود شكوى له من قديم من من بدايه عرو السعوديين للحجاز .. حلاصتها أن للشريف أملا كما أو أوقافا - لا أدري - استولى عليها ولم ترد إليه وهو الآن في حاجة إلى تعويضه عنها بالهدر الممكن وإن كان غير قادر على (الإثبات الرسمي) . لا إن أرادت عدالة ولي العهد أن تتلقى الحقائق من أفواه المعاصرين للفتح السعودى والعارفين بالقصة .

وقال الشريف : ما كان أسعدنى وكنت يائسا من إصعائه لي أن أراه وقد أصغى إلى ورحب في وأمعن في تكريمي ودعاني لحج البيت صيفا على حكومته .. بيطر بعد انتهاء الموسم في مطلقى .. وأعتقد أنه عد وعدده .. لأن سعود ما قال كلمة قط إلا وكان عنده شأن أيه ودونه .. كما أكد لي كل عارفيه . وطمأنت الرجل بل هاته . ثم اطمأن فعلا وهنى .

أتمنى على خاطره :

ولقيته إلى جاسي في قصر الملك في جدة ونحس نهني . ولي العهد ما يقيدة العليا ، ولما عدنا إلى فندق التيسير في مكة حيل لي أن الشريف غاضب فانهجيت به وسأته سر ما يبدو عليه من الغضب وبدأ الرجل يتكلم :

قال لي أن خطأ وقع في حقه في الحلقة .

وقلت له . (من الأمير) ؟

قال : حاشا أن يقع سعود في الخطأ .

قلت : من الحاشية ؟

قال : بل من ضابط واحد .

وصحكت وقلت له .

- يا أخى أنت تعيش في القاهرة المتحصرة وتعرف ما تلقاه من عطسة

بعض جنود لبوليس . أما تشفع لك هذه المعرفة في خطأ يجي . من بوليس

بدائي ها ؟

قال الشريف :

لا والله .. أكذب إن قلت لك إنني غير متأثر .

- طيب إليه الحكاية ؟

قال الشريف :

- الحكاية يا سيدي إن كنت أجلس في الصف المقابل لك تماماً وكان

الأمير في الصدر يصفي إلى رعيم المسلمين في الملايو .. وعبد الله بالخير يترجم

بينهما .. فلما استأذن زعيم الملايو نهض الأمير فنهضا .. ورأيتم تتحركون

صوب الأمير متأدبين فانتظرت حتى انتهوا من مصافحته لا أقدم بدوري

مصافحاً .. وكانت كوبة عصير البرتقال لا تزال في يدي أرشفت العصير بها ..

فإذا ضابط يشير إلى صف أن انصرف .. فأمد يدي لأحد الخدم بالكوبة

فينزعها الضابط مني في عنف .. ويكرر أمره لي بأن أقدم من الأمير مصافحاً

وانصرف . وعني صورة غلامها الدم في عروقي .. ولكنني تجت الاحتجاج

رعياً للجلال المقام فتجاهدت الحادث وصاحقت الأمير وانصرف .

وسألت الشريف :

- صيب ما ذهب الأمير والمملكة إن أخطأ جندي أو ضابط ؟

واربد وجه الشريف وهز رأسه في أسمى وقال :

— الحقيقة إنى تشاءمت وأخشى ألا تمكلى مثل هذه الخاشية من النقاء
الخاص الذى جئت لأحققه .

وقلت للشريف ؟

— كلا يا سيدى .. إن الأمير سكرتيرأ حاصاً هو مثال الأدب والتهديب
فما عليك إلا أن تلقاه وهو يحدد لك موعد اللقاء .

وهش الرجل لما قلته .

وجاء موعد سفرنا فارتحلنا لحاة وتركنا الرجل ولا أدرى إن كان قد
بلغ أهدافه .

وإنما أقص عليك هذا اللون من زوار الحجاز وضيوف الأمير لتعرف
مدى لعب الملق على سعود بن عبد العزيز ومدى الرجاء المحقود عليه من
جميع الناس ومن مختلف الأرجاء .. وكيف لا يصيق صدره بهذا كله وهو ولى
نعمه .. فما بالك به الآن وقد أصبح مليكاً وإماماً .

وعند السهرم مرة أخرى :

عنى أن بمعنى ملاحظة أحب أن أبدىها .. حاصة صديق المصرى مولداً
وشاة والسعودى وطيفة وجندية وولا . وعاطفة وأعنى به الشيخ عبد
السلام غالى .

عبد السلام ليس بحما .

ومكان عبد السلام الطبيعى كان يجب أن يكون فى طبيعة النجوم
والكواكب اعيطين بهالة الملك .. ولكن عبد السلام لا يريد أبداً أن يأخذ
مكانه .. وهو يكتب إلى من الشهور يستحفظنى بالبيت ورب البيت أن أصون
حياته . وإلا أحدث الناس عنه وعن الدور الذى يقوم به .. حتى لقد بلغ
به الإلحاح أن حمل أحد ضباط البوليس المصرى المستبد فى الحجاز والقادم

إلى القاهرة في إجازة خطاباً يعيد فيه استخلافي وآخر من صديقي الخاضع عبد القادر عراوى عضو مجلس الشورى (سابقاً) يستخلفنى هو الآخر أن استجيب لحياء عبد السلام .

وقد استجبت طبعاً لهذا الرجا . (العجيب) و (غير المسبوق) .
لكننى هنا سأحدث عن عبد السلام لأوجه إليه لونا من القدر المرح ما دام قد استخى .

نقد وشرح :

والشيخ عبد السلام هو صلة الوصل بين الصيف والمصيف ، او بين النازلين على الفنادق وحكومة صاحب الجلالة .

ولبعض الضيوف مطالب ، ولبعض الضيوف مطامع ، ولجل الصحفيين الذين حدثتك عنهم أشياء . يصيق لها صدر السامع ، مجرد سامع .

عيب عبد السلام أو (ميزته) أنه يوم كل متحدث إليه أنه يحب له ، متدله به ، قادر ، عبقرته . . . واهب نصف العمر للعمل على راحته ، مكرس نصفه الآخر ليكون في شرف خطبته . .

وكل صيف يعلق كل آماله على عبد السلام وخطو تحياته

ثم يودعه الصيف هذه الآمال الكبار ثم ينام ملء جفنيه تعرض عليه أحلامه صوراً فنانة للشيخ وهو يستمع إليه ثم يميل عليه ثم يأخذ منه قبلة بحفة يده ثم يقبل هذا اليد وهو يقول له . . أبشر . .

ويختفى الشيخ يوماً .

وتتراقص أعين هذا اللون من الضيوف في المحاجر ، مشدودة إلى الباب الرئيسى بل إلى الشارع الكبير . وكلما لاحت سيارة تشبه في لونها لون سيارة الشيخ ، الفسدى ، تحركت الأجساد فى الكراسى وبهض بعضهم ثقالا ،

ويفر بعضهم خفافاً ، والسيارات يكثر التشابه في الحجاز بين ألوانها ، فإذا ثلث أن السيارة لآخر غير الشيخ . ران عليهم اليأس ، وعهد النافرون إلى الكراسي ثقلاً كلهم وكانت مشاهد تثير الضحك وأنا أحرق فيها وأتبع فؤيها وأترصد حركاتهم ومسكناتهم .

ويجيء اليوم التالي ويظهر الشيخ الصالح .. جفاة .. وكأن الأرض قد أنتهت ربناً فإذا وث إليه أقرب الجالسين انفلت في روغان رشيق إلى مكتب الفندق ليحلو بالعم عطا ، وليكب عى حسابات ودفاتر ، ولينفلت من باب حابى إلى زيارة بعض كرام النزلاء في عرفاتهم .. فإذا عبر به في الردفة نرس .. قلبه في شوق وانتحى به جابياً وأسر إليه أن يرسل برقية إلى الديوان يحدد فيها المطلب ويدع له الباقي مع كلمة (أنشر) لتقليدية . ثم لا يرى مانعاً من أن يستكتبه البرقية يرسلها هو على نفقة الصياقة ولا يكلف الصيف أجراً .. فإذا ففشه ضيف ثان انتحى به ثم يرسل اشعاعاته الصالحه إلى ثالث يكون قد أدركه قائلًا له (جى .. أما هـ كر .. داحين .. دقيقة واحدة) ويعود إلى الثاني قائلًا له . (سيب لى الحكاية دى يوم أو يومين .. دى بتعنى أنه .. أنشر ..) ثم يميل إلى أدنه قائلًا . (كلمة فى الآن الحبيب .. بلاش الحديث مع جد فى الموضوع ده) فإذا لاحظ أن أمر الباقين لا يرال معصاً مرق من الباب في حجة يحده عليها الشاب . وقبل أن يتمه الباكون تكون سيارة قد طلوت به صدر الأرض .

والحقيقة :

يفعل عبد السلام هذا كله وله من ورائه هدف واحد .. ألا ينجب لأحد الضيوف رجاء فى المملكة مهما يعظم المطلب من وصفى الضاحك فما أبعد الحقيقة .

وعند السلام يعرف أن تحقيق هذه المطالب دفعة واحدة مستحيل .. ويعرف أن تحقيق كل مطلب تحقيقاً كاملاً مستحيل .. ويجب أن يترك كل

صيف هذه الصيافة وهو راض عن المملكة ورجالاتها محب للبلك ورجاله .
وبهذه الطرائق الجذابة يستطيع أن يورع المطالب على أيام .. وأن يبدو
ما يقضى منها بعد المتاعب والمشاق جميلا لا ينسى للملكة ، وأن يطل كل
إنسان آملا حتى يحقق له بعض الأمل .
وأما الخاتمة .. فمن أن خرج صيف من دار الصيافة غير راض .

الفصل الخامس من ألوان الإنتاج

وراعى من أهل مكة والنازلين عليها جاب مستملح آخر بما نسميه هنا (الإنتاج) لأن الكثيرين يربحون من ساعات لم تكن تخطر قبلاً ببالهم وأضرب للعكرة مثلاً أو أسوق واقعة :

حدثك قبلاً عما قام به الأح المصري عماس كراهه الذى كان صانع أسنان فى مصر . ثم اشتهر طبيب أسنان فى مكة من خدمة لى .

هذا الرجل العاص قدم لى كتأ ألفها عن الحج وهو ليس بالمؤلف وقد أكد لى أن خدمة الدير والمسلمين والحجيج كانت كل هدفه

وقد التزم كراهه فى وضع هذه الكتب أموراً تناهت فى البساطة وهى كل ما يحتاج الحاج إلى معرفته عندما يفد على الحجار لأول مرة وهو يحسن معنى الطواف والسعى .. والصيع التى تقال لها وهماك .. والشعائر وكيف تقام .. والمناسك وكيف تؤدى .

ووضع كتبه .. فهل تدرى أنه يوزع منها كل عام عشرات الآلاف وأن مصر وحدها تستفد آلافاً ضخمة .. مصر التى تستفد من كتب طه حسين والعقاد صبع عشرات فى كل شهر وتدع للشرق العربى العاطش والجائع مهمتى الشيع والرى ؟

والأح كراهه يستحق هذا النجاح ما دامت بيته كما قال استهدوت خير الإسلام .. وكتبه تودى الغرض منها على أحسن وجه وأكمله .. ربما أسوق هذا المثل على عجائبات فى الحجار بشأن الأرباح والإنتاج قد تدهش لها أنت فى مصر .

واللبنانيون . . . :

ولقد روى لى بعض الحجارين فى الفندق وقائع أخرى لا أحب أن أنسط فيها . وهى فى سبيلها إلى الانقراض طبعاً ، وكان طبيعياً أن تصاحب البداية التى عاشت فيها الجريرة حيناً حتى أخذ الملك عبد العزيز بيدها ، ومن الطبيعى أيضاً ألا تجد هذه الأحاديث مكاناً لها الآن ، وسعود يشتر الحضارة فى أرجاء المملكة ويستقدم كبار الخبراء إليها ويوفد إلى الجامعات فى الخارج بعونه المتوالية .

قص الحجارىون على ، أن إخواننا أهل لبنان — وهم كما لا بد أن تعرف شطار وجوابر آفاق وسلالة الفينيقيين — قد نجحوا نجاحاً باهراً فى جدة وغيرها .

قال لى محدثى ذات مرة :

— تصور أن حلاقاً لبانياً يصيق به العيش فى بيروت أو طرابلس أو صور أو صيدا أو بعلبك ، فيتسلل إلى جدة بعد مكاتبات بيده وبين مواطيه الذين سبقوه ، فتكون وصيتهم له أن يدعى لدى وصوله أنه (دكتور) وليس (مريض) وأن يدرس قل أن يحى . مبادئ فى علم الصحة يعرفها صغار التلاميذ ، وأن يحسن وضع السماعة على قلب المريض وجس نبضه وبعض الأدوية الشائع نجاحها فى بعض الأدوية ، ويحى . الرجز وشفاة أو بأخرى يحصل على الترخيص ويصبح طبيباً عقرياً .. وبعد السنين يسمى مثرباً لبانياً .

مثل هذا الحادث لا يمكن أن يقع الآن طبعاً بعد أن عصت مستشفيات عبد العزيز وسعود بعشرات الأطباء من الباهيين من مصر ولبنان وسوريا والعراق ، وإنما أسوق المثل على ما كان يحدث فى الماضى وعلى لون من الوان الثراء الذى كان يطفز به الشطار من أهل لبنان ، لتعرف أن اخانا المصرى عباس كرامة لم يزل شيئاً إذا قيس بالباحثين من السوريين واللبنانيين .

عقد يجب أنه تحمل :

على أنى أشهر هذه لعرضة لأغزو جابياً آخر من الود بينا نحن المصريين
وبين السعوديين .. وأعنى به عقدة نفسية غريبة مستقرة فى أعماقهم حياتنا ،
وحيات أن تحمل .. لأنها وليدة الوهم .. ولا أصل لها مطلقاً . وإنما رسماها
نحن فى عوسهم بسوء تصرفات بعض المسئولين هما فى عشرات اسنين الفاتنة .
وحيات أن تحمل .. بعد أن توحدنا الآن سياسة وقلوباً ، وكل ما يرى
فى أخيه صديقاً وحيياً .

نعم .. استطعت أن أدرك خلال الايام الثلاثين التى قضيتها فى اللد
اشقيق أن السعودى يحب مصر حباً عميقاً وأكيداً ، ويرى فيها مثلاً أعلى
له .. ويرى فيها مثل الذى نراه فى انجلترا وأمريكا من حضارة ورقى بقطع
الطرق عن استنكاره لبعض الشرور التى تلازم التفرنج ، ويود كل سعودى
من الأعماق لو احتدى حدودها وسح على مواله وتزوج من بناتها وفتح
المناحر فى بلادنا بل وأقام جن العام بين طهرائنا .

لكه الأصغر والأرشد ، والأح الأصغر إن كان كريم الأرومة ويبد
البادية يحشى دائماً أن يسىء أخوه الأرشد معاملته أو يمتنص صغر سه .. بدلا
من أن يأخذ يده .. فتنشأ عقدة فى نفسه تقوى على الزمان وتنمو .. وتحمله حتى
من غير أن يدرك على الفور من أخيه الأرشد .. أو على التحفظ إراءه .. أو على
إيثار غيره فى التعامل .. وعلى الحذر منه إذا هو تحدث إليه أو تفاهم معه .

والمسئولون فى جمارك مصر زادوا هذه العقدة تعقداً فى السنوات العشر
الاحيرة فلم يكونوا يرعون حرمة الأخوة فى معاملة الأح كلما جاء إلى القاهرة
مصطافاً أو زائراً أو تاجراً .

كان هذا يحدث من أولئك المسئولين فى هذه الجهات .. مع أن رجل
الشارع المصرى يحب رجل الشارع السعودى حباً أكيداً .. ويرنو إلى أبناء

البلاد المقدسة بعين مسلة وقلب وامق .. ومع ذلك لم تنبه على هذه الحقيقة وتنبيه عليها أهل لبنان فوضعوا أنفسهم في ركاب المصطافين السعوديين خدماً .. بل أقاموا لهم كما قيل لي ألني منزل نظيف تعطى للمصطافين السعوديين مجاناً .. وافق اللبنانيون وهم أهل فنون في جذب السعوديين إلى مصايف الجبل .
ونبي السعوديون مرغمين .

أقول (مرغمين) وأعنيها .. فما يرانون يحبون مصر .. ويبيعون الشهر في لحو لبنان وجوه .. يوم في حر القاهرة ولدعات القاهرةين .

كيف بالله لم تنبه على هذه الحقائق .. حتى من ناحية السياحة وحتى لو اعتبرناهم أجنب .. أى والله أجاب السعوديين الذين وقفوا إلى جوار مصر حرباً وسباً وأحواها كل التآخي دائماً ، وكان عبد العزيز يرى فيها مجد الأخوة كاملاً ، وتابعه سعود بن عبد العزيز حتى يوشك أن يجعل من الدولتين دولة . ولعلك مدرك صحة كل حرف قلته عن حب السعوديين لنا ، ونقدم في إجلال مصر تصرفاتنا ، وتحكم العقدة التي أشرت إليها في تفكيرهم وشعورهم إذا أنت قرأت كتاباً عن مصر اسمه (كما رأيتها) لأخيها أحمد قنديل مدير عام الحج الذي كان في استقبال يوم وصولي إلى جدة وأهدى إلى كتبه ودواويه ومن بينها هذا الكتاب الذي يقول فيه وهو يصف يومياته عن مصر :

« هي صرخة الطفل الفأط في وجه أبيه الرجل أو أخيه الرشيد ،

إلى أن يقول :

« هي مكانة رب العائلة يحف به حتى صغار أفرادها إعجاباً وإيماناً وبحلقة حتى ذرة العار العاقبة بهدمه للبراءة منها شذات مثالية لازمة له . »

هذا هو لون الشعور ومنحى التفكير عند أدباء السعوديين فلماذا لم نتفع

هذه المكانة ؟

على أى حال لم يفت الوقت بعد :

أديب وأديب :

وكننت قد ظلمت أن الأديب لا سوى له في الحجار وأن أديبهم قلة
أو حفة أرسلوا إلى الخارج فعملوا أشياء وعادوا هو ظفوم في الدواوين
وتواروا

ولكن الإقامة في مكة أحلفت تلك الطون .

رأيت ذات مرة رجلا من مجد يقول الشعر جزلا ويحفظ عن شعراء
العربية جميعاً ، ولو قد قيل لك قبل أن تسمعه أنه شاعر لاهزت شفتاك عن
اتسامة عريضة ، ولا يحصر في الآن اسمه .

ومرة أخرى جلس إلى شاب صامر العود صارب إلى السمة علت أنه
رئيس رعاية السيارات في حدة ومستبد للعمل في موسم لحج في مكة . فإذا هو
أديب مدرك رفيع الحاشية كريم النفس . ماكدت أفتح له راوية من قلبي حتى
ونب إليها واطمأن لها واستقر فيها .. وأحد يشي شكواه من الفص في بلاده .
وملاحظاته على الفص في بلادنا فإذا هو أديب واجتماعي وواسع الإدراك .

عنه دواوين :

وحتى سلطان الجبل الأخضر يسمر بالشعر ويفخر .

وهذا السلطان هو الشيخ سليمان وسلطته أو مشيخته تابعة لسلطان
مبسط . وعي رأسه عمدة .. وعليه جلاب . ومن حلفه حاشية لا يحل
ها لتبطلها بالوصف .. والسلطان وحاشيته يرلون صيواً على الحكومة .

وكما قد طلبنا سلطان الجبل الأخضر وحدها خالي الذهب من ثمار
الحصارة والفكر ونظم الحكم ، ولكن حادثاً وقع قلب الرأي رأساً على عقب .
أنجب سلطان الجبل الأخضر بصاحبي الشيخ وزيه وأدرك أنه عالم مصري ،
وفهم أنه قاص شرعي سابق ، وللقصاء في تلك الأنحاء هيئة ورهبة ، فانصرف
السلطان عما إلى صاحبي الشيخ وحده بوده ، وحلا الإنسان إلى حديث دى

شجون وكنا نرقبهما من بعد باسمين .

وسمعتنا صاحبي الشيخ يسأل السلطان :

— وعندكم دواوين كاللواوين في نظاما المصرى ؟

وأجاب السلطان مزهوا : نعم .. نعم .. كثير .. عندى دواوين .

— مثل إيش ؟

ووجه الشيخ سؤاله واشترط أن يقول له السلطان :

— ديوان الصحة وديوان الأشغال وديوان الحرية وديوان الزراعة .

وسكن السلطان ابتسم ابتسامة عريضة مزهوة واهترت لحبته الترية

الذاكسة اهترارات الحاكم المعتر بهضة بلاده وأجاب :

— عندى ديوان شوق وديوان حافظ وديوان الخليل .

وأخبر صاحبي الشيخ ضحكته في أحكام قفطانه وأفلت ما الضحكات لعدم

وجود أحكام لأربانتا ، وهرونا من القاعة إلى أخرى نستردفها حرية الصحك

كاملا

ولم يقف الأمر بالسلطان عند حد الدواوين بل تارل فالتحد ما أصدقاء .

له في المرتبة التالية لمرتبة صاحبي الشيخ ، وبدأ يوجه إليها أبياتا من الشعر

تنطوى على كلمات مهجورة وألغاز ، ليتحدانا أن نفسرها له وليشعرنا بأن له

قدم صدق في الأدب عامة وفي الشعر خاصة وكانت أعين الحاشية تترافص

إعجاباً وهم يرون سلطانهم عالماً على هذا النحو وإلى هذا الحد .

واحد منهم فقط لم يكن يساهم معهم في الإعجاب . ذلكم هو صديقنا مصر .

مصر .. الفائز العام .

ومصر عبد ربحي حفيف الروح والطل قصير القامة أظطر الأنف .. قد

من البدائية واتسب إلى إنسان العابة .. لامع سواد الوجه .. ولامع يياص

الأسنان دوفك واسع وفم عريض وعينين حمراوين في الأغلب الأعم وهو

دائماً صاحبك.. حتى في صيته يفتح فمه بالصحك لسبب ولغير سبب ..
 وتستطيع أن تقول بلغة ابن البلد في القاهرة (شربات) وحسبك من حالته
 الصحية أنه يسابق مباراتنا إلى الحرم فيصل إليه قبنا على القدم

مطر هذا — هذه الحلقة المفقودة بين الإنسان الأول وأناسى هذا
 الرمس — قيل إنه القائد العام في ولاية هذا اللسان وقيل إنه رئيس
 الحرس .. وقيل إنه الباور الخاص وقال لى السلطان نفسه (حارسى الخاص)
 ومن عجب أنهم جميعاً يلبسون جلباباً أبيض (الدولان) السيك في
 حين أن مطر يلبس جلباباً من الحرير الشفاف الرخيص ليبدو من تحته ثوب
 أحمر فاقى الحمرة أدنى إلى ما نسميه في مصر (بالفتاه) وإلى يمين مطر خبجر
 ذو مقبص ذهبي يضرب عليه (مطر) بين الحين والحين إرهاباً لنا .. ثم يطلق
 صيحته التقليدية ليعيد الطمأنينة إلينا .

مطر هذا كان الأوحاد الذى لم يساهم في الإعجاب بالمعوم والآداب التى
 تندفق أو تنساب من فم مولاه السلطان . لأن صديقنا (مطر) لا يفهم النحو
 ولا الصرف ولا يعنيه الشئ أو الشعر ، وهو يفكر دائماً في شئ واحد .. محبة
 .. يعود ابن عبد العزيز مائة مائة صم من مسج من الحاشية .. وهو يعترم
 الزواح من راحة إثر عودته إلى الحبل الأخضر .. والحديث منه مصب على
 هذه الأمية .. والتفكير فيه — إن يكن فيه تفكير — محصور دائماً ومحصور
 في تخيل هذه الروحة الجديدة الرابعة .

ودوداويين .. وكتب :

و يعود إلى الأدب في الحجار فأذكر كى يحدثنى عن الأخ أحمد قدييل مدير
 عام إدارة الحج ومؤلفاته التى أهداها .

والأخ أحمد قديين كان مرة يزور مكة وكان ينزل في (فندق مصر) وقد
 أرسل إليها تصريحاً نستحدمه في المرور بين مكة وجدة كلما طاب لنا أن نזור
 جدة أو نعود إلى مكة في الفترة التى تعقب الحج ويحرم فيها الخروج من مكة

أو الدخول إليها بغير تصريح حتى تثبت نظافة الحج .

ثم تفض الأح قدبيل فأرسل لي ولصاحب الشبب بصعة كتب من تأليفه بعضها شعر وبعضها نثر وعلى كل منها عبارة إهداء رقيقة ومهدنة وهى .

« الأبراح ، و « أعاريد ، و « أصداء ، وكلها دواوين شعر و « كآرايتها ، وهو الكتاب الذى يصف فيه مصر التى أحبها كآراها وكآهى كآنة وكآود أن تكون .

وتصفحت هذه المؤلفات . فعلا قدر هذا الصديق عدى .. ورأيت فى نقداه ظلا واضحا للناقد . ورأيت فى شعره حلاوة وطلاوة وعمق فى بعض المعانى وفلسفة فى بعض الآراء .. وقسته إلى النهضة فى المملكة العربية السعودية هم يسعى من هذه الحاجة ، السبية ، إلا أن أرى فيه شاعرا مجيدا وكاتباً قادراً ومفكراً وأديباً .

من هذه الوقائع العابرة ..

وفى هذا الجو المحدود ..

ومن بين الأناسى الذين لقيتهم ..

وعلى ضوء معلومات لى سابقة آمنت بأن فى البلاد السعودية أدبا وبين السعوديين أدباء .

وأحببك تذكر من بين الأسماء اللامعة فى الشرق العربى شاعرا فخرا .. هو خير الدين الزركلى الوزير المفوض لوزارة الخارجية السعودية وهو اليوم سعودى الجنسية .

ولقد اكتشفت أحيراً أن أخاها أحمد موصلى وكيل وزارة الاقتصاد شاعر مجيد ولم أعرف أنه يقول الشعر حتى قصى عاهل الجزيرة الملك عبد لريرز فاهزت شاعرية الموصلى .. وقال شعراً جر لا ولغا وثنت أنه شاعر أى شاعر .

أما الأسماء المعروفة من قديم في شعر الماسبات فأشهر من أن تذكر ، ولا يجهل أحد قدر الشاعر الكبير إبراهيم الراوى ولكن الرجل قصر شعره على مولاه الملك وفي ماسبات معدودة ليحفظ على نفسه مكانها بعد أن اتخذ مكانه في مجلس الشورى نائباً لرئيسه .. ويعرف المصريون طبعاً أحياناً الآخر : «إذ ثكر وشيطانه الذى لا يصحح إلا في الماسبات المديحة ، وأما الكتاب اندس نحوى أقلامهم على صفحات «البلاد السعودية» و «أم القرى» و «المدينة المنورة» و «الرياض» معروفيون بأسمائهم .

وأصرفاء .. أدباء :

«ربى من بين السعوديين أصدقاء أعرف أنهم أدباء من الخطبات لا من الناح .. فأنا لم أقرأ لهم إلا كتباً مهم يحملها البريد إلى .. والكتاب أو (الخطب) لا يتأق فيه كأنه ولا نتشد له مواهه لأنه لغة القلب من الصديق إلى الصديق . ومع ذلك لاحظت أن الصديق عبد الله بالخير كان يرد أعمى على البرقيات التى تلقاها الديوان فيجرب قلبه على الصفحات فى سر وعجلة فتجده المارة حملة ورصبة تشعرك بأن صاحبها أديب وكاتب . غيبة إذن بالأدباء هذه المملكة على حداثة الهوى فيها .. وانعنى لها نفسي طبعاً .

وكبير إذن رجائنا فى مستقبلها الثقافى المأمول وغناها الفكرى المرجو

فى طريق العودة

من مكة إلى مكة

وختصر الآن الطريق ونحرم الحقايب وسنستعد للرحيل من مكة إلى جدة فى طريقنا إلى المدينة .. وقد يظرف بالنسة لك أن يذكر أن العربة التى كانت تقلنا فى الطريق إلى جدة لحقت بأخرى لاحظنا أنها تقل الشيخ سليمان

سلطان الجبل الأحمر الذى حدثك عنه قبلا ، وحاشيته الكريمة ، فرقنا إلى جوارها ماضين إلى غايتنا .

ويسدو أن ، الأمير ، عز عليه أن يسبقه ، بعض الرعايا ، فأصدر ، أمره السامى ، إلى السائق السعوى أن يسرع ويسرع .. حتى يحرق قصب السبق علينا . . وأسرع السائق حتى لحق بنا ثم سبعا . . وفى ابتسامة صفراء شامتة وبطيرة نارية ثاقبة من سلطان الجبل الأحمر حذق يعيه فيا . . ثم هز رأسه مرة من يقول لا ، هل بلغت بكم القفة هذا الحد ؟ . . ونجاة تعطلت سيارة السلطان عن السير . . وكاد يحس . . وهبط السائق يحاول الإصلاح عنأ . . ومررنا بصاحب العظمة وأطلقت رعى صحكة . . خفت أن يطلق فى إثرها ، عذارة ، . . ولكن ، مطر ، قائد جيوشه ولاس الجباب الأبيض . . والمتسطق وحده بهذه العذارة كان صديقا لنا كما حدثتك قبل . . وكان يكشف بكل قوة فى شفته عن أساه الوحشية الساء . ليشاطرنا الشامتة والابتهاج . . ومرت الحادثة فى دقائق معدودات . . ولكنها كانت نوباً لا يسى من ألوان التفكير عند سلاطين المحميات البدانيين . .

الملك عبد العزيز :

وفى فددو انيسير فى جدة . . ألقيا العصا فى انتظار الطائرة لتقلها إلى المدينة لزيارة الرسول . .

وكان صديقى الشيخ مصراً على أن نستأذن الأمير سعود ولى العهد (يومئذ) فى زيارة الطائف لحظى بمقابلة الملك عبدالعزيز . . وكنت فى داخل النفس أكثر منه شوقاً إلى هذه الخطوة لأنى لم أكن قد رأيت الملك وكان صاحى قد رآه مراراً . . ولكنى كنت أحس - فى قرارة النفس أيضاً أن القدر لابد حائر دون هذه الأمنية وقل أن يكذبنى مثل ذلك الحس . .

ومضى صاحى يلح على فى مفاخرة المسئولين . . وحرث بين الكرامة

والرعية.. واستحرت الله وفتحت الصديق الذي لا تحبلى مكاشفته (وأعنى به الشيخ عبد السلام غالى) وسألته فى تحفظ إن كان يرى لزماً أو واجباً أن يزور الملك فى لوائف.. وبمبادرة راع الشيخ الحضيف من الإجابة وقال: «أنشر.. ويكون أفضل طال عمرك لو تتكلم مع الأح بالخير، ثم مال عبد السلام كعادته عند ما يريد أن يسر إليك شيئاً وقال: «كلمة فى الأدب. المسألة تتوقف على الصحة أطل الله عمر مولاي صاحب الجلالة وسمو ولى عهده المعظم، وأكلت أنا ضاحكاً.. وسمو نائب جلالة الملك..»

ولم يكن ميسوراً وجود طائرة إلى المدينة لأن كل الطائرات كانت تنقل الحجاج إلى الطور رأساً.. الحجاج الذين سبق لهم أن رادوا الرسول قل الحح وجاء دور عودتهم إلى بلادهم.

وباء الجدرى

وحدث فجأة وبعد أن أعلنت الحكومة السعودية نفاذ الحح أن شاع فى جدة أن وباء الجدرى اكتشف فى الطور، مقولاً عن حجاج المغرب إلى الحجاج المصريين.. ثم شاع أيضاً أن كل حاج لابد أن يحجر فى حجر الطور أربعة عشر يوماً لا يومين ولا ثلاثة كما هى العادة.. وفعلاً وثرث.. ثم قيل لنا إن فى إمكاننا العودة عن طريق بيروت ومنها إلى القاهرة رأساً تفادياً لطور وكسباً للتساهل الذى المعروف.. وجأة قيل إن المكتب الإقليمى للهيئة الصحية العالمية شدد الكير على عواصم البلاد العربية لتتخذ نفس الاجراءات التى يتخذها حجر الطور فلا جدوى من وراء بيروت..

ومع أن هذه الشائعات ثبت بعد أيام أنها مبالغ فيها.. فقد اتسع الوقت أمام صاحبي الشيخ ليعاود إقناعى بزيارة الطائف.

عمول نهائى:

وحدث أن دعيت لزيارة صديق عبد الله بلخير فى مكتبه بالقصر

الملكي في جدة .. وكان الزوار يملأون المقاعد وجلهم من زعماء الدنيا والدين في البلاد العربية — فاستبقاني الصديق حتى يصرف ولي العهد وينصرفوا .. ثم دعاني إلى جولة في سيارته حول شواطئ جدة لنعطيها وتنسم بعيداً عن العمران عليل نسيما .. وفي حلال هذه الطوفة طرقت موضوع الطائف فقلت : ليلخير ، في صدق وصراحة :

— أريد كآخ عربي ومسلم أن أوجه إليك سؤالاً صريحاً أطلب منه الجواب صريحاً .

— أبشر .

— هل ترى أن في وسمي أن أحفظ تكامس كرامتي إذا أمانت الملك عبد العزيز في الطائف في هذه الآونة ، فلا تفسر أي تفسير ؟ عبأ بأنني أحمل لجلالته نسخة من كتابي القديم ، « البرلمان في الميزان » ، أحب أن أرفعها إلى مقامه هدية بريئة مني . وأجاب عبد الله في صراحة :

— كآخ عربي ومسلم أجيب في صراحة : لا ، فهل تريد المزيد ؟

— نعم إن أمكن .

— إذا كنت حريصاً على أن تظل السوادى الذى يعرفه فأرجى ، هذه الزيارة إلى وقت آخر تدعى إليه .. فضلاً عن أن في وسمي أن أشك سراً وهو أن جلالة الملك أطال الله عمره يشكو تعباً ولا أريد أن أقول طال عمره إنه مريض .

— اقتنعت فلا تعضف جديداً . وأرجو أن ترفعوا أتم إليهم هديتي بطريق البريد .

— لك هذا .

وفعلاً أعطيته نسخة الملك وبعد عودتي إلى القاهرة تلقيت خطاباً من رئيس الشعبة السياسية عن طريق السفارة السعودية في القاهرة يلعبى شكر

جلالته السامى ثم شاءت عناية الله أن يقبض إليه العاهل الراحل من قبل أن
أراه ..

أجانب .. لا لأجانب :

نحن الآن كما ترى فى جدة .. (جدة) ذات المياه العالمى الحديث وذات
التاريخ الذى ساهم سعود مع أبيه ومعاويه فى صعه .. ليقول للأحفاد غداً
كيف عزا العمران هذه الصحارى .. وأقام على الشيطان هذى الموائى ..
وقل إلى القفار هذه الحصارات ..

نحن فى جدة الآن ربع مليون من السكان وقصور تجثم على الكشبان
وتسرع على الخيال وشارع رئيسى واحد عريض وطويل .. يشق المدينة شقاً
وما عداه ففروع مه .. وفى هذا الشارع أو على جانبيه تقوم أصحم البيوتات
المالية والمصرف والشركات والمتاجر وترى من وجوه السم والصفرة
والسود .. أصعاف أصعاف ما ترى من البيض .. أو قل ترى العرونة
والإسلام مثليز أصدق تمثيل وعلى أوسع نطاق — وقد تلبح أقواماً من
اليصر تحالهم يونانيين أو ابطاليين ثم تعرف أنهم لسانيون فتحمد الله الذى
لا يحمده على المكروه سواء .

ولكن . هل معنى هذا أن جدة لا أجاب فيها ؟

كلا .. بل قل إن جدة هى البلد السعودى الأول المسموح للأجانب على
اختلاف أديانهم وأجاسهم بالإقامة فيه .. لأن الملك السياسى مقره جدة ..
وكل ما يستلزمه وجود هذا السلك موجود .. فضلاً عن بعض الألمانىين
وغيرهم من الفنانين فى الأعمال الكبرى ، ولكنهم ليسوا كالأجانب فى القاهرة
وعدد .. إنهم أجاب لا مكان لهم فى المجتمع السعودى .. فإذا فرغوا من
أعمالهم وكان لابد من اجتماعهم .. اجتمعوا فى دورهم وقل أن تلبح فى
الطرق أحد منهم .

ولعل أكبر دليل على عدم وجود المكان المرموق للأوروبيين بين السعوديين أن أمور الضيافة الرسمية في موسم الحج يعهد بها إلى الشيخ عبد السلام غالي وهو من حملة عالمية الأزهر ولا يعرف اللغات الأجنبية ..

ولم يشعر الشيخ قط بحاجته إلى هذه اللغات .. فالضيوف الكبار أما مستشرقون يعرفون الفصحى أو سياسيون جاءوا للتشريف بمقابلة الملك فتولى السكرتير الخاص مهمة الترجمة .. أو جاءوا لمقابلة المسؤولين في وزارة الخارجية وفيها طبعاً مترجمون .

وفي الموسم الفائت لم يحتج الشيخ عبد السلام إلا لمترجم يسهو بين الصحن الباكستاني (الغلاني) الذي حدثك عنه .. وكان هناك لهذا الصحن ألف صديق وصديق يقومون بهذه المهمة .. وإن كنت قد صهبت الشيخ مرة متلبساً بالتفاهم لصاحك يسهو وبين الصحن الباكستاني بلغة الإشارات .

وهكذا تستطيع أن تقول وأنت أمر أن سلطان الأجانب في مملكة سعود معدوم أو في حكم المعدوم .

الفصل السادس

ونحن نزمع الرحيل

أى نعم .. أحسنا ونحن بعد الحقائق فى جدة ، أما نزمع الرحيل إلى مصر .. مع أما نرتقب خيرا من المطار عن قيام طائفة إلى مدينة الرسول .. فما معنى هذا الشعور ؟

معناه — وقد عرفناه بعد أن بلغنا المدينة وعشاء — أن كلاما شعرا تلقائيا وهو يبارح جدة إلى المدينة .. إنه يبارح فعلا آخر حدود المملكة السعودية .. وأن مدينة الرسول نقطة مائية وطاهرة .. ومهجر هادئ متجدد .. لا يعرف من خلط المكين بين الدنيا والدين كثيرا .. ولا يعرف شيئا عن الإطلاق من صحب التجارة والشطارة ومن ماورة هذه المفوضية أو هذه السفارة .. وصغير الباخرة ودوى الطائفة وضحة السيارة .. تلك المظاهر التى يعيش عليها سكان جده .

فلما خالنى هذا الشعور العجيب من قبل أن أرى المدينة .. وعلى صوء ما طاعته عنها وما سمعته من أفواه الذين زاروها .. بل على صوء بعض أهميها وقد جمعتهم فى مكة ساعة من الزمن .. أقول لما خالنى هذا الشعور العجيب من قبل أن أراها .. وأهضيت به إلى كبير فى جدة .. شاعت الانسامة لعريضة فى وجه المستطيل وقال :

— لم يكن ذلك شعورك يا أخى .. أتدرى التسمية التى تطلقها عن السعوديين
هنا إذا عرشنا لأم القرى ويثرب وجدة ؟

قلت : لا

قال وقد سره أن يجيبني بجديد :

— نحن هنا نسمى جدة « مدينة الدنيا » ونسمى المدينة « مدينة الدين » ،

ونسى مكة مدينة الدنيا والدين ، . . فهل تستعرب بعد هذه التسمية أن يحاللك مثل هذا الشعور وأنت تزمع الآن الانتقال من مدينة الدنيا إلى مدينة الدين ؟

وذا رَأى دورة سريعة صامتة بين هذه التسميات منهم ، وبين هذا الشعور مى . . ولم أعد مشغلاً إلا بالساعة التى أبرح فيها جدة إلى المدينة .

ولكن تليفوناً يدق فى الفندق . . وشيخنا محمد سرور الصبان (مستشار المالية العام يومئذ والوزير الآن) يتحدث ويقرر أن عربته ستصل الآن إلى الفندق لنقلنا إلى قصره فى حي البغدادية — ضاحية جدة الجديدة — لتناول القهوة معه فى بستان القصر .

وأخذت وصاحبي الشيخ طريقنا إلى البيت . . وعنده — وفى بستانه الفريد الفانس . . التقياً بالسيد صائب ملام رئيس وزراء لبنان السابق ومعه وزير لسان المفوض فى جدة . . وجرى الحديث عن ذباً عما صنعت يد عبد العزيز وسعود فى تعمیر جدة بعد إنشاء الميناء العالمى ورصف طرقاتها وتزويد الدور بها بالمياه والنور والكهرباء . . فقال الشيخ سرور يرد على سؤال لى عن عدد السكان وحركة العمران :

— يكفى يا أخى أن أقول لك ما يأتى : اسأل أى واحد فى جدة عن جدة قبل ست سنين لا عما قبل ستين سنة . . ست سنين فقط كانت إليه وبقيت إليه . . وبعدين تكلم .

وقلت له :

— ما تقول أنت بدال ما اسأل .

وقال الشيخ سرور :

— بلاش أقول إلا كلمة واحدة . . كان سكانها ٢٥ ألفاً فأصبح سكانها اليوم ٢٥٠ ألفاً . . عشرة أمثال فى ست سنوات وتصور على ضوء هذه الحقيقة ما تحب أن تصوره عن حركة العمران .

وهزنا رؤوسنا في صمت

صفر الجزيرة :

وعرصا حلال اخذت لصفر الجزيرة عبد العزيز .. وحرصه على أن
يظل شيخ الصحراء كما كان فتاها .. وعلى ألا يعبر المدينة الغربية أى التفات
من حيث حياته الخاصة

ورأى الشيخ الصبان فجأة أن يمنح إلى التركيز وبلاغة الإيجاز فقال بوجه
حديثه إلى :

— هل تعرف ماذا يأكل الشيوخ (أى الملك ؟) وأى أنواع الملابس
يحرص عليها ولا يرندي سواها وأى سرير يطيب له أن ينام فيه ويطمش إليه ؟
قلت :

— طبعاً لا

قال :

— (الشيوخ) لم يعبر قط فى مأكله أو ملبسه حتى الآن .. ولم يسترح
قط فى مصجعه إلى غير ما كان يستريح إليه فيما فات من الأزمان
— بلغتمكم .. كيف .. كيف ؟ (مكسر الكاف) .

وابتسم الشيخ محمد وقال :

— أقسم لك يا أحمى . وفى وسعك أن تسأل فى العصر وأن تسافر إلى
الطائف وأن تتحرى كما تشاء أن عبد العزيز لم يغير طعامه قط .. ولم يأكل حتى
الآن غير اللبن والتمر واللحم أطعمة البدو .. ثم عاد فامتنع مراعاة للسع
اللحم واقتصر طعامه الآن على اللبن والتمر .. تماماً كما كان أيام شبابه مبعداً
فى الكويت وأيام مجيئه عارماً للرياض وأيام حكمه فقيراً قبل تفجر الزيت .
— وملايه ؟

— هى .. بعينها .. وبكفيك أن أقول لك إن الكوفية التى يلبسها الآن

تحت العقال هي الكوفة الخراء التي يلدها البدو في الصحراء .. والتي لا ترى
مثيلاً لها على أصغر وجه في المملكة .

— عبد العزيز سيد الجزيرة ؟

— نعم .. وباليدي كل .

— باليدي كل ؟

— أها الأكل .. ولا يطيب له إلا إن كان على سفر وترجل وافترش
الأرض التي كان يفرشها غازياً .

— والملايين ؟

— ينفقها على الملايين .. ولا أهداف له غير أن يلقى الله غير متحر بطعام
وغير مزدان بفراش أو رياش .. وغير مسئول عن ظلم حاو يسان .

— وإذا كان في مملكته اعوجاج .. وقل أن تحب مملكه من المعوج ؟

— تقسم غير حاث أنه لو علم به لقومه ..

— وكل خطأ وقعتم فيه .. لا علم له به ؟

— لو علم به لصوبه . وما بلغت شكايه فقير صد أمير من بيده .. إلا أخذ
من الأمير للفقير . وحسنه وحماه طوال الحياة . والسوق هنا راحرة
بحكايات وأحاديث .

والربيع . في بئر الربيع :

جدة .. مدينة الدنيا ١١

هذه التسمية ما تزال تدوى في أذني ..

وقد عبت بها وخرجت إلى الطرقات لأراها على الطبيعة ، وكدت
اعتقد لفرط ما رأيت من حركة المال وشاطفه في المصارف والشركات أن
سكان مدينة الدنيا ، سوا كل شيء إلا المال .. ورأيت في اتحادهم وحدة

تعاملهم (الريال) . . دليلاً على أنهم ينسجون على منوال الأمريكيين
« بالدولار » .

ولكن حادثاً صغيراً صادفني ههنا هذا الاتجاه في نفسي هراً بل كاد يقبله
إلى نقيضه تماماً . .

قلت لصاحبي الشيخ : هيا تشاهد سوق جدة يا مولانا وأحسبك خيراً
به طبعاً . .

وطاب لصاحبي الشيخ أن أراه خيراً ، ونسى أن حسنة عشر عاماً مرت
بين يومنا هذا وآخر حجة له ، وراح يتحدث عن غلاء أسعارها .

وقلت لصاحبي وهو يمارن بين الأسعار في جدة ومكة :

— يا سيدي المسألة ليست مسألة مال وأسعار . وإنما نحن حجاج . .
وكأنودينا ونحن في القاهرة فطرنا إلى عرفات لنقول لم بادانا : لييك اللهم
لييك . . كذا لك أمر الأوراق . . إن كان قد كتب لتاجر في جدة أن يأخذ
بعض ررقه من جيوننا . . طرنا إليه طائعين أو كارهين وقلنا للرازق الذي
دعانا : لييك أيضاً .

ومشى صاحبي الشيخ معي حتى ندعنا مطالع السوق .

وجاءت استوقفتني حركة غير عادية فيه . . وشرطة في أيديهم عصيهم
يرسلون صرايحهم ومع كل طائفة رجل يبدو عليه الصلاح يلبس جلباباً
أبيض وعلى كتفه انسابت كوفية بيضاء .

ورأيت لتجار يتركون متاجرهم مفتوحة ويهرولون . وبعضهم يرخون
على المضانح شاكالاً ثم يصرفون عنها مسرعين . . وصرخات الشرطة رتيبة
لا تتغير . . والكلمة واحدة أو اثنتان تتكرران وأنا غير مدرك . . وجاءت
ارتفعت أصوات المؤذنين بالصلاة ووضحت في أدنى الكلمة التي يتصايح بها
الشرطة بلهجات مجدية وحجارية لم أكن قبلاً مدركاً لها وهي :

— الصلاة . . الصلاة .

فإذا تواني تاجر اتجه إليه الرجل ذو الجلباب الأبيض وصاح فيه عنيقاً :

— الصلاة يا شيخ . . الصلاة يا شيخ .

وامتلأت عيني مروعة هذا المظهر . . امتلأ قلبي بحلال معانيه وحمال أهدافه وعلت أن ذا الجلباب مدوب (جماعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) وهي جماعة لها قصة ليس هذا مكانها .

وهكذا يسود المظهر الديني . حتى جدة (بلد الدنيا فقط) . .

من هكذا بطبع الإسلام كل شيء في هذه المملكة بطابعه . . بطبع دينها وديناها . . ويطبع . . مجرورها وتقواها . . والصلاة تؤدي في كل مكان ومن كل مواضع وفي غير رياء . . العصاة يؤدونها تكفيراً عن معاصيهم لشعورهم بأنها ترتكب في بلد ليس من الهين ارتكاب المعاصي فيه . . والصالحون يؤدونها فريضة عليهم من ربه . والحاكم يقف بفقه في الطريق ليزع السلطان كل من لا يوزع بالقرآن .

ولا أتحدث طبعاً عن الصلاة في مكة حيث يعلو بناء الكعبة في فضاء الحرم . . وحيث تدعوك دائماً للطواف من حولها . . وتعريك دائماً بالثبث بأستارها والفرع إلى الأمن في حلالها .

وعار أن أتحدث عن الصلاة في المدينة أو أدل على التزام الأهليين لها في أوقاتها . . وأنت فيها مشدود دائماً إلى مسجد الرسول وبجذوب . . والزعزعة دائماً تسرى في أوصالك كلها لاحت لك مآدبه . . وكلها جلبجت من فوقها أصوات المؤذنين .

رأسى الغائل وير السارق :

ويأتك من حقائق لا تريد أن تحزمي قط . .

وبالك من طائفة لا تريد أن تبرح جدة إلى المدينة في يسر . .

أهاك أحداث لا تزال تنتظر ؟

وتلقينا الجواب من القدر .. أن نعم .

هناك قصة لاثني أعدا في جنة تطبيقاً لحكم الشرع .. ومن حين آذاننا أن تمتليء بهذه القصة امتلاء .

إعدام قاتلين .. يا لسوء المذاكرة .. ويد السارق .. ألم رها وهي مقطوعة في مكة . كيف لم أحدث عنها قراء كتابي ؟ استمع يا سيدي :

أولاً حدث أن كنا نضلي الجمعة في الحرم الملكي بعد انتهاء الموسم وأعد أن سارقاً صط وهو يسرق وحكم عليه الشرع بإقامة الحد أى قطع يده اليمنى ، فلم يستطع أن يواجه الموقف وجي . بالسارق على بعد أمتار ما أى أمام دار الحكومة .. وعلى مرأى من عشرات الآلاف و ، سجت ، يده وقصعت نصر حاد ثم علفت اليد على باب (دور الحكومة) فمررنا بالسيارة أمامها وحدثنا فيها . وعرتنا مرة ثم ذكرنا الأمن فعمرنا الرضى .

وثانياً ... حدث أن قضى « الشرع » - أى المحكمة - على اثني من لقتة بالإعدام قيل إن أحدهما هناك عرص فتاة ثم قتلها حتى لا تضيع الجريمة .. فجئى . بهما إلى الساحة وعلى مرأى من الشعب وقد رطبت يدا كل منهما إلى حلقه وأجلس الاثنان القرفصاء وتى عليهما الحكم ، وجي . نسياف بهذا إنه أحد اثنين في المملكة لا يطير لهما في المهارة ، وكان يحوي سيفه تحت كفه . وفى جزء من الثانية لم يقبه فيها متفرح واحد من عشرات الآلاف الخافين من حوله .. من السيف صدر المجرم فانتصت قائمته آلياً نتيجة لعمره السيف .. لجرى السيف إلى عنقه ففصله .. وكل هذه العملية تمت كالحب البصر بحيث لم ير الناس إلا رأساً يشب بعيداً عن الجسم .. وتكررت العملية في الآخر .. وكل منا يسأل أحاه .. كيف تم كل هذا بالله ؟

وبعد ؟

نعم وبعد . . أراي أبتسم وأنا أرجع إلى هذه الأحداث . . وأحدث القراء عن ذلك الأمن . . وأرجع بالذاكرة مرة أخرى إلى الأمن قبل حكم السعوديين . . يوم كان حجاج بيت الله يذهبون إلى الحج ومعهم أكفانهم وأسديحتهم . . ويوم كان حرس المحمل مروداً بالمدافع والسادق . . ثم لا يفتي هذا كله . . ثم لا يكاد الركب يمر بين جبلين حتى تنهال عليه طلقات البو أو يجرح على العزل من وراء الكتيان قطاع الطرق . . ويجردون الحجيج من أموالهم وحليهم . . وينهبون من يقاوم منهم دبح الشاة . . ثم لا تتحرك حكومة الأشراف إلا ما كناً .

ذكرت هذا كله . . فذكرت أمير شعراء العروبة شوقي وقد هاله ما كان يحدث فانجه إلى سلطان العثمانيين — وكان الحجار حاصعا لحكمه — يجأر بالشكوى ويصيح في سلطان آل عثمان :

صاح الحجار وصح البيت والحرم	واستصرحت ربهـا في مكة الأمام
تلك الربوع التي ربيع الحجيج بها	ألشرف عنيها أم لك العلم ؟
أهين فيها صيوف الله واصطهدوا	إب أنت لم تنقم فائقه ينتقم
أفي الصحي وعيون الجند ناظرة	تسي النساء ويؤدى الأهل والحشم ؟
ويسفك الدم في أرض مقدسة	وتسباح بها الأعراس والحرم ؟

ذكرت كل هذا وتساءلت :

— أليس من حق العروبة أن تفخر بهذا الملك العربي ؟

عبد الله السليمان والصباح :

حدثك عن جللة الستان في قصر الشيخ النصبان . . وما جرى بيننا من حديث عن الملك عبد العزيز . .

ولكن حديثاً آخر ذا بال .. جرى
ويتصل أيضاً بالملك . كان قد شاع أن الشيخ
عبد الله السليمان دعى فجأة إلى الطائف لمقابلة
الملك عبد العزيز فصار الورد إليها في حاشية
ولى العهد .. وعاد منها ليعد حقايبه على
عجل .. لأنه أمر من مولاه بالسفر إلى
أوروبا في خلال يومين .



عبد الله السليمان مرة أخرى

وكان طبعياً أن أسأل الشيخ سرور عن سر ذلك السفر . وكنت أعلم
علم اليقين أن الشيخ محمد كبير العفر بعيد النظر تحق أسنانه البيضاء الصاحكة .
ثاباً أروق على الزمان وفعل الأحداث التي جرت عليه منذ كان من الثوار
في صدر الشباب وقاوم العرو السعوى فيس قاوم من شاب الحجر .. ثم
عاد فأمن بعدل عبد العزيز فاهضم إلى الصف ومشي تحت اللواء .. وتحدث
مه المواهب فوثب إلى الصدارة حتى عدا مستشراً عاماً لورارة الدولة ..
وحتى أسمى اسمه يذكر باهتمام .

وأدرك الصبيان ما أرى إليه من السؤال
فتدنى من فوره في ثوب فضفاض من
الصراحة وهو يتدفق في الإجابة تدفقاً .
شأن الرجل الذي يريد أن يشعر أنه لا يبد
جواباً ملفقاً .. وقص القصة وأكدها
وحلاصتها أن الملك عبد العزيز معي دائماً
بصحبة عبد الله السليمان .. فلما قدم بالطائرة
إلى الطائف طيبن عالميان .. لفحص حالة
الملك أمر باستدعاء عبد الله السليمان ليراه



سرور الحسان

الطيبان .. فما كاداً يوقعان الكشف عليه حتى هالتهما الحال . وأندرا

بسوء المآل . إذا لم يسافر الوزير هوراً إلى إيطاليا وفرنسا وسويسرا ليعالج
بعض المياه المعدنية فيها . وليستريح شهوراً في إحدى المصحات وتحت
رعاية الإخصائيين . .

وعجبت . . للأوصاع . . بين هذا الذي يروى . . وبين ذلك الذي
يشاع . .

عجت لرجل الشارع في طرقات جدة وفادقها يحاول أن يرى في سفر
الوزير المفاجئ . . معاني لا أول لها ولا آخر . . ويعرّوها لأسباب يطيب لرجل
الشارع أن يعرل خيوطها . . وينسج بردها . . ليرضى رغبة بعضها في نفسه .
أدنى ما تكون إلى غبط الوزير على ما أناء الله من نعم وما أولاه مولاه
من ثقة

وسرور لصان . . يتحدث عن ، الوزير ، بهذا اللسان الخلو . . ويصف
حب الملك لخادمه ووزيره وصفاً يكاد يرقى إلى مراتب الغرل . . فبأي
القولين يأخذ المحقق ؟ . . أنا كمحب للوزير آخذ بقول الصبان . . أما كباحث
ومحقق فلا أمدك إلا أن أتريث وأواصل البحث .

نزوره شهر

وقال صاحب الشيع بعد أن بارحنا قصر الصبان — ولصاحب الشيع في
بعض الأحايين لمعات ولحات :

— نزوره يا أخى .

— من ؟

— الوزير . ألم يأخذ علياً موثقاً برب البيت . . أن تنص به إذا
ما فرغنا من الحج .

— حص .

— طيب . . وها هو ذا يزمع السفر . . فبادا لا تبر بوعدنا . . وقد

تعرف منه شخصياً سر سفره ؟

- فكرة .

- يا لله يا شيخ . . توكل على الله .

وتوكلنا واتحب ليا . لنا إلى بيت الورير وفي الساحة الواسعة أمام بيته
كبير وقعت أعينا على مئات السيارات تتزل أسفة ضخمة في صفوف تليها
صفوف . . وتنتهي . أن النصر يتوح بالرائزين .

ودق الحارس الخارجى الباب ففتح حارس داخلى فطلب إليه أن يبنى .
الورير بأنا تريد "تسليم عليه فأعلق الباب وتوارى . . ثم عاد ومعه رجل
كان قد رأنا يوم زيارتنا الأولى للورير فرحب بنا ودعانا إلى الدحول
محدثنا . وإذا الأبهاء . تموج فعلا بأخيلين . ويدهم عظاما . وكبراء . وبينهم
لعر عطا الياس صاحب ودق التسير بعضهم بنها مسون . . وكلهم سكوت .
وألقينا السلام وجلطنا .

وتركنا مراصنا وأضعت دأخلا .

ومصت خمس دقائق ثم عاد فأشار إلى وإلى صاحبي لشيخ . هاتجها إليه
روح الرجاء في اللقاء . . وعيون اخميع تنجيه إليها روح التيب لنا والنساؤل
عن أقدارنا . . ولكن أقدارنا من نوع آخر تحولت بإبرة الرجاء فجأة فقال
باص الورير بعد مقدمة حيرة واعتذار يفص رقة . . إن الورير يرجو ويلج
في ارجاء أن تنفصلوا بالزيارة في الغداة لأنه مجتمع بالسفير الأمريكى وكل
الجالسين هاهنا من ساعات يعرفون هذه الحقيقة . . وقلنا . (وهو كذلك . .
تحياتنا لمعالیه)

والتفت تابع الورير إلى هذا الجمع الخاشد وقال في بساطة كلاما
بانهجة السعودية يصح أن نرحبه إلى اعتذار الورير لهم ووعدنا أن يلقاهم
في فرصة أخرى .

ووقف الجميع في سكوت .. وأسرعنا بحث الخطي إلى الخارج ونهر محمد
الله على ما لقينا من تكريم وترحيب .

إلى بيروت وألمانيا :

وفي اليوم المحدد لنا - والمتروك لنا فيه حرية اختيار الساعة التي تطيب -
كان الوزير قد طار إلى بيروت ليرافق أسرته إلى مصيفها .. وقيل لنا إنه
سارع بالسفر قبل أن تشتد قصة الحجر الصحي في بيروت أيضاً .. وبعد
أيام طامعا في الصحف المصرية أنه اجتاز مصر في طريقه إلى أوروبا
مستشفياً .. وبعد عودتنا إلى مصر طالعتنا صحفها بأنه يطوف بمصانع ألمانيا
بحثاً ودارساً ومتفقداً .. وأن أصحاب المال والأعمال ورجال لصاعات
فيها يتبارون في تكريمه .

ويبدو أن الوزير الخطير استرد العافيه بمجرد تعير الهواء والأجواء ..
أو يبدو أن التقدم الصناعي في ألمانيا لغربية أسى الوزير قرار الطبيب
العالمين ومياه فيشي وحمامات كارلسباد والمصحات السوسرية .. والوزير
يؤثر على نفسه ولو كانت به علة .

هذه صورة من وقائع وأحداث .. عسى أن تحمل لك صورة من الرجل
الذي عاصر عبد العزيز آل سعود من فتح الرياض حتى الآن ..

ومن عجائب الأقدار وكان ابن السلطان يحدثنا عن التربة العجبية الركية
التي يضرع إلى الله أن يدهس فيها يده مولاه .. من عجائب الأقدار أن يموت
الملك عبد العزيز .. وخدمه الوزير حارح المملكة .. فيعود إليها طائراً وقلبه
يتفطر بكاء وينشج وفاً . ولكسها إرادة الله .

إِفْضِلِ السِّلَجَ

في المدينة المنورة

أطلسا .. أطلسا . وما نزال في بابا الأول .. هيا بالله إلى رسول الله في يثرب .

أن مدير المطار (يهرج) - تلغوبياً وجفاة - في الفندق طالباً إلينا أن نكون في المطار بعد ربع الساعة .. وصح العزم ما وسافرنا .

ولا عليك إن أعصياك من وصف الرحلة بالجو من جدة إلى المدينة .. إنها المرحلة المتعة أجساداً والمريحة أرواحاً .. وقد نسياد نساطد الريح ، الذي أذكرنا بالمعصص القديم عن سليمان الحكيم .. وواجهنا الشياطين الذين حاولوا أن يتردوا على سليمان ونصره الله عليهم . خافوا بعد الأجيال والقرون بنفسون غلب أن هدانا إلى ما هدى إليه سليمان من رب معمود . ودين قيوم .. فأحدثوا في طريقنا جيوباً حويه مروعة وبدأنا نواجه . المطب . بعد المطب . . . فيخيل إليك أن الطائرة تهوى رأساً أو تقصص .. فإذا انتقلت أمعدوك من مكاتها وأمسكت بها تحاول أن تعدها بدأت لطائرة ترتفع ثانية لتهوى من جديد .. واصفرت وحوود . وابيضت وجوه .. وكان من فصل الله على صاحبي الشيخ أن أرل عليه سكة العاس فام . أخيراً .. بلغنا المدينة .

وفي المطار لم نجد أحداً في استقبالنا ولم نشعر بأي نقص . ألم أقل لك أننا شعرنا مد بارحنا جدة أسا بارحنا حدود المملكة .. ودخلنا في حمى الله والرسول والبلد التي المأمول ؟ وأقمتنا شركة السيارات في إحدى سياراتها إلى مكتبها في قلب المدينة . وكان العارفون يشيرون إلى آثار الهجرة والرسول .. أما أنا فلم أكن معهم ..

كنت أتطلع كلما دنونا إلى مآذن المسجد النبوى .. وأتلقى منها على البعد
عبيراً طيباً .

هنا .. ولكن ..

وماكدنا نبلغ مكتب الشركة حتى قلنا للقائم بالأعمال فيه إننا مسرول
على فندق التيسير .

واتصل الموظف بالفندق وقال لهم إن هنا اثنين من المصريين يريدان
النزول على المدق فابشوا بسيارتكم .

والتفت إليما الموظف طالباً ذكر اسميما .

وماكدنا نذكر الاسمين حتى صاح : (يا عمى .. يا عمى) .

— إنه ياميدى ؟

— أمير المدينة يا عمى يسأل عن هذين الإسمين من ثلاثة أيام عدة مرات
فى كل يوم .

— بارك الله فيه .

— وفيكم يا عمى .. فقط يجب أن تروره أو تحطروه .

وأفهمنا الموظف أن الأمير مشكور .. ولكن أحداً لا يمكن أن يقول ..
إن رياره الأمير تقوم على زيارة الرسول .

وأشرق وجه الموظف المدنى، وتهلل .. وأقر اتجاهاً وباركه .. وجاءت
سيارة الفندق فأقلنا .. وهماك وجداً جل الأخوان الصحفيين .. وكانوا قد
سبقونا .. ومنهم بعثة (الأهرام) الثلاثية .. وأخونا مثل المجلة الهندية ..
ومصريون آخرون كثيرون .

فى الحرم النبوى .

واغتسلنا وتوضأنا .. ثم ارتدينا ملابسنا .. واتجهنا إلى الحرم النبوى
ولا محل لها للوصف .. بعد إذ رأيت لمسجد الرسول أكثر من صورة

في أكثر من مناسبة .. وحدثك صحف مصر حديثاً مسهباً عن « العمارة »
القائمة فيه وعن الملايين التي رصدها عبد العزيز آل سعود من جيبه الخاص
لإصلاح الحرم .

المهم أني الساعة أهنئ فوق الطافس إلى صريح الرسول لأقرنه السلام ..
واقري . صاحبه أبا بكر وعمر .. عن يمين وعن شمال .. وألتي صفاً من
الحراس حول الصريح يدودون عنه هواة التقبيل ووضع اليد على الحقائق ..
وماذا في الحقيقة من حاجة إلى هذا الصنيع الذي يكره الكثيرون من
أصار لسة المحمدية .. ويقل عليه إلا كثرون من حجاج البلاد الإسلامية
حتى ليحلف العامة في مصر من الحجيج (بالبي التي وصعت إيدي على شياكة) .
وبس في سني أن أدى في مثل هذا الخلاف رأياً .. وقد ننت أن الحديث
الذي لا يأتيه الباطل يقول لنا في صراحة وبساطة (وإيما الأعمال بالنيات) ..
وما يدور بخلد جهول - ولو كان أنما خولة في الخيالة - أن يقاين
ويزاحم ليضع يده على مقبض في الصريح أو حلقة من نحاس ليشارك في
عبادة ربه أحداً .. وهو المسلم الذي يشهد في صلاته بأن لا إله إلا الله وأن
محمداً (المسجي داخل هذا الصريح) عبده ورسوله .. وإذن فالوهابي المستمسك
بالسنة الصحيحة والآي الذي يحلها ويصر على ألا يعود إلى بلاده من غير أن
يضع يده (على شاك التي) يلتقيان بالنيات عند حقيقة كبرى .. هي الشهادة
بأن الله واحد أحد . لا شريك له أبداً .. ولم يلد ولم يولد . وأن محمداً علي
حلال رسالته يس إلا عبده .. وكل مجده في صدق هذه « عبودية »

وقد هضت حكومة السعوديين على الرمان إلى هذه الحقائق . فتحت
عن مصادمة الشعور ومصادرة العواطف .. وظلت تقوم على واجبها في
أصيق الحدود . فتقيم حراساً لطافاً .. يقولون للطائفين من حول الصريح
(اسعوا .. اسعوا) أو (وحدوا الله .. وصلوا على النبي) وهو قول يتطوى
على التدكير الرقيق بحقائق الإسلام .. ومن غير حاجة للوعظ والإرشاد .

نبيل .. غير مغرور :

وأكذب إن قلت لك إن الرياسة الأولى أحدثت في نفس الهزة الكبرى التي كنت أرقبها وأنت ترى أني حريص في كتابي على الاستمسك بالصدق مهما يكن الثمن .

وقفت إلى جوار صاحبي أمام المقام الظاهر . وقد تحلى الإشراق عني .. أن الذي كنت أتلهف شوقاً إلى هذا الحرم .. لأجتي من حلال عمده وأروفته .. معاني أنبي على الزمن الباقي من الزمن .

وعدت إلى الفندق كاسف البال أبحت عبثاً عن الجوهر المصق في قلبي وأطوى حزناً على الفجر العميق من ذات نفسي .. وأسأل لم كنت وحدي واقفاً كالتمثال جامداً كالصنم .. ألوك فاتحة الكتاب في الصم .. غير حس ولا فهم .. والمئات من حولي يهللون فرحين .. ويتزاحمون من حول الرسول .. ويوجهون إليه الخطاب في إثر الخطاب .. ولعل من بينهم من كان يتلقى الجواب .. إلأى يامولاي . إلا أنا ظللت المحروم وحدي من هذا الفيص ياربي .. ألم أجرد لك حاجاً .. أو ألم ألب لك في عرفات بكل قلبي .. أو لم تشعني هناك بأنك غفرت لي وتقبلت مني .. أو لم تحصى برعاية الناس جميعاً فأولوني تقديرًا واحتراماً .. محكومين وحكاماً .. أو لم تملأ قلبي في أم القرى بن في جدة نفسها إشراقاً ونوراً .. فكنت أرى مآدي المدية بعين الصبرة : . وأخرج بحالي إلى ابن عبد الله وأبي القاسم .. يتسم لي من وراء المسافات والأبعاد .. ويعرف مدى شوقي إليه فيشارك هذه العاطفة في ؟ أين ذهب هذا كله ؟ حتى الروضة الشريفة لغت صاحبي الشيخ نظري إليها وذكر في بها فذكرت . وكنت أعرف أنها روضة من رياض الجنة .. وصلت فيها مع صاحبي .. وكان صاحبي وضاء الوجه واضح البرات .. وهو يسبح بحمد الله الذي مكى لقدميه من الوقوف في الجنة وهو على قيد الحياة .. أما أنا فأسفاه .. أدبت الصلاة لله .. كما أوديتها في

أى مكان آخر . . وخرجت منها كما دخلت إليها متبلة الحسن متحمدا
الأطراف . . فاسر هذا يارباه ؟

الجواب على هذا السؤال سيجي . . مقروناً بإشراق جديد . . فتسهل
معى إلى ما بعد زيارة الأمير .

فى زيارة الأمير :

عندما إن لفندق فقيل لنا إن الأمير « يجلس » بعد صلاة المغرب .
وه جلوس الأمير ، يعنى مبارحة (الحرملك) إلى (السلامك) أو مبارحة
انيت الخاص إلى القاعة الكبرى التى يحق لكل مواطن أن يرويه فيها .

وأعد لفندق سيارته لتفلس إلى بيت الأمير عبد الله السديرى (وكيل
أمير المدينة) لأن أميرها كما لا يد أن تعلم هو الأمير محمد بن عبد العزيز
(نبت أنجال الملك ساء ونفوذا بعد سعود وفصل) ولهذا فإن عبد الله
السديرى وكيل الأمير يعتبر نائباً عن سموه فى حكمها ويلقب بلقب (صاحب
المعلل) لا (صاحب السمو) ولا يعتبر (آل السديرى) من (آل سعود)
وإن كانوا أخوالا قدامى للملك عبد العزيز نفسه بل أحوالا جدداً للأمير
شاب عبد الله الفيصل محل الأمير فيصل بن عبد العزيز وزير الخارجية
ونائب الملك فى الحجاز يومئذ (وولى العهد الآن) .

وبلعت ما العربى بيت الأمير السديرى . . فوقف العبد الخالسون أمام
لباب ورحلوا لنا فسالناهم إن كان الأمير « جالساً » فقالوا « نعم » وأشاروا
إلى أن تنفصل « بالدخول إلى القاعة أو (المجلس) فاتجهنا إليها . . فإذا نحن
أمام قاعة كبيرة . . مستطيلة . . تحف بها من ثلاث جهات فيها (مصطبة)
مرتفعة مفروشة . . استعنى عنها وصفت أمامها على سبيل التجديد كراسى
(مدهة) . أما الجهة الرابعة التى لم يكن لها حظ من (المصطبة) فاكنتى
شعلها بالكراسى فهى الجهة التى يقع نصفها إلى يمين الباب وأنت داخل . .
ونصفها الآخر إلى يساره أو يسارك وأنت داخل أيضاً . .

سمو الأمير :

وما كدنا ندخل الباب حتى لقينا الأمير جالساً وحده إلى يمين الداخل فوق كرسي مذهب وعلى رأسه عقاب مذهب ، وهو كما قلت لك لا يرتديه غير أبناء العائلة المالكة .

وألقينا السلام . . فنهض واقفاً .

ومددت يدي إليه . . فديده . . في عمق لم أتبين منها شيئاً . . فرأيت أن أقدم بحسبى إليه بعد إذ علمت إنه وإلى السؤال عنا ثلاثة أيام قبل وصولنا فقلت له :

— السوادى .

فعمم بكلمة ترحيب لم أفهم منها شيئاً .

فساء الموقف صاحبي الشيخ ورأى وهو رجل دين وذو منصب شرعى له جلاله أن يقدم نفسه بدوره مقروناً بكلمتى (القاصى المصرى) .

ومع ذلك لم يكن خطه أكبر من خطى .

وكان أحونا مثل العجلة الهدية قد طلب إلين أن يرافضا فى هذه الزيارة فراح هو الآخر يقدم نفسه وبنى ما لقياً .

وإذن فهذه طريقتهم فى الترحيب .

ولكن لا أكتفك إن صدرى ضاق بالطريقة . . بل لا أكتفك إني بتفكيرى ، المصرى ، خيل لى أنى ، أهت ، فرأيت أن أثار لكرايمى ، وليكن ما هو كائن فقدت أوجه سؤالى للأمير :

— حضرتك . . تبقى أمير المدينة ؟

وأجاب فى اقتصاب وبلهجة بدوية لا تخلو من خشونة :

— لا . .

واستولت عليها الدهشة وإن كان الكابوس القبيح قد انزاع عن صدرى
فرايتنى أقول بلهجتى المصرية :

— إمال ثبقى مين ؟

ولم يفهم الرجل فعاد يغمغم بكلام لا يبين . . فاستطردت أسأله :

— أمال لانس عقال مقصص ليه . . إبت مش أمير ؟

وأجاب :

— نعم .

فتبادلنا نظرة عجيى واستطردت أسأل :

— من السدايرة ؟

— لا .

— أمال منين ؟

— شيوح

وكما عرفت أن كلمة (شيوح) وصف للثلاث نفسه أو ولى عهده وتطلق
أحيانا على أى أمير من العائلة المالكة فعالنا أحيانا

... شيوح مين ؟

— من سعود .

فلدنا بالصمت . . ولما طال قلت للأمير .

— وسمو أمير المدينة مين ؟

— داحين ييجى .

و (داحين) يعنى (الآن) أو (دلوقت) أو (حالا) لأنها تعنى
بالفصحى « هذا الحين » .

ولم يكدننا الواقع . . وسمعا وقع أقدام . . وجاء فعلا أمير المدينة . .
وكان واضحاً أنه الأمير . . لأنه دخل دخول صاحب البيت وألقى السلام

فهضاً لتحيته وكان يلبس العقال الأسود العادى وهو رجل صغير الحجم سمح الوجه لا غبار عليه فى مجموعه .

مفاجأة :

وما كانت أشد دهشتنا أن رى (الشيخ) — مقصب العقال — يش من كرميه وثيا ويخر ساجداً أو يكاد .. ثم ينحنى على يد أمير المدينة وبطبع عليها قبة الطاعة والولاء .. أو قبة العيد للآسياد ..

وكنت من فرط دهشتى أذهل عن واجبي للأمير .. ولاحظ صاحبي الشيخ هذا الذهول فإرع تقديم نفسه إليه فحجب به الأمير كل ترحيب .. فتنبهت على الموقف وقدمت نفسى ، فذكره اسمى بالبرقية التى كان قد تلقاها فراح يمزج الترحيب المشبوب بالعت الحار .. فشكرنا له العاية وأهمناه سر بقائنا فى جدة كل ذلك الأمد .. ورجا أن يطول مقامنا فى مدينة الرسول .. فأسفنا على أن أعمالنا فى القاهرة تتطلب منا العودة العاجلة ورجونا أن يطلب إلى مدير المطار إخطارنا فى الفندق عندما تصل إلى المدينة أى طائرة قادمة من جدة فى طريقها إلى الطور ولو وصلت فى نفس اليوم .. ووعد الرجل أسفاً بتحقيق رغبتنا ، وجاءت القهوة العربية ثم الشاهى (الشاى) واستأذناه فى العودة إلى الفندق فأذن .. على أن يرانا قبل سفرنا ..

وخرجنا من بيت الأمير نضرب كفأ لكف .. وأمسى (لغز الشيخ) شغلا شاغل .. وفى المساء اجتمعنا برئيس بعثة البوليس المصرى فى المدينة (واسمه الملاح إذا لم تكن الداكرة) ومعه بعض صحبه .. فذكرتى رقة أحاديثه وروعة أعماله وأعمال زملائه .. برقة رئيس بعثة البوليس المصرى فى مكة (حسين سعيد) وروعة أعماله .. وما ظفر به هو وإخوانه من احترام السعوديين .. وراقى أن أسجل هنا الحمد لى أحسن اختيار هؤلاء المبعوثين فكانوا خير العناوين ..

وكنا قد سألنا ونحن فى مكتب الشركة عن الأحويى على حافظ وعثمان

حافظ صاحى جريدة (المدة المودة) فيها طلع صبح ليوم تالى رارنا
الأح عثمان حافظ قد يجدد فرك صداقة على أن يعود بعد انظهر .. ثم مر
بوعده وعاد مرأه انه أطب مثل ثم مدته والإدراك واللباقة والخلق .. وأصر
على أن نصحه في سيارته لزيارة آثار الرسول في مدينة الرسول وإصلاحات
عبد العزيز وسعود في العصر الحديث .

ومعنا .. ومثلنا العفوة :

وطوبى منجاج المدينة وشعابها وصراحيا بصع ساعات .. من أحلى
ساعات العمر . وفصصا على الأح عثمان قصة صاحب العقال المنقصب
فصحت طويلا وحل لنا الرميل هذه العفوة . فصاحب العقال من مخلفات
الأشراف العفراء انقاطين في سادية . ويحق له قابوياً ليس هذا العقال ،
ونكسه لا يدسه إلا في موسم الخج ليحيى . إلى أمثال الأمير فيعرف أنه من
هذه الأشراف الأقدمين فيمد له يد العون . وقد أراد بلعته أن يقول لكم
به كان يوماً في قومه (شيوخا) كالثبوح الحاسين في آل سعود .. وصحكننا .
ولا أنطى وأما أنعجل السر إلى الطور والقاهرة مطالماً بوصف مسهب
هذه الأثر الإسلامية لكبرى التي تتاهل كتأ كبيراً . وبعضى من المهمة
وحدو كتب في الأسواى عرصت بالوصف لهذه الآثار .

وأقع يد من الطوفة بالجاب الروحى الذى جلا عن جوهر العاطفة
ما كان قد ران عليها من صدأ .

صحرة

عم . ضوف بالمدينة وآثارها .. وخرجنا إلى الجبال وذكرنا قصة
النصال بين الرسول والقرشيين ومعارك البطولة التي حفل بها تاريخ المسلمين .
واحتيا كتاب الإيثار بين المهاجرين والأنصار . ورددنا البقيع .. ومرر
بالذاكرة الشرط . ونحن نقف على قبور الشهداء . فتذكر حمزه والوفاء .

ثم يارحنا المدينة إلى العين الزرقاء . ورأينا الآلات الزافعة الحديثة التي أمر بها سعود . . لتمد الدور بالماء العذب . . ثم اتجهنا إلى مسجد قباء قيل المغرب . وهو أول مسجد أنشأه الرسول وهو قادم من مكة فهاجر إلى المدينة والتاريخ يمشى في دكانه . لبسجل أروع آيات البوة في أمي صفحات كتابه .

وفي مسجد (قباء) التقينا بالإمام الخطيب . . وكان يمشى إلى الثمانين فيما قدرنا . . وقال إنه شهد عهد الحسين . ويشهد الآن عهد عبد العزيز . . ولاح أنه متخصص في تاريخ الرسول وآثاره . . وبدأ يتحدث في طلاوة وذكاء عن هذه الآثار . . وحصا عمار الحث عن خطها من التحقيق التاريخي أو العلمي فكان الرجل يقطع بأشياء . . ويرجع أشياء . . ويشكك في أشياء . . ويبني أشياء . . وبين لقطع والترجيح أشار إلى مكان بعينه صلى الرسول فيه .

وحان موعد صلاة المغرب فصلى بنا .

وبعد الصلاة . اتجهت إلى حيث قام الرسول وصلى فاقت الصلاة . . ركعتين اثنتين سنة لله .

وكان صاحب شح وإمام المسجد وزميلنا عثمان . . يتحدثون ناحية ويتحدثون . . وقد هت عليهم سمات الماء حوة رقيقة . . وجو المدينة كما لا بد أن تعلم ساحر وحمل . . وثرثها زراعية فضاء الحصرة والخلق والهواء العليل .

أقت لصلاة وجاء الإشراق . . ويألفها من هرة لا تنسى في المسجد الصغير المتواضع . . دى الساحة المكشوفة المعروشة بالحصى .

وزغرد قبي بين جنى . . واتشى الضمير بين الضلوع . . أما الساعة إذن أقف حيث وقف محمد بن عبد الله . . وقد وقف هنا كثيراً . . وقام الليل إلا قليلا . . ورتن القرآن ترتيبا . . ومن يدريني إذا لم تكن قدماي الآن موضوعتين . . حيث وضع أبو القاسم أظهر قدمين فوق البسيطة ويراني الله

أصلى حيث صلى رسول الله .. وأتجه نفس الاتجاه .. وأعيش تحت الظلال
مغموراً بذياك الجلال .. ولا أصرح ثانية ومن الأعماق .. صرخة الإشراف
وأرى بعيني روحى رحمة الله تنزل على .. وتحملنى على جناحها إلى سدره
المتهى عندها جنة المأوى .

بل سأعود الساعة وفوراً إلى الحرم النبوى لأصلى من جديد فى الروصة
الشريفة وأذكر هذه المرة بالحس المرهف أنها روضة من رياض الجنة فأخرج
من المدينة وقد صليت فى البقعة التى صلى فيها الرسول بمسجد قباء وعشت
لحظات من حياى الدنيا فى روضة من رياض الجنة الفيحاء .

آية سعادة أتاحتها لى هذا النداء الذى جاء .. خلق بى فى الأجواء .. وأنا
أهتف لك يا ربى من حبات قلبى . لبيك اللهم لبيك

مر هذا الشريط كله بقلبي .. وأنا أقف فى قباء ، أصلى .. فأنحدر النسيم
من عبي .. وذقت لأول مرة حلاوة التجرد من صغار الدنيا ومن غرور
الأناسى .. وأدركت أن فى وسعى أن أكون أقوى من قوى الأرض جميعاً
إذا أنا اتجهت دائماً إلى السماء .. ورفعت رأسى دائماً إلى فوق وارتفعت
مشاعرى دائماً على قوى الجذب الوضيع الكامن فى الجباب الشهوى من
أرض الشر .

ومضنا عاتدين إلى الفندق .

وعمرت إلى الرسول :

وقيل لنا من المطر (ستأتيكم البيرة فى منتصف الليل تماماً) .

وسألنا : متى تبحر لطائرة المدينة ؟

وقيل : مع الشمس أو قبلها .

وقلبا : دعونا إذن نستمتع صلاة الفجر فى الحرم

وقيل : لكم هذا وحدكم .. وإكراماً لكم ستعود السيارة في الفجر إليكم
وذهبنا إلى الحرم ..

ولأول مرة بعد وقفة (قباء) أدركت أنى في جوهرى المصطفى موهور
الإيمان بالله .. وبرغم كل العريضة الكلامية التى نضاق إليها بين الحين والحين
كلما جمعنا القاهرة بالمساكين الذين يرون فى أنفسهم مفكرين أحراراً .. وهم
فى حقيقتهم عبيد لفريضة الاستعلاء على الآخرين .. وبطريقة الخروج على
كل ما تواضع عليه هؤلاء الآخرون .
ذهبنا إلى الحرم .

ولأول مرة بعد وقفة (قباء) أدركت أنى حقيقة أستطيع أن أسلم وجهى
لله وأرتفع فوق مطامع الحياة .

وفى الروضة الشريفة وقفت .. وأقمت الصلاة وتلوت قرآن الفجر ..
فتفتحت عيني لأول مرة (بعد) لإيلاف قريش . فى البيت المحرم (على
ما يحمل هذا القرآن .. من حلاوة وعمق وإعجاز ..

قرأت : (والضحي والليل إذا سجي .. ما ودعك ربك وما قلى) .

قلتها وأنا أصدق فى المقام الطاهر .. وأرى الرسول بعين البصيرة .. بأحد
الخوف بقلبه .. وتعلق عيانه بربه . مصعاً بخته وبجده .. لأن جبريل كف
أمداداً عن البرول بالتنزيل .. فتفرح السماء عن الغمامة البيضاء .. ويحجى .
جبريل .. ليتلو على المصطفى قسم الله بالضحي والليل إذا سجي .. أنه ما تركه
أبدًا وما تحجى عنه لحظة . ثم يفتح أمامه باب العطاء الزمانى سبحانه غير صني .
ويريه نصيبه العابر من الدنيا ونصيبه الباقي من الدين .. (وللآخرة خير لك
من الأولى) وسوف يعطيك ربك فترضى (ويرد على العتب الحبيب بالتذكير ..
ويعرض على ناظره الشرط المقطوع النظير بداية من اليتيم الذى قدد عليه
ليأويه ربه . حيراً وأحس ما يأويه الوالدان والأقربون .

توت قرآن الفجر .. وحدقت في المقام يعي قلبي فرأيت محمداً
وأبا بكر .. ثم رأيتهما قل ثلاثة عشر قرناً في القار والله معهما .. ثم رايت
عمر الذي أوغل بعد الإسلام في الحب نفس العصب لسي كان يوعن به قبل
الإسلام في الخصام .. حتى لم يكده يذكر ساعة وفاة الرسول أن الله وحده
هو الخي الذي لا يموت . وأن محمداً قد مات

وأنا إذن أقف الساعة بين يدي أروع قطعة من تاريخ البشرية في مرقاها
الأعلى ورجها الراني .. مسجاة أجساد أطلها داحس هذا المقام انظار ترف
من حولها أرواحهم .. تارك كل هؤلاء الخبيج الجائين من كل مع عميق .
وتبشرهم بأن الله غفر لهم ..

وما كدت أفرع من الصلاة .. حتى حين إلى — وأنا صاح مفتوح
انعين — اني أسبح في نور عبوي لا أعرف له من الأنوار بشار .. وأنه
يلقي في أبراده لقا .. ويطلب إلى أن أطوف في أمائه طوه . فبهضت
ولا أدري ما صنعت .. وكل الذي أذكره أني طوفت بالرسول وصاحبيه
وطوفت .. ووقفت عند حجرة قيل إنها باب طامة فذكرت ابن أبي طالب
ودكرت الحسن والحسين . وعاد تاريخ الإسلام يبدأ من جديد .. من مشرق
التوحيد .. ويمر الفيلم بدا من التعذيب الذي احتمله الرسول وصحه في مكة
وانتهاء إلى العذر الرخيص بسط الرسول يوم أهرت السماوات العللا لمقتل
الحسين بن علي ..

وعدم الإسلام في باطري مرة أخرى .. وانتقل من الإمامة إلى الملك
ومن الدين إلى الدنيا ومن الخلفاء الراشدين إلى صاحب الجلالة معاوية
وأصحاب الأبهة خلفاء بني العباس في بغداد .. ولا أدري لماذا وقفت طويلا
عند كلبة (بغداد) وما لقي الإسلام فيها دائماً من متاعب . ثم لم أشأ أن
أطيل المكث فواصلت حول المقام الظاهر طواقي أشكو للرسول الذي
بني وحرني بما يلقي الإسلام الآن من إذلال على أيدي غير المسلمين ..

ثم رأيتني أكف عن الطواف وأجلس قبالة المقام .. وفي صحن الروضة ..
وأحس بالإشراق يملأ صدري .. فأذكر صحوة صحاها الإسلام مرة أخرى ..
لحكمة عليا .. ثم عاد إلى التمسكة ..

ذكرت عمر بن عبد العزيز وكيف أذله في أن يحيي عهد عمر بن الخطاب
وعجبت ثم رأيتني أبتسم

أنتسمت لأن فكرة جديدة أصابت ظلمت نفسي وملأت بالور كل
رأسي .. فهزرت هذه الرأس وسكت .. ثم حدثت في المقام الطاهر وحدثت ،
كأنما ألتبس من داخله الهداية إن كنت صلت .. والإجابة عم سألت

عهد العزيز وابن عهد العزيز .

بم فكرة أنارتها ذكرى حملت اسماً مفعلاً بالعدل والتقوى : (عمر
ابن عبد العزيز) .

فهل كان هناك إرهاب .. في هذه التسمية : (ابن عبد العزيز) .
وهل كان مصادقة قيام (عبد العزيز) الجديد بمراسلة الحرمين والجزيرة في
عصرنا الحالي ؟ .. وهل يشر (ابن عبد العزيز) لتقديم بمقدم (ابن عبد العزيز)
الجديد ؟ ..

إلى الطائرة

وباداني صاحب الشح (يافقه يا أستاذ . موعد الطائرة) .

وانتفصت .. لأن النداء الذي جاء هذه المرة . كان نداء إنسانياً
محضاً . أخرجني من نور الدير إلى الدنيا . فأذكرني بأني على موعد مع
الطائرة . والطور . وعلى موعد مع الرجعة إلى القاهرة المعز لا إلى مدينة
الرسول . فتهدت . . وتبعني صاحبني إلى السارة في صحت . . وأحدا
طريقنا إلى المطار بعد أن بعثنا ما تبقى لدينا من عملة السعوديين على الفمراء .

المحيطين بالحرم .. لأن «الطور» أرض مصرية .. والعمله فيها عمله مصرية .
وفي المطار .. وجدنا في توديعنا الصحفي العراقي الشاب (عبد العزيز بركات)
وكان يحمل معه عمله سعودي .. فأعذق علينا من قهوة المقصف وشايه
ومرطباته كل ما طاب لنا تناوله ..
وارتفعت الطائرة في الجو معطرة بمطار يثرر باسم الله مجراها وممرها ..
عائدة بنا إلى أرض الوطن ..

البَابُ الثَّانِي

الرجل الذي وجدته ..



فرعوني - اذن - اهدي اليه قنورا ..
لقد اكتبه الثاني .. من تأجج
اجل .. الى مقامك السامي يا صاحب الجبل
اهدي لهذا الكتاب

الفصل الثامن

وحلفت بنا الطائرة - سعودية هذه المرة - في طريقها إلى الطور
وصاحي الشيخ وطى فاصل يسكن الاستعمار والمستعمر ويكره الانجليز
المستعمرين . . . ولكنه تلفت هذه المرة باحثاً ويان عليه الأسى ورأى عبء
الوجوم . . . واحتلت إلى عبيد نظرة عجلى . . . حين إلى أنه بحث عن
المضيفة الانجليزية، ويسمى هذه المرة أما إنما يعود على طائرة سعودية . .
وأن المصيف هادرجل . . .

واراد صاحي الشيخ أن يعرف عن عبيد بهذه الظاهرة فدار بعبيد في
" الطائرة وقال وقد مر رأسه ورأى شفته . . . ما أبعد الفرق بين طائراتهم
- أي الانجليز - وطائراتنا، وقلت أرصى صاحي: (بين كل شيء عندهم
وبين كل شيء عنده) وصاح في حماسة: " أي نعم . . . ولا إكثار نتحاشى،
ثم حنى فيما أظن - وما آثم لضأ أحياناً - أن أطالع في عبيد ترحمة
أخرى لعبارة الربيثة فأعص عبيد وهم .

وكت في حاحة إلى يوم صاحي الشيخ . . . لأصحو . . .

فرغت منه وفرغ منى . . . ويسرى برهذه المناسبة أنه ذكر أنه صديق
وقربى فضيلة الشيخ عبد الفتاح عطاء القاضي الشرعى السابق والمهامى
الشرعى الآن وقد تعلمت أنه أصبح على اسم نفسه دعابة ولجمل على
في ساعة الأسلوب القصصى صريحة الرقيب في الطريق

فرغت منه وفرغ منى . . . ويدان نحو إلى منى . . . وأمرى . .
لقد حدثت أشياء كثيرة وحيرة . . . ثم إليها قليلاً . . . لتجى . . . ها - في

مكاتها - وجرت بحوث سياسية وعربية وإسلامية بيني وبين الكثيرين . .
 وخرجت منها بالاقوام الذي وقعت عليه بدى لخت : « أرسل دقانه لملحمة
 في آذانه قوسى أرجع بها أعصابهم وأفتح عيونهم على ما يجري فيها من
 صغارى من تفكير وتدريب » .

ونحن نستهدف في هذا الباب حفظاً وأهدافاً ونستهدف شرقاً وغرباً
 ولا نستهدف أشخاصاً لدوائهم . . أو دولاً لدانها . . وعلى ضوء هذه الحقيقة
 وجب على أن أعنى قلبي من ذكر بعض الأسماء . . لأن من بين المسؤولين
 أو غير المسؤولين رجالاً أعز بما أولوني من ثقة وأعز أقدارهم تماماً . .
 وقد توثقت عرى الرجولة الموصولة بيني وبينهم هم بعد من حقى - كرجى
 أعطى موثقاً - أن أشير إليهم أو أدل عليهم أو أحرص مراكرهم أو أثير أى
 غبار حول آرائهم .

ولدى من الشجاعة - واخذته - ما يجعلنى أحتم راصياً مسئولية
 الفكرة ، التى كونتها . . والرأى ، الذى أبدته . . والهدف ، الذى
 أدعوا إليه . . ولا إحالى مطالباً - على كل حال - بأن أقدم حساباً
 لأى كائن . . عن الوسائل التى كونتها ، الفكرة . . أو أقت عليها
 ، الرأى . . أو رسمت على صونها ، الهدف . . وكل ما يعيننى أن
 أصادف توفيقاً من الله . . فيسد حصى الكتاب إلى خير العروبة والشرق
 والإسلام .

مطوطات واتجاهات :

وقد استسلم صاحى الشيخ للوم فم . .

أما أنا فأطبقت حصى . . لأرتب بين الخيال على شاشة الشهر الذى
 أمضيته في جدة ومكة ، أفلاماً ، تليها ، أفلام ، حاملة إلى . . صوراً من

الاحداث التي مرت في . ومن الاحاديث التي انتهت إلى مسعى . . ومن الآراء التي أفضوا بها إلى .

وير الله :

وكان أول حاصر وثب إلى عسى نجاشت به وإلى دهي فتربت عنه هو التساؤل التالي :

عبد العزيز مشي . هذه الممكة . . أرسى أساسها مكيناً على لصحر . . وأدى رسالته على صورته عجيبة وفق فيها بين ما أراده هو وما أراده لعصر . . فهل كانت يد الله فوق يديه . . وهو يرسى الأساس بهذه المئانة . . ويؤدى الرسالة على هذه الصورة . . ويعبر بالـ . نصياً وعلى مهل . . كأنما يعطى المثال أو استودح ثم يتوقف . ؟ وهل كانت عين الله — لحكمة أرادها — ساهرة على تشئة نبيه على لعرار الذي جاءوا عليه . . ليكونوا حلقات ذات أهداف . . في سلسلة المشيئة حتى يبلج الشرق العربي اليوم خطوطها العريضة واتجاهات المرسومة . ؟ أم هي الصدوف وحدها تحدد لعبد العزيز موعداً لا يرحه . فيه يفتقر العبد عن كاهله ويسلم الزمام لولده . . ويسلم سعود الزمام في فترة معينها لا يسمح غيره لها ؟

هذا السؤال طوي . . أرى الإجابة اسريعة عنه عسيرة برغم أن الهواء عيب . والطائرة تمس إلى العرول إلى مياء (الوجه) الصغير لتتروذ بالوقود . وصاحب الشبح يفتح عييه ليسأل : أين نحن ؟ وكنت أعرف أن مياء الوجه على الشاطئ . السعودى من البحر الأحمر يواجه مياء القصير المصرى على الشاطئ الآخر . فقلت له ما أعرفه فرصى وانتم . . وأنتمص عييه وبام .

ويمكن . . :

ولكن هاتفاً يهتف بي وأنا عارى في التمكير : أن تم . . إن عليك ها لواجماً صحياً . . عليك أن تسجل في دهنك أولاً أشياء وأشياء عن الرجن

الرجل الذي صنع التاريخ



عبد العزيز آل سعود صنع تاريخ الجزيرة
وأسس المملكة السعودية .. ودخل التاريخ
الابدي

الذى أرسى الأساس وأقام المثال . . وأشياء أخرى عن الآخر الذى نسلّم
الرمام وتولى البناء . . وبغير هذه الأشياء ، ود الأشياء ، قد يتعذر عليك
أن تصل إلى الجواب . . .

والصورتان صحتان . ومن حولي صور كثار . . ولكي أعرف
الآن (عبد العزيز) بما سمعت وقرأت . . وأعرف (سعود) بما سمعت
وقرأت ورأيت .

في ميناء الوجه :

وجرت الطائفة في بحر على رمال الميناء ثم كفت . . وصحا صاحبي
الشبح مرة أخرى . . فقلت له ولصحي :

— دعوني . أمثلكم في استطلاع هذا المطر الساحر : مطر المياه
الصغير . والوقود يعبأ في الطائفة . وعلى مرمى البصر لا تقع عينك
إلا على موطفين في المطار يعدون في أرجائه بحمة ويسرة .

ولم أتجه إليهم . . بل تركتهم بعد أن سلت عليهم وانجحت إلى الشاطئ .
أعانت الرمال والماء لأواصل التفكير . . كأنما أما مطالب بالتعجيل به حتى
في هذا الميناء الصغير . . ولكنها الخواطر تنتعش — كالأجسام — في بعض
الأيام . . إذا ما وى عليها نسيم البر أو نسيم البحر . . وفي مياه الوجه يلتقي
السيان . . وتأخذك السمعة مرة من يمين . . ومرة من شمال . .

وكا في الصبح وكانت الشمس ذات دفء حلو . . جلست أحفر
يدي فوق الرمال رسوما لا أعياها . . ولا يدلي فيها . إنما هي رسوم بها ترتب
أعصاب اليد . . شبكة الأعصاب في الرأس . . لصل قطار التفكير في طريقه . .

المفتى . . والمؤسس :

عبد العزيز بن عبد الرحمن . . آل سعود . . ما قصته في يتصر الساعة
بتفكيرى وأنا را بص على شاطئ البحر الأحمر ؟

الشاب الذي استرد ملك آيائه



ولم يكن معه غير أربعين من الشبان يفتح بهم
الرياض.. وأقام مملكة السعوديين..
هذا هو عبد العزيز من قبل خمسين عامًا

وكيف سط هذا الرجل سلطانه طويلا على ذلك الملك الكبير وأطل
بهيته على شواطىء الخليج الفارسى وانصل فى حدوده المترامية بأكثر
من جارة ؟

هذا الرجل الذى صنع تاريخ الجزيرة ، وتحطى السبعين مخنفطاً بالصيرة ،
لم يكن غافلاً أبداً عن تطور العصر حارح ملكه (نهم الميم) أو عن تطور
الوعى داخل هذا الملك . وكان يريد ألا يبرح الدنيا إلا وهو مطمئن على أن
ولى عهده قد قص على الصولجان بيد لا تهتر .

فماذا يريد أن ينفض يده الآن من هذه النعات . . ولماذا يريد لولى
عهده أن ينهر بها فى هذا الوقت بالذات ؟

لهذا السؤال دافع . . لقد أدن كبير نفسه فى أن يشئ ونحن فى مكة
الحقيقة التى تعاون اجمع وتعاونت التقايد على إخطائها . . وقال لى (إن
عبد العزيز راحل . . إنه فى صحوة الموت . . ولكن شيخ الجزيرة جبار
كالجزيرة . . وصحوته قد تطول أسابيع . . فقط أحب لك أن تنى من الساعة
أحكامك على أن صقر الجزيرة يخلق هذه المرة إلى فوق . . وسياصل
التحليق . . ولن يعود) .

ذكرت قولة ذلك العليم .

ذكرتها وأما أعجب برمال الشاطئ . فى مياه الوجه ، ومددت البصر
بعيداً إلى البحر . . فذكرت الجزيرة العجبة التى هط عليها وحى السماء مرة
فأرست للشعرية قواعد الخير واحمال فى الدنيا وفى الآخرة .

ثم تساءلت . أتكون السماء قد أدنت برد المجد مره أخرى . . وبالنسبة
العصرى على هذه القواعد ؟

أما لا أستعد شيئاً على هذه الجزيرة . العجبة فى كل شئ . . حتى فى أهوانها
أجواء الطبيعة فى ماطقها وأجواء الأناسى فى صوفهم . . فى يوم واحد

بطائرة سفينة سريعة .. تدرع خلاله المملكة الطويلة .. فتعيش في مناطق
تناهت في الحرارة وأخرى تناهت في البرودة .. وثالثة رقت فيها هواء الربيع
وطاب .. وجرى فيها الماء السليل وعذب .. كذلك الشعب السعودي ..
فيه صوف وصنوف من الأناسي .. لولا فطرة الصحراء واجتماع بنينا على
الاطلاق لما قامت بينهم رابطة .. ولولا الإسلام لما وجدت بينهم عقيدة ..
ولولا عبد العزيز لما وحد بينهم نظام .. وحتى الحجاز وحده تكاد تلس
الفوارق بين الأناسي في مكة والأناسي في المدينة وثقايي القرشيين في الطائف
وما حولها ، فما نالك سجد الجمعية على مذهب الإمام الأجل أحمد بن حنبل ..
وما نالك بالحدود الشرقية وفيها قلة من الشيعة .. وما بالك بالبدو ولهم تقاليد
تدير الرؤس .. ولهم وسهم شعور طوال .. بمجدولة على صور الضفائر ..

عبد العزيز آل سعود وحده بين أولئك جميعاً .. واجتذب إليه هؤلاء
جميعاً .. وأقام الحكم في كل فريق على طريقة ذلك الفريق ، فرأى فيه الحجازيون
ملكاً .. ورأى فيه التجديون إماماً ، ورأى فيه البدو صفراً ، وفي بعض المناطق
ينادونه : « يا مولاي » ، وبعضهم ينادونه : « يا طويل العمر » ، وبعضهم يصيحون
فيه : « يا عبد العزيز » ..

وكان لا بد إذن أن تكون لعبد العزيز سياسة بعيدة المدى .. وطر بعيد
المرى .. وأن يصرب حول هذه المتناقضات سياجاً يسد الثغرات ..

وضاعف حاجته إلى « سياسة بعيدة المدى » وجود خصوم له خارج
المملكة .. أشداء عليه رحماء بينهم .. ويكفي أن نذكر منهم بريطانيا .. وله معها
قصة تستأهل كتاباً .. وليست أخصومة البريمي التي تسمع بين الحين والحين
أبائها إلا مظهراً مستحشداً لتلك الخصومة القديمة .. ولا نحبها أن نذكر
خصومات « أخرى » ، لأن للعروبة في هذه الآونة أكثر من حق على أقلامنا

وكل الذي أريد أن أقرره هنا أن عبد العزيز كان في حاجة إلى « سياسة
بعيدة المدى » ، وهي التي حدثني عنها أحد الصحبة من المسؤولين هناك ..

شخصية ونسب:

قال محدثي إن عبد العزيز كان يدرك أنه من شخصيات التاريخ التي لا تتكرر ولكنه لاحظ أن من بين أبنائه - وعددهم أربعة وثلاثون - ابناً واحداً حلقه الله على صورة أبيه ، وركز كل طامع عبد العزيز فيه . وعلى نه «سعود» . فما أيقن عبد العزيز أن سعوداً غداً نسخة منه .. دعا شيوخ القبائل إليه فبايعوه ثم بايعه أبوه وبنو سعود ولياً للعهد .

تركيز السلطات :

وبدأ عبد العزيز يشرك ولي عهده على مهل في إدارة دفة الحكم وتفتحت بابائع الترويل .. وحان أن يرسي الحجر الندي في أساس النهوض الحديدي . فرأى أن يرسي هو الأساس وأن يترك لسعود مهمة الباء . تحت إشرافه ويرشاده على ألا يعطيه من حرية التصرف إلا بقدر ما يحسن .

ومضى سعود في الشوط وتبدأ وعلى مهل

ومصت حلقه ملكة العوديين ترقى في غير عجن

وثمر كل عود عرسه في التربة يد سعود

وبدأت يد عبد العزيز القوية القاضية على الزمام كله تتراخى عن هذا الزمام شيئاً فشيئاً

واشتعلت لعيرة البشرية في بعض القلوب الشابة

وفي حكمة وبحذر عالج الملك الداهية كل هذه اليران المستعرة حتى أخذ أوارها .

وفي حكمة وبحذر أطلق يد سعود في الإصلاح فانطلق . انطلق إلى مكة والمدينة فرضى عن إصلاحاته فيها المسلمون في أقصى أطراف الأرض كما رضى أهل الحجاز ، وكانوا قد صلوا حيا عن حقيقة ولي العهد .. وانطلق

السياسي العالمي الذي أنجبتة نجد



أجمع الساسة في أروقة الأمم المتحدة على أن
فيصل آل سعود سياسي عالمي تحال له بين الفريقين
فأذا نازله الفئته عرباً صرا قوى الشكيبات

سعود المصلح إلى جدة والرياض لجدد وجدد .. حتى رضيت الحصاره وتبتهت عليه عيون الأجانب

وانطلق سعود إلى المنطقة الشرقية فأحيا موانها ورضيت عنه الخوالة بعد الأعمام .. فكان البعث الجديد في الحسا والخبر والدمام .

وسكن عيين عبد العزيز التي لا تنام ساهرة دائماً على سعود .

لقد حان الوقت لما هو أكبر وأخطر . حان الوقت لأن يرى الملك ولي عهده مطلق اليدين محرراً من كل قيد . قاضياً على كل رمام .

وكان هذا الموسم الذي أعود لساعة مه طائراً إلى الطور ، بداية هذا الانقلاب الكبير .

في البحر :

وبويت من موطئ المطار : (الطيارة يا حضرة ..) .

ودات المحركات وحلفت الضائرة من جديد .

ولم أدع لصاحي لشيخ الذي كان قد عاوده الصحو .. مهلة للحديث .. بل أطلعت جفني وتظاهرت بأسوم العميق ..

ودكرت قصة المرسوم الذي حدثتكم عنه والذي تبارك فيه الملك لسعود عن لقادة العيا بقوات المملكة . والعواطف التي أبدتها الأمراء في تلك الملازمة اللطيفة نحو شقيقهم الأكبر .. وذكرت تلك البرقية التي أرسلها سمو الأمير فيصل آل سعود بوصفه نائب الملك ووزير خارجية المملكة (قبل أن يصبح ولياً للعهد) كما ذكرت البرقية التي أرسلها سمو الأمير مشعل بوصفه وزير الدفاع في المملكة إلى شقيقهما الأكبر ورده عليها .. فأدركت أن عبد العزيز أصاب الهدف وأن الاستعمار وأسناد الاستعمار بمن لعوا مختلف الأدوار من وراء ستار قد مواء بالحية .

وذكرت أيضاً حادثاً أكبر أثراً .. ذكرت أن سعود ، استصدر من أبيه

أخيراً مرسوماً بتأليف وزارة مسئولة بحاميتها ، وتصح مبرانية تقوم على أساس النهوض بمستوى الشعب تنشر أرقامها . كما يعتزم الصرب يد من حديد على كل مطهر من مظاهر الإسراف في أية ناحية من نواحي الحكومة . وعلى كل خلل يلوح على جهاز الحكم وعلى كل صف يدو في صفوف الشرطة أو الجيش .

وإذن فسعود يريد . ويريد . ويريد .

وذكرت أيضاً أن مرسوماً صدر ونحن في مكة بتعيين سمو الأمير الشاب طلال بن عبد العزيز وزيراً للمواصلات وقبل الخلع كان قد صدر مرسوم بإنشاء وزارة للاقتصاد أسندت إلى وزير المالية فأمنت المملكة تلك من الوزارات حتى هذه الساعة لتي أحلق فيها في الجو وزارة الخارجية ووزارة الدفاع ووزارة الداخلية ووزارة الصحة ووزارة المواصلات ووزارة الاقتصاد ووزارة المالية . سبع وزارات . وها هي المسئوية الوزارية الكاملة قد جاءت قبل أن يذهب عبد العزيز .. وها هو العصر الجديد قد بدأ والباس يتطلعون إلى عصر سعود . يراد إذن أن تقوم المملكة المسئلة الموحدة في الداخل .. على دعائم عصرية موطدة .. داخل الإطار الديني ؟ فهمت .. فهمت .. فلسترح إذن قليلاً .

في الطور .

وجرت محلات الطائرة على الرمال مرة أخرى .. ثم هدأت واستقرت بلغنا لطور إذن . أرحنا المصرية الطيبة ..

وكان معاً أربعة عشر من عيون اليهود يريدون أن يروروا القاهرة قبل أن يعودوا إلى الهدى .. وكان معنا طيار سعودى شاب يريد أن يقصى أجازته في القاهرة .. وله فيها زوجة وأولاد .

وتخلفنا لنقول لهم جميعاً : (تفضلوا .. بالزول ..) شعوراً منا بأننا

الساعة أصحاب بيت وأنهم ضيوف .

وَأدبَ فيما مؤذن المطر أن أعدوا جواراتكم . فأخرجها .

ثم رأبنا في انتظاره سيارة كبيرة لتقلنا رأساً إلى المحجر الصحي .

— إيه الحكاية يا جماعة ؟

— ولا حاجة .. ألا تعرفون أن وباء الجدري وجد هذا العام ؟

— ومالنا نحن ؟

ولكن (الأوامر) عدت .. وحملنا إلى حيث ينتظربا كبير الأطباء .

المصريين .

ولف أحونا بمثل المحلة الهدية دوراً مشكوراً في تعريف لطبيبنا ..

وسكنه كان (أرشد) فأقسمنا بين سين من الفكاهات أنه ليس من (يهوشون)

صاحبة الخلطة (بمعنى الصحافة) ، لأن أحداً منكم مهما يحاول أن يفعل ..

لا يستطيع أن يضالنا بأن نحامله بأكثر مما حاملناه الرئيس محمد مجيب ..

— وكيف جاملتم الرئيس ؟

— جللنا عنه ملابسه جميعاً .. وأدخلناها مع الحقائب .. حتى الأحذية

والخواب .. وحتى قلم الخبر وعلة السجائر .. إلى المياخر .. وأدخلناه إلى

المعس فاعنس .. وكانت الملابس قد تجرّت فارتداها .. وسيطبق القانون

بلا استثناء ولا تمييز .

ودار عراك طريف بيني وبين الطبيب .. انتهى بالصلح بعد أن طمأنني

أن لم طريقة في تبخير الملابس الجديدة والحريرية بحيث تظل بمنجاة عن

أى ضرر .

وبروا بالوعد فعلاً .. ولم يلحق بي من الأذى شيء .. أوعى لتحقيق

احترقت قليلاً يد المظنة فأصبحت ذات لونين جميلين وكانت ذات

لون واحد .

ثم قلنا السيادة إلى (الهرا) (بكسر الهمزة وفتح الراء) المخصص لركاب
الدرجة الأولى .

و(الهرا) السادس الذي زلنا عليه . صفاً متقابلان من غرف خشبية
متلاصقة كعمار المستشفيات أو معسكرات الجيوش تفصل بينهما ساحة
واسعة من ارمال تحيط بالمى كله أسلاك شائكة تذكرك بمعقل الطور ..
وأمام كل صف مظلة تحجب الشمس .. وفي بعض الغرف أكثر من سرير ..
وهي أشبه في معداتها بفندق الدرجة الثانية أو الثالثة في القاهرة .. وفي كل
(هرا) مطعم .. وحلاق دكانه في حفية يده .. وتليعن متص منه بالقاهرة
(ترك الخارح) .

ولم أكن أتصور قل ان أسع الطور كيف يكون في وسعى أن أظل
فيه ثلاثة أيام ..

وأخبرني أنى لم أجد معى (بطاولة) لنهى الوقت معاً في اللعب ..

وسكى ماكدت أبلغ الطور .. حتى تمت لو يؤد لى فى الإقامة به
نفة الصيف .. فما أعرف له بين مصابف القطر بطائر . ولا أدرى كيف
يمس الله على مصر بهذا المصيف الفاتر .. فلا يفتح الله علينا إلا باستخدامه
محجراً لحجز المرضى من الحجيج .. والصاق الأوبئة باسمه .. فإذا ترقينا
اتخذنا منه معتقلاً .. للبحر من أحياناً ..

ويا قدرة الله تجلى بأحسان . على من يبلغ الطور والبدرد فى السماء مستدير ..
ليستمتع بالقمر بغير هذه الساحة .. وبالبحر يرسل نسباته .. لا تعرف فيه
رداً ولا حرأ .. ولا تعرف فيه رطوبة تدعى أنفاسك المسالك .. ولكنها
قصة من الفردوس تملأ صدرك إشراحاً .. وتستل المتاعب استللاً ..
وتبعث الهواء العليل بمحصلات الشعور .. فتصرب برتلك فيه هائناً وقد
توقفت عن الدوران عجلة التفكير .

سياسة في الهواء الطلق :

حين إلى أن فترة الطور ملائمة للتفكير ..

وحين إلى أن في وسعي أن أجمع بين يدي خلال هذه الفترة كثيراً من الخيوط .. التي أسحق منها برد السياسة السعودية وقلت لنفسى إن عبد العزيز كان يحسن القراءة وكان يستطيع أن يكتب .. وقد عبه الله . عبه الله الذى علم محمد بن عبد الله ولم يكن قارئاً ولا كاتباً ..

وعبد العزيز لم يتعمق فى أمريكا .. ومع ذلك شهدت الحرب العالمية الأمريكية .. اجتماعه التاريخى بالرئيس الأمريكى .. وكان المعروف أن رورفلت صالغ مع اليهود .. ودار الحديث بين الرئيس على لسان مترجم .. فانتقل شيخ الجزيرة القديمة شيخ الدنيا الجديدة من أقصى اليمن إلى أقصى اليسار .. ولو عاش رورفلت لما استشهدت فلسطين .. ولما كان على ظهرها الساعة شذاد الآفاق وحالة الشربة ..

ورورفلت عبته أمريكا فكان من أبطال التاريخ . وعبد العزيز عبه الله فكان من صناع التاريخ ..

هذه ، الإليادة العربية ، لى استوت ملكاً وإماماً .. لم توقعها العناية على أوتار الجزيرة عبثاً ..

وإذن عبد العزيز الموهوب .. كانت له سياسة دولية بعيدة الغور .. وسياسة عبد العزيز هى سياسة سعود .. والفرق بينهما هو الفرق بين بطله المؤسس المحافظ على أساسه الذى أرساه .. وسرعة البلى التوافق إلى إتمام البناء الذى يتمناه .

فما هى هذه السياسة ؟ وما هى أهدافها ؟

وما كاد الشريط يمر حتى هبط إخوان زائرون يسألوننا إن كنا نريد أكلة سمك .. والطور اشتهرت بجودة أسماكها من قديم .. وجرى النعاب فى

م كل ما .. وهتضا من الأعماق (أى والله .. سمك .. سمك) .

ثم طغت موجة المرح فنسوا .. هم قصة السمك .. وسيت بدورى
قصة الملك .. وعشاً حاولت بحوث العروبة أن تغلب على هواه الطور ..
وهكذا أمصينا أيامنا فى الطور من غير أن أجد فسحة للتفكير فى الجواب
عن السؤال . ما هى هذه السياسة السعودية وما أهدافها ؟

الفصل التاسع

السياسة السعودية

إلى القاهرة .

وعندنا إلى القاهرة .. التي كما قد نرحاها في بداية الرحلة على طائرة إنجليزية .

عدنا إلى القاهرة في طائرة مصرية هذه المرة تابعة لما يسمونه أو كانوا يسمونه (شركة سعيدة) .

ولا أحب أن أتحدث عن الطائرة السعودية التي أقلتنا من المدينة إلى الطور ولا عن الطائرة المصرية التي أقلتنا من الطور إلى القاهرة .. وحسبي أن أصرع إلى ربي .. أن يرقى مستوى الطيران العربي .
عدت إلى القاهرة فلقيت الصحب .

وأعلنت قريتي ، سواده ، احتجاجها فسافرت إليها ولقيت الأهل .
وعدت إلى عملي في القاهرة مرة أخرى .. فعادت إلى دهلي قصة ولعثن العربي والإسلامي ، وكنت قد نسيت .

كنت قد نسيت الشريط الذي لارم الذاكرة من المدينة إلى الطور .
ونجاة . ونحركات السياسة السعودية من جديد .

نعم نجاة .. وطالعتنا الصحف بوفاة الملك عبد العزيز .. والمادة تعود ابن عبد العزيز ملكا .

أهداف الملك :

واشتغل الناس جميعاً بالترحم على من سلف و (التبريك) لمن حلف .

وكان ذلك في نوفمبر من العام الفائت .. أما أنا فحملت رأسي يدي .. وواصلت من فوري .. ذلك الذي انقطع من تفكيري .. فوق رمال الطور من شهور .
ومر عجب أني ماكدت أفرع من الإبراق إلى جلالة الملك الجديد أعريه
(في الملك الإمام الراحل) وأهنته بالملك والإمامة والرجاء الذي تعقده
العروبة عليه .. وماكدت أعود إلى بيتي وأرى إلى مخدعي وأطفيء النور في
العرقة .. حتى جلست في الفراش كما كست أجلس فوق الرمال .. وقلت لفسى
مشيراً في الفضاء والظلام بأصبعي :

— من هنا نبداً . من نفس النقطة التي وقفا عندها .. ها هي نبوءة
محدثي الكبير قد تحققت (إن عبد العزيز راحل .. إنه في صحوة الموت) ..
(إنه يخلق هذه المرة إلى فوق .. وسيواصل التحليق .. ولن يعود)

فترددت ثقتنا — إذن — بكل ما رواه .. ولأخذ بعين الاعتبار كل
ما بشئ إياه إخوان سعوديون آخرون ولم يكن بين الرواة خلاف .. كما لم
يكن بين أهداف عبد العزيز وأهداف سعود خلاف .

عدت إلى ما لئدي من بيانات من شريط السياسة السعودية وشؤونها
واتجاهاتها مرسومًا في ناظري على الصور التالية :

أولاً — لاحظ عبد العزيز آل سعود في بداية الهوض من بضع سنوات
أن السياسة الدولية التي كانت قبلاً تقوم على (التوازن الدولي) وتحرك
بريطانيا (العظمى) رمامه مراراً . وبلغت منها الرمام (أحياناً) .. أمست
(أي لسياسة الدولية) تقوم الآن على نظام « التكتل » .. وإن التنازع على
السيادة العالمية إن كان قد تبدى في صورة معسكرين : (عربي وشرقي) .
فالعالم الجديد إنما يتجه في الحقيقة إلى « نظام التكتل » السياسي أو الجغرافي
أو القاري .. كالكتلة الأمريكية اللاتينية . أو كالكتلة الآسيوية التي نمر
إلى بطل السلام العالمي البانديت نهرو في تزعمها .

ثانياً — لاحظ عبد العزيز أن الدول العربية والإسلامية عانت ما عانت

من الاحتلال والعبودية ولم يكن نظام التكتل قائماً . وكانت كل دولة تعمل لحسابها وحدها . أو تساوم أخرى على تبادل المنافع بينهما . فما بالك اليوم والدينا من حولنا تتكتل .. ونحن في شرقنا ما يزال نتقاتل وتخاصم .. ونلوك مرة — وأصع المستعمر وراء ألسنتنا — قصة « الهلال الخصيب » ، ونلوك مرة خرافة « سوريا الكبرى » ، ونلوك مرة خرافة « مصر والسودان تحت التاح المشترك » .. مع أننا أشد دول الأرض حاجة إلى إقامة « كتلة عربية » ، على أساس قومي إذا تعذر قيام « كتلة إسلامية » ، على أساس ديني .. وفي أشد الحاجة إلى أن تقف كتلتنا موقف الحيدة بين المعسكرين فتعاون على إقرار السلام عندما يؤمن كل منهما أننا لن نتحاز إليه ولن نأخذ بيديه .. فإذا وقعت الحرب بعد هذا أو على الرغم من هذا .. ذكر المعسكر المهاجم فضله حياداً عليه

ثالثاً — لاحظ الملك السعودي أن الاستعمار الأوربي قد شاخ .. وأن الفضل الشرقى المستعبد قد شب عن الطوق .. وحان أن يشب أظافره ومعالبه وكل ما يدخل في حوله وطوله في الشبح الطالم اللاهث حتى يلفظ آخر أنفاسه .

رابعاً — رأى الملك أن من الخير أن يكون للطفل الحر الذي استعبده حتى شب عن طوق العبودية .. أصدقاء أحرار أو كالأحرار .. لهم مصلحة في أن يحموه إذا بقي في الشيخ نفس يتردد .. وحاول أن يقف على قدميه من جديد .. ليستعمر ثانية ويستعبد . وتحدثت (أمريكا) في ميران الملك — صديقة جديدة .. قوية الساعد .. كانت إلى غير بعيد خاضعة لما يخضع له الشرق الآن من ويلات المستعمر .. منظوية على مخلفات ذلك الوضع من إسح وأحقاد .. طامعة مرور الصناعة والعلم وبذافع التجارة والكسب .. إلى أن تطفر ثمة العروبة .. وتحرص على تتول العرب .

خامساً — رأى الملك أن إسرائيل أخطر على الشرق والإسلام من نزعة

الاستعمار الأوربي .. ومن موجة الإلحاد الشيوعي .. لأن الملحد لا يحمل حقداً (ديباً) على المتدين كالذى يحمله أهل دين لأهل دين .. ولأن المستعمر يغير دائماً في الوسائل .. ويتغير مرعماً مع التطور .. أما إسرائيل فتبقى ملكها على التاريخ والدين .. التاريخ الذى روى قصة تيهاتها قروناً بغير وطء .. وتشردها طويلاً في فجاح الأرض .. فأورثها الحقده على كل بني البشر .. والديا التى صاغت منها فشدها عاية واستباحته في سبيلها كل وسيلة مهما تسفل .. والدين الذى كان مبعث ذلك الماضى الحزين .. فخرت بينه وبين الملك كما قرنت بين الدولار وبين عرش سليمان .. لتشرّب من دم جميع الأديان .. ولتشار للجنس وما لاقى .. ولتستغنى بالعلم والمال والسيادة والقيادة في الأرض .. عن المن والسوى وموائد السماء .. فإذا كان الاستعمار الأوربي الموصوم بالغزو والاحتلال .. أو إذا كان الاستعمار الأمريكى الموسوم بالصناعة والدولار .. قد اتخذ — أحدهما أو كلاهما — من بنى إسرائيل محلب قط صد العروبة والشرق .. فإن دولة إسرائيل إذا لم يطهر الشرق منها تطهيراً .. وإذا لم تستأصّر من الشرق استئصالاً .. قاضية لا محالة على العروبة والشرق .. بل قاضية — وهما الخطورة — على المسلمين والإسلام .

مر هذا كله بمخاطري وأنا قائم في فرائى أفكر .

وسأله الملك نفسه : ما الذى يمكن إذن عمله ؟

لقد خطا خطوته الأولى وأمسى صديقاً لأمريكا والمجال واسع لاستغلال هذه الصداقة .

ولقد تفجرت يابيع البترول فربطت أمريكا إلى حين بعجلة الود السعودى وأمسى على قدر من الإمكانيات يتيح له أن يفعل الخير لعروبة والإسلام كثيراً .

ولقد أتاحته الأقدار للعروبة حماقة بريطانية طنها إيدن (لعبة) ميامية

تطويما في أبراهام الانجليزية .. ولكن في الوسع أن نخلع هذه الأبرار ويري
مضار اللعب .. وبعي مولد جامعة الدول العربية .

ومرة أخرى ساءل الملك نفسه : ما الذي يمكن إذن عمله ؟

أما يمكن تكتيل الشرق العربي ضد المستعمر العاصب تكتيلا ، قوميا ،
صحا مقوماته الجنس واللغة وأخوار والمصلحة والمجد القديم المرحي
استرداده . والخوف الجديد من الاضطوط الاسرائيل على أن تترعم مصر
هذا التكتل .. ولصر مصلحة في أن تستعين بدول العروبة على مناوئة
المستعمر الذي يحتر أرضها .. ولبعض دول العروبة نفس المصلحة ..
ولبعضها الآخر مصالح أخرى .. أشدها وضوحاً في التحصن ضد الخطر
الإسرائي الذي لاح في الأفق من انتصب واقفاً في الساحة ..

رأى الملك أن رفعة لشرق الأوسط تضم أقواماً دوى أديان مختلفة
وأن الرعاية السياسية على هؤلاء بحس أن تكون معقودة اللواء بيد يقلب
عليه الطابع ، المدنى . ومن هنا تطلع مصر الآحدة بأسباب ، المدنية ،
لترعم هذا الشرق عندما سمى : (الشرق العربي) .

ولا يهم بعد هذا التوفيق أن تدخل في ، الصاق العربي ، المعنى بالسياسة
دولة ذات نظام ملكي وأخرى ذات نظام جمهوري .. لأن ، الطاق العربي ،
يدخل فيه أيضاً ، المسلم والمسيحي ، ويدخل فيه أيضاً ، الدرري ولبناني ،
ويدخل فيه أيضاً قوم ينتمون إلى حوارح ويريدون بل إلى شيعة وسنة ..
بل إلى فرق تلتقي أحياناً بالملاحظة .

زعامة مصر إذن كفيلة بزعم هذا اللون من التكتل العربي ..

وصدر مصر الحديثة الآحدة بأسباب المدنية يتسع إذن لكل هذه
الفوارق ما دامت راية ، العروبة ، تحقق في يد مصر القادرة فوق رؤوس
العرب جميعاً .. وما دامت ، روح القومية العربية ، تتلعلل في انقبوت وتصفق
بين الجنوب وتنظم كل الصفوف وتمشي نحو الهوض .. وتعرف أنها إنما

تمشي إلى هدف .. هدف التحرر من المستعمر .. هدف تخليص العربي الآف ..
من الأخطوطيين الأمريكى والأوروبى .

وقال الملك السعودى لمن تحدث إليهم فى هذا الشأن من خاصته أن مصر
زعيمة للشرق العربى من الباحية الفعدية فلا محل لتجاهل هذه الحقيقة .. زعيمة
بعدد سكانها .. وبمدى إمكانياتها .. وبموقعها السياسى والجغرافى والحربى ..
وبتجارها الطويلة مع المستعمر . وبفودها الأمريقى فى شقيها اسودان
وجاراته .. وبرقيها العلمى والثقافى .

اهراضى ..

وقيل لى فى جدة مرة أن بعض حاصه أراخوا أن يأتوه فى مكته ويتسلوا
إليه من موضع الضعف فيه فلو حوا بأحكام الشريعة التى لا تطبق فى مصر
فبان لعصب على عبد العزيز .. وقال لهم ما معاه :

— كل ما يقال لكم فى هذا الشأن غير صحيح .. واشعب المصرى جاهز
دائماً .. ومشدود إلى عجلة البيت العتيق بعاطفة الدين .. ومحمد عبده الذى
بضعه فى مكان من أماكن الاحترام التى بضع فيها ابن عبد الوهاب وابن
تيميه يقول : (وتناول الملك كتاباً وأشار إلى صفحة وأمر أحد الاتاع
فقرأ) .

• أنفس المصريين أشرت الانقياد إلى الدين حتى صار طبعاً فيها . فكل
من طلب إصلاحها من غير طريق الدين فقد بذر بذراً غير صالح للتربة التى
أودعه فيها فلا تنبت . .

وقصة أخرى — حدث مرة — ومحدثى هو مصدرى — أن سمع عبدالعزیز
فى مجالس العلم التى كان يعقدها يوماً ليصنى إلى حوار علمائه فى الفقه والحديث
وال تفسير .. سمع قارئاً يتلو عليه من كتاب تاريخى أن الثقافة العربية كانت
ترغم كل الثقافات بدءاً من القرن التاسع الميلادى إلى القرن الحادى عشر

بل وحاولت أن تحتفظ بهذه الرعاية انتهاء إلى القرن الرابع عشر ، وأن الفتوح الإسلامية استطاعت أن تحمل هذه الثقافة شرقاً إلى الهند والصين ، وغرباً إلى أسبانيا حتى أطلت على المحيط . فقال الملك في حماسة المؤمنين بمصر واقتدارها (ومصر .. ليس ما تحمل الثقافة العربية داحين لكل السجاع ، القاع ، .. ليس ؟) وهذه العبارة تكشف لك عن اتجاه الملك القديم إلى إقامة وحدة عربية تحت الرعاية المصرية .

هذا هو دور مصر الزعيمية في ميزان عبد العزيز .

فما دور الأم الإسلامية ، أو ما خصتها .. أو ما الشأن معها .. بعد أن حددنا خطوط المصير لشرق العربي ؟ ورقة الدول الإسلامية أكثر سعة من الشرق الأوسط والشرق العربي .. فتركيا أمة مسلمة — مهما يكن صانع الدولة فيها — وهي من بلاد الشرق الأدنى . وإيران وباكستان معتبرتان الآن من بلاد الشرق الأوسط .. وهما دولتان مسلمتان وهناك صراح إسحاق إندونيسيا وهي عصر إسلامي بكر وطموح .. بل هناك الأفغان في آسيا .. وتونس ومراكش والجزائر في شمال أفريقيا . والأمريكان إذن أشد خصومة .. وبعث المجد الإسلامي ينظم الشرق كله ويبشر أصواءه على جاليات كبيرة في الغرب .. بل تلقى هذه الأصواء .. أشعة من تحتق السور الحديدية .. إلى قلب القوقاز نفسه .

ولن زعامة الإسلام :

لم يلق إذن هذا الزمام .. زمام لقيادة — الروحية على الأقل — في دنيا الإسلام ؟

ورأى الملك السعودي أنه ملق بالبداية للبيت الحرام حيث يكون وحيث كان .. ملق بالبداية لبي الإسلام حيث يرقد في مقامه الطاهر تحف من حوله قلوب مئات الملايين من المسلمين .. لا يفرق بينهم مشرق أو

معرب .. ولا يفرق بينهم لون أو جنس أو مذهب . وتحت راية التوحيد .. يقف مئات الملايين .. توحد بينهم عبارتان اثنتان : (لا إله إلا الله) و (محمد رسول الله)

ورأى الملك أن في عنقه هو أن يتزعم بما ملك من إمكانيات روحية كحامى الحرمين بذل المساعي في التقريب بين الدول الإسلامية وشعوبها تقريباً بضم في القلوب شعبة الإيمان بأصول الإسلام القائمة على أنه دين ودولة .. وعلى أن المسلمين أمروا أن يكونوا وحدة روحية حيثما تفرقوا .. وبنياً ما مرصوصاً يشد بعضه بعضاً .. فإذا لم تثر العروة في المسلم نخوته أثار الإسلام هذه النخوة . أما إذا لم تثر الإسلام هذه النخوة في المسيحي والملاحد أثارها لعروبه . وحرجا على أي الأوصاع ثورة على المستعمرين الماسخين واللقيفة المنداة أو الامة غير الشرعية إسرائيل .

وتحرر الإسلام في صميم الملك المسلم يحيى . من غير شك في الطليعة . وهو في ميزانه الأول والآخر . ولكن الحكمة تقضى أن يكون الباطن ولا يكون الظاهر . ومبعث هذا الاتجاه .. أن الملك يؤمن في قرارة نفسه أن تأخر المسلمين هو في حقيقته روحى وليس سياسياً .. وليس بذى بال أنا لم نحسن تقديم انقرايين . لوثية الآلات .. أو أنا تأخرنا في النهوض العسكري فاحتلنا دول عسكرية أقوى .. إنما ذوالبال أنا تأخرنا روحياً في سلامة العقيدة وفيها فاستنما لهذا الاحتلال أو لهذا الإدلال .. وكان الملك يذكر محدثيه ألباء الهزائم العسكرية والسياسية في بلد كالألبا وكيف لم نستطع هذه الهزائم أن تقضى على وطنية الشعب الألبا .. برغم أن وطنية هذا الشعب تسدها كرامة تاريخية أو تقاليد عسكرية ولا تسدها عقيدة موحدة كعقيدة المسلمين التي تأمر أمراً بكل ما حققته الحضارة وعجز ما عه وتتهى سياً عن كل ما حققناه نحن وعفت عنه الحضارة .. تأمر بالعلم وتسأل (هل يسوى الدين يعسور والذين لا يعسرون) وتأمر بالتسليح والتصنيع وتأمر ما أمراً بأن

نعد لهم ما استطعنا من قوة .. وتبالح في حماية الأسماء من الأمراض حتى
لتجس بضفة الأبدان من عناصر الإيمان . وإذن فاسترداد مجد الإسلام في
ميران عبد العزيز يحىء من غير شك في الطليعة . ولكنه يدرك إدراكاً عميقاً
وبرعم معالاة الرياسة الوهاية في نجد أن الذى يقدر الشرق والإسلام في
هذا العصر هو التكتل القوي بين دول العروبة . وإن الشعور الديني
هو الجذوة التي تصرم البار كلها حاول العدو أن يقطعها .

وأكد محدثي حقيقة كبيرة . أكد أن الملك السعودي لا يريد أن يتزعم
يهود أو لسود .. أو لسط سدماه السياسي تحت الستار الديني على ديار
المسلمين . أو ليوضح هذه الرغامة في أى وقت أو لأى أحد .

إنه يريد أن يتزعم « المساعي » إلى وحدة المسلمون (كما سبق القول)
ولا يريد أن يزعم أم الإسلام أو دول الإسلام .. يريد أن يتزعم « المساعي »
إلى هذه الوحدة « الروحية » الكبرى .. ويتزعم الإلهاق لسحاء في سبلها ..
ويتزعم التضحية بالنفس والولد إذا اقتضى الأمر هذه النصيحة .

يتزعم هو هذه « المساعي » بقوة البيت المحرم .. والرسول الأعظم ..
ولعقيدة واتوحيد .. والبلد الذي تهوى إليه الأفئدة .. وتحن لذكراه
القلوب .. ليكون له من ذلك الشعور الإسلامى الموحد الوفود الذى يقدم
للكتلة العربية وهي تكافح في سبيل تحرير الشرق العربي .

وتتسب الرغامتان دياراً إلى دين وجباً إلى حبس . إلى الهدف المرجو .

افضل لك مات الملك .. يحيا الملك

قلت نفسي من غير أن أقحمها في الرأي :

- حسا يا نفس .. عرفنا الآن أهداف الملك السعودي .. ولكن :
هل فكر في الوسائل التي تحقق : اوحدة العربية ، من ناحية و : الجامعة
الإسلامية ، من ناحية أخرى ؟

وما كنت ألقى السؤال حتى أطل على .. وجه محبتي القديم .. وعاد
الشريط يمر .

- أي نعم فكر عبد العزيز وقدر ودبر .. كما فكر معه سعود وقدر
ودبر .. كما فكر معها آخرون بعد ذلك الآن عنهم .

كان الرجل مستمسكا بعروة الشورى . فإذا فرغ منها وآمن بأنه استنار ..
اتخذ قراره .. فإذا اتخذته قصي الأمر كله ولم يعد من حق أحد أن يقف
في وجهه أو يفكر في ماقشته .. لأن أواس النقاش يكون في رأيه قد فات ..
لقد كان يصعب على كل رأي يشير به أصغر مستشار .. وكان يعطى أعوانه
حرية إساءة الآراء إلى أقصى المدى .. واستمع إلى هذا .. وإلى هذا .. وإلى
هذا .. وكون الرأي .. وبث في الأمر .. وحسم الخلاف .. وأصدر القرار ..
فما محل أن يجادل فيه إنسان ؟

تلك كانت خطة الملك السعودي .

وعلى الرغم من انطوائها على ما يحسه السطاء ، استنداداً بالرأي ، فإنها
لم تكن هكذا في الحقيقة .. لأن المجلس الاستشاري للملك لم يكن من التجديد
وحدهم .. ولم يكن من الحجازيين فقط .. إنما قام على التجديد والحجازيين ..
وتألف من رجال الدنيا ومن رجال الدين .. ومن السوريين واللبنانيين

والعراقيين والأردنيين والمصريين .

وحامى الحرمين يعبه كما قلت لك استرداد المجد الإسلامى .. ومجلس
المستشارين إذن يجب أن يمثل المسلمين جميعاً .. وهؤلاء المستشارون يجب أن
يكون كل منهم حبيراً واسع الخبرة بشئون بلاده .. وإذا بصت خريطة
العالم الإسلامى أمام المستشارين . استطاع كل منهم أن يبدى رأياً سديداً
فيما يخص بلاده على الأقل .. وتعاون الجميع على سد الثغرات بين مختلف
الاتجاهات على ضوء الحقائق .. وليس رافماً أن يكون كل المستشارين
موظفين .. عدد الرحم عزام يستطيع أن يتحدث عن مصر وشكرى القوتلى
وحميل مردم يستطيعان أن يتحدثا عن سوريا وأمين الحسينى يستطيع أن
يتحدث عن فلسطين وكلهم صديق للملك والمملكة وليس بموظف .. ومع
ذلك من المستشارين الدائمين فى بلاط الملك جمال الحسينى عن فلسطين ويوسف
يامسين عن السوريين . بل أن الزعيم الدينى بشير السعداوى يمثل ليبيا فى هذا
البلاط .. ورشيد عالى الكيلانى يستطيع أن يتحدث عن العراقيين .. أو بمعنى
أصح استطاع الملك السعودى أن يقيم فى الرياض (كونجرس) كاملاً يمثل
(الجامعة الإسلامية) مرسومة فى (ولايات إسلامية متحدة) ولكن فى عالم
البحث والدراس والإعداد .. فقط .

ولكن الملك عبد العزيز كان يعود فىرى عين الأسمى أن مقاليد الأمور
فى الدول العربية والإسلامية ملقاة فى الأغلب الأعم إلى أيدي أماسى .. فريق
مهم من صنائع المستعمر .. وفريق أضعف من أن يقف فى وجه الاستعمار .
وأن قراءة قرن من الزمان مضى على فكرة الجامعة الإسلامية ولم تتقدم
فى خلال الاستعمار خطوة .. منذ نادى بها جمال الدين الأفغانى وهو يحج
اليبت فى سنة ١٨٥٧ وأسس جمعية (أم القرى) على دعائم ثلاثمائة من عباقرة
تلاميذه فى مصر .. وأن الشعوب العربية الإسلامية هى وحدها التى تقدمت
إلى الهدف تلقائياً وبحكم التطور والإرتقاء .. وضد رغبة الكثيرين من

الحاكمين فيها .. وهذه الشعوب طليعة وضعها تتأثر برعائها الشعبيين وتنفر من حاكمها الضالعين مع المستعمر .. إذن فإن مجهوداً كبيراً يجب أن يبذل من جانب المملكة السعودية على الطريقتين العربية والإسلامية .. لإذكاء الشعور في الشعوب من ناحية ولتوريط الحاكمين من ناحية ثانية .. وللإغداق على الدعاة للفكرة من ناحية ثالثة .. ولإستئصال الأحقاد الموروثة من نفوس بعض الأسر المالكة من ناحية رابعة .. وللترقى البطيء المعقول بداحلية المملكة السعودية نفسها من ناحية خامسة .. وكل هذا يجب أن يتم على مهل قبل أن يقف الملك جهاراً على مسرح الدعوة .

ونفذ فعلاً هذه السياسة فسطط يده بالكرم الخاتمي لكل من نزل بساحته .. ومشى اركبان في المدائن والأقطار بما يشبه الأفاقيص والخيال من سيرته . وزار هو مصر الرعيمة فوثق عرى الود بينه وبينها وأودع ولديه سعوداً وفصل إلى مختلف الدول في مختلف المناسبات .. وقرب إليه كثيراً من زعماء العربوة المضطهدين والمشردين وذوى النفوذ . ثم أطلق يد ولده سعود في إصلاح المملكة السعودية ورفع مستوى الشعب السعودي شيئاً فشيئاً .. وكان لعبد العزيز في ولده الكافي فيصل براعة لا تجاري في معالجة الشئون الدولية والسياسة الخارجية ويطلب إليه أن يحفظ التوازن بينه وبين الخارج حتى لا تثار المشكلات التي تعوق ركاب الإصلاح .

أما سعود فكان يرى أن عجمة الحضارة — والأحداث في الشرق الأوسط — أسرع دوراناً من أن ترتقب هذا الترقى البطيء .. وكان يود لو أدن له مليكه وأبوه في المزيد من الإصلاح والمريد من الإسراع .. ولكن عبد العزيز العظيم كان قد أعياه الحب، وبأن عليه الضنى والإجهاذهم يشأ سعود أن يضاعف على مليكه الأعباء .. أو أن يضيف إلى ما يعاني أبوه من صنن الشيخوخة مزيداً من العناء .

ديوانه سعود :

ولكن هاك فرصة كان من الممكن احتياها فاحتيلها سعود ولم يدعها
تفلت .. فرصة ما يمكن أن يقوم به ديوان ولي العهد .

وها ذكرت أحاديث خاصة أخرى جرت بين وبين بعض العارفين
بذلك الديوان كما ذكرت أني زرت الديوان نفسى أكثر من مرة .

نعم .. كان ديواناً مطّماً وكان فيه جهازان قادران .. يجرى الشبّاب في
عروق الأكثرين من القائمين عليهما .. الجهاز الإدارى والجهاز السياسى ..
وكان قد رأى أن يعدّ العدة للمستفس بحيث لا تدهمه أحداثه على غرة ..
وبدألى واضحاً وأنا فى جدة أن كل شىء معد .. أو أن كل شىء يعد .

وكل العارفين أدهبهم حقيقة أن يدور الجهازان فى هذا الديوان دورات
بروتوكولية وسياسية على هذه الصورة وبهذه السرعة بحيث تمت البيعة لسعود
من إخوته وأسرته وأمنه ، وتودى بفيض ولياً للعهد .. ثم نقل الجثمان الكريم
للعبد العزيز العظيم إلى الرياض من غير ضجيج اتباعاً للسنة . واستقر الملك
والأمراء عشرات الآلاف من مختلف المقامات ، وجاءت عشرات الآلاف من
البرقيات من مختلف جهات العالم . فتسلم كل معر أو مهى رداً رقيقاً مناسباً ،
ورفعت الزيارات للبادية ، بل رتبت مقابلات سياسية سوف يتحلّى عنها دهمى
هذه الأوراق بعد حين ...

والحق الذى لا مرية فيه أن ديوان ولي العهد السابق والملك الحالى ديوان
مطم وعجيب . وكان يتوقع كل شىء .. ومن هنا قلت إن كل شىء بدألى
معداً أو كالمعد ..

ولامرية أن المحث عن حقيقة الشاب الفريد فى ذكائه ودهائه رئيس ديوان
سعود ولي العهد (والسكرتير الخاص لسعود الملك) عبد الله بالخير .. مؤد بك
إلى حل اللغز الذى تعقد .. وعبد الله خريج الجامعة الأمريكية فى بيروت ..

— حبيب مصر والمصريين — لم سياسة المملكة وأهداف الملك .. عليم
بدقائق هذه السياسة وخفاياها .. يحسن علاج الأحداث والأشخاص ..
ولكن ...

هل كان عبد الله بالخير وحده هو سر نجاح الديوان الكبير ؟

كلا .. كان حلف الستار كثيرون .. من الأقطاب يعملون رسمياً ، في
ديوان الملك الراحل . أو في مختلف المناصب .. ويعتبرون شخصياً ،
مستشارين لسعود .. ولعل في تعيين بعض الرجال في مناصب الوزراء على
أثر ارتقاء سعود العرش ما يفسر لنا الستار والواقفين من الخلف .. رقي
محمد سرور الصانع مستشار عام المالية (وزير دولة وعضو مجلس وزراء
ومستشاراً خاصاً بملك) وكذلك ظفر بنفس الترقية سليمان الحمد .. وعين
محمد رضا وزيراً للتجارة فأرسي قواعد الأسطول السعودي للبترول بأ كبر
ناقة تروى في العالم أسماها باسم الملك .. إلى آخر ما حدث في تلك لفترة ..
ولا يحب أن مكرر هنا ذكر رشيد عالي الكيلاني وغيره من المستشارين ..
فلنحسهم ولو إلى حين متاعب القول والقيس .

بما هي حجة عن الديوان عبرناها في أسطر لتكون لديك الفكرة .

والآن وقد وقع ما كان متوقفاً .. ومضى عاهل الحرية إلى بارئته ..
وبودي بسعود ملكاً .. فهل يحقق السياسة التي ساهم مع أبيه في إرساء
أساسها وفي إقامة جاذب من البناء فوق هذا الأساس ؟ وعلى أي الصور
يواصل الملك الجديد سياسة الملك الراحل ؟ وما الذي سيفعله في سياسته
الداخلية إزاء تلك المملكة الطويلة العريضة .. العجيبة حتى في أجوائها
وصوف القاطنين فيها والصاربين في بواديها ؟ .. وهل يجد فراغاً للسياسة
الخارجية وفهم دروبها ومسارها والتواءاتها ؟ ..

وحيل لي أن الإجابة عن هذه الأسئلة تستلزم حتماً ذهنًا صافيًا وأعصاباً

هامة . . وأما الساعة مشدود الأعصاب مكندود الذهن . . فبأى الوفود أنفج
الحركة فيه وأرد الحياة إليه وأطالبه بأن يدور وأن يسمع لدورانه دوى . .
وأن يحمل هذا الدوى كل الخطوط التى رسمها للعهد الجديد . . سعود^٢
وحيل إلى أن التبعات الملهمة على سعود أكبر بكثير من أعباء عبد العزيز . .
وبطريقة القياس يغدو التفكير وأما متعب فى خطوط السياسة الجديدة أعسر
بكثير من التفكير الذى يمكن لى من عرض سياسة الملك الراحل . .
الخير فى أن أطق جفنى . . وأمام . . وصدق فى الظلام وعممت . .
حكمتك يا رب . . مات الملك . . يحى الملك . .

الفصل الحادى عشر

مرحلة جديدة :

استيقظت من نومى وإذا إبرة التفكير تنجى فى اتجاهاً جديداً .. وكأننا لم أكن أحمل ذلك لعب المصنئ .. وكأنى لم أوجه لفسى تلك الأسئلة الدقيقة فى الليلة الفاتئة .

اتجهت إبرة تفكيرى لحافة إلى ما أسميته : « واجبى » .. فتعال يا أخى نجدد الصحة وسنهل مرحلة جديدة من مراحلنا . ولعلك تذكر أنى قلت وأما أطوى رفوف التمهيد فى صدر الكتاب « وهذا أحاولك يا واجبى » فدعى أسألك أنت يا صاحبى ويستوى أن تكون شيئاً أو لا تكون .

— أليس من واجبى أن أقول لبلادى بعض ما عرفت عن الملك الذى عرج إلى عالم الخلود .. وبعض ما عرفت عن الملك الجديد الذى ارتقى الأريكة ملكاً وتلقى البيعة إماماً ؟

نحن الآن فى شهر نوفمبر .. وأنت مدعو لأن تشعر معى عن ساعد الجد . فتعال تحدث الناس عن الملك الذى رحل . والملك الذى جاء .

ها نحن أولاء ورغما

وها نحن أولاء نهم بأن نقول للقراء .. أشياء وأشياء .. أعذب الطن أن الأكثرين منهم لم يكونوا على علم بها .

إن أبناء جديدة تنجى الآن من جدة عن البيعة تعيد إلى الأدهان صدر الإسلام والمشكلات التى صادفت كل إمام .. أو ما ترى أن نشد الرجال مرة أخرى إلى جدة .. لحدث الناس عن بيعة جديدة تحقق رايها فوق سارية الإسلام .. بعد انقضاء أكثر من ثلاثة عشر قرناً على عهود الإمامة والبيعات ؟

أولاً — نلاحظ أن مسلماً كبيراً ومستثيراً وذا مقام دولي هو السيد غلام محمد رئيس جمهورية باكستان الإسلامية يطوى بنفسه الأجواء .. ليقدم عراه بنفسه في الملك عبدالعزيز . وليقدم التهنئة بنفسه للملك سعود .. وهذا الوفاء على هذه الصورة يتجاوز حدود الوفاء التقليدي وانجاملات الرعاية بين رؤساء الدول .. وكان في وسعه أن يوجه بثة رسمية تمثل الدولة .. فحفل هذه الطاهرة .. فقد تفيدنا في البحث .. عندما يذكر أن السيد غلام محمد إنما يعزى في عاهل ، عرف قدره واتجاهاته ، ويعني عاهلاً ، عرف قدره واتجاهاته .. لأن غلام محمد زار المملكة السعودية من قبل الحادث بعام .. ثم عاد مرة أخرى فرار مكة والمدينة وجدة والظهران .. وكان سعود بن عبد العزيز يومئذ يقيم في المنطقة الشرقية (في الظهران وجاراتها) يشرب السور بين ربوعها ويحبي بالمشآت والمؤسسات مواتها وهناك التقى الرجلان وكان كل منهما يعرف مكان دولته من الشريعة والإسلام .. وأثر دولته في الشرق الأوسط والتكتل المنشود .

والدليل على أن اللقاء لم يكن يومئذ لقاء تقليدياً .. أن غلام محمد ما كاد يعود إلى بلاده من زيارته الأولى أي قبل عام من حادث وفاة الملك حتى أدلى بتصريحات مسببة أكد فيها أن العروبة والإسلام سبلقيان حيراً على يدي سعود بن عبد العزيز ثم عجل غلام أثر عودته بإعلان باكستان ، جمهورية ، وعنى بالص على وصفها بكلمة (إسلامية) .

ثانياً — طار إلى جدة السيد جمال عبد الناصر — وكان يومئذ نائباً للرئيس من الناحية الرسمية ولكن مصر والمملكة السعودية كانت تعرف كل الحقائق — وأعلن يومها — ورغم الجو المشحون بعواطف العزاء والتهنئة — أن مباحثات بعيدة الأثر في مستقبل الشرق جرت بين سعود وجمال ..

ثالثاً — ساهمت في أداء الواجب سوريا ولبنان والعراق والأردن وليبيا واليمن .



الملك سعود مع الملك خالد



عبد الرحمن مزاح

رابعاً — خف ارفعاء من كل حذب
وصوب إلى جدة وكان في الطليعة المجاهد
العربي القديم وصديق عبدالعزيز سعود ..
شكري القوتلي والأقطاب وأمير الحيني ..
وجميل مردم .. وعبد الرحمن عزام ..
وعبدالله الي في .. وسكرتير اللجنة العربية العليا
للدفاع عن فلسطين محمد علي الطاهر ..
كما خف الكثيرون من أمراء الإمارات
كأمير قطر سمو الشيخ علي بن عبد الله ومعه
نجله ووجوه إمارة ..

وخامساً — عتيت الهيئات الدينية والشعبية في مختلف الأمم الإسلامية

أن تشاطر المملكة العودية أفراحها وأتراحها .. حتى مصر الرعية التي يعيها تراحى هياتها أحياناً عن مثل ذلك المصير .. طار بمثل الإخوان المسلمين وجماعة أنصار السنة وغيرهم إلى جدة .

وسادساً — وما وضع تحت كلمة ، سادساً ، خطاً تامى في العرض .. هاتمت البيعة الإسلامية شرعية صحيحة .. وقدم إلى جدة سماحة المفتى الأكبر الشيخ محمد بن إبراهيم كبير آل الشيخ — سلالة الإمام محمد بن عبد الوهاب على رأس وفد من علماء المملكة العودية فبايعوا سعود بن عبد العزيز على أن له عليهم السمع والطاعة .. ولهم عليه أن يترجم حدود الله كما جاء بها الكتاب وكما بينها رسول الله . ثم اتجه ركب الملك الإمام إلى مكة فطوف ببيت وسعى .. وصلى الجمعة في الحرم .. وأقيمت صلاة لعائب على الملك الراحل .. وتلقى الملك الجديد بيعة أم القرى .. ورددت شعاب مكة ويطاها من جديد .. أصداء البيعة الإسلامية تنوى في مسعى ثلاثة عشر قرناً من الزمن .. ويسم لها منزل أوحى . وبيت الله المحرم .. ثم اتجه ركب الملك الإمام إلى مدينة الرسول .. فرار المسجد النبوى بين الدعاء الحار من سلالة الأنصار .. وتلقى منهم البيعة خاصة لأهم لا يرامون .. وطوبى لمن تلقى السعة من سلالة الأنصار في مدينة الرسول .

وسابعاً — بدأ دور نجد (بعد دور سماحة المفتى الأكبر) فجاء إلى جدة سماحة رئيس القضاة في المملكة الشيخ عبد الله بن حسن بن حسين آل الشيخ ومعه القضاة فبايعوا ، سعود بن عبد العزيز ، بالملك على كتاب الله وسنة رسوله والسمع والطاعة في السر واليسر وفي السراء والضراء . وتليت وثيقة البيعة على الجماهير وأعلن كبير القضاة أن الإمامة متعقدة لسعود بن عبد العزيز وثلاثة شرعاً وحمدهم الملك في أعناقهم أمانة نصحه في الدين والدنيا فتأثرت الجماهير وفاحت دموع لعرفان من العيون .

وثاماً — فتح باب القصر لوفود الحجاز ونجد .. تتنازع مئات وتتابع

آلافاً .. وينفر الشيوخ ثقلاً .. وينفر الشباب خفافاً .. وكلهم يعرفون أن لهم حق البيعة .. والمملك يتلقاها منهم سعيداً .. ويعاهدكم على الكتاب والسنة . وتاسعاً وأخيراً — يلاحظ المملك أن في البادية والمناطق البائية شعوباً لا تعرف الطريق إلى الحضرة .. ولا تقوى على الارتحال والسفر .. ومن حقها أن تقل إمامته أو تأبأها .. فيصر على أن ينتقل لشخصه إلى حيث تقيم فتعال يا صاحبي .. نعد العدة لرحلة مضية مع المملك الجديد يذرع حلالها الجزيرة التي أعيت رحالة الأوربيين .. فيزور القصور .. ويزور أصغر الدور .. ويزور الخيام المضروبة في كل درب من دروب الصحارى .. ويفتشر الأرض معهم .. وبأكل عما يأكلون .. وبألم إن كانوا يرتضونه ملكاً عليهم وإماماً لهم .. ويتلقى البيعة منهم .

بحر الآن يا صاحبي في رفر ديسمبر أو ربيع الثاني .. يقلنا مع المملك قطار حاص يتحرك من الرياض يحترق للصحراء إلى أطراف المملكة أو إلى المنطقة الشرقية أو على التحديد إلى الإحساء .

كلا يا صاحبي لا محل لأن تفتح فك دهشاً .. وأن تصلبي الأسئلة دهشة متبعة .. عن هذه الرمال النائرة وكيف حمدوها .. أو عن هذه التلال الدارية وكيف عقبوها .. أو عن هذا الخط الحديدى وكيف أدل الجبال والرمال والتلال .. واخترق هذه الدنيا الطويلة ، من « الدمام » على الخليج الفارسي إلى الرياض عاصمة نجد ومقر المملك ؟ وفيه كانت نظرة عبد العزيز إلى الأمريكان إذن ؟ ولم حصهم ببتروال الجريرة إذا لم يخلصوها بثمار الحضارة الصاعية والعلوية ؟ وكيف يقوى إذن على تحقيق أهدافه البعيدة داخل المملكة وخارجها ؟ كلا يا صاحبي لا تشطط بنا .. ولا تخرجنا عن حدود الرحلة والبيعة .. لئلا ما نزال بطوى صدر الصحراء في طريقنا إلى الإحساء .. فلا محل لهذا الالتواء .. كل ما يعينك ويعينني .. قبل أن ننسى .. أن تعرف أن سعود ابن عبد العزيز احتفل في العام الفائت « بنسعيد » هذا الخط — أى يجعله

سعودياً .. فقبله من الأمريكيين رسماً بعد أن دروا السعوديين على الأعمال
الفنية وأصبحوا أهلاً لتسله .. فسجل والقطار يمشى بأفوق الخط هذا اللون
من ، السياسة السعودية ، في التعامس مع الأمريكيين ولا أعقب

إن انقطاع يقل الملك ويقل آخرين من الأمراء والوزراء .. يعيبا منهم
صاحب سمو عبد الله بن عبد الرحمن شقيق الملك عبد العزيز عم الملك سعود .
وأعنام سعود لهم في المملكة وفي قلوب المحبين مقام كبير .. وبعض أشقاء
عبد العزيز ساهموا معه في فتح الرياض .. فالبينة لسعود إذن لم تكن مقصورة
على أخوته أبناء عبد العزيز ولكنها ترقى إلى الفرع الأعلى من العمومة أيضاً .
ينثلها عبد الله بن عبد الرحمن في هذا الركب الملكي .. دليلاً على أن كل شيء
كان معداً .. وإذا جرى بمقدار .. وإن قدر بالميران .. وحطية أن يطن
طال .. أن الأمر في هذه الجارة يجري ارتجلاً .. وإن الصحراء لا تبت
الناسه وإن أعطت أبطالا .

ومن كان في الركب أيضاً ؟ غير أخوة سعود وأب. عبد العزيز ؟

طف معي بالعربات يا صاحبي وتمعن ..

في حاشية الملك رشيد عالي الكيلاني ويوسف ياسين .. وكلامها داهية
مقوار وسياسي لا يشق له غار .. والمجاهد الحريز الباسل جمال الحسني ..

آل الرشيد أيضاً :

كلا يا صاحبي . دع هؤلاء ، فالحديث عنهم قد يجرى .. ويكثر .. أسرع
بأنه وسجل .. إن كبار آل الرشيد في حاشية سعود هاشدي يا سماء واسم
يا قدر .. إهم يصرون إصراراً على أن يكونوا في الركب ليقولوا لأهل
الجزيرة .. قولاً غير مسبوق في تاريخ الجزيرة .

ومثلك يا صاحبي لا يمكن أن يجهل قصة ابن الرشيد الذي استرد

عبد العزيز الرياض من «مخلان» عامله عليها . وحارب ابن الرشيد في مفره بعد ذلك حتى هزمه .. ثم أكرمه .. فلما دانت الجزيرة لآل سعود .. ودالت دولة آل رشيد . أسبع عبد العزيز عليهم عطفه .. وبالع سعود في إكرامهم .. وصون كراماتهم .. فازدادوا لسعود حبا حتى لقد أصروا أن يمشوا في ركب البيعة إلى قلب البادية .

وها أرجع بك يا أخى — قارئا هذه المرة — إلى ما فات من صفحات الكتاب يوم كنا نزل على فندق التيسير بمكة .. لقد كان معنا — وأرجأت ذكره إلى مكانه ها — حفيد ابن الرشيد ، المقيم في بغداد .. قدم إلى الحج ومعه خادم من عبيد الموروثين .. يلازمه دائما ملازمة الظل .. ويكفى لك تقدر إكرام سعود لحفيد ابن الرشيد .. إن النفحة التي نفخ بها سعود ذلك العد فارغ العود .. كتبت بأرقام ثلاثة .. وقيل إنها صرفت دهباً .

وأنا أقص عليك ذلك الحادث لنظّم أطراف من السياسة السعودية التي طل الناس أنها تنثر ذهب الطهران عن يمين وشمال .. وعلى طريقة الانجبال .. كلا يا أخى .. إنما يبدل المال لأهداف . وكلها تنهى أحيراً أعد أى الهدفين : تكثرت الشرق العربي . أو تقوية الجامعة الإسلامية .

البيعة مرة أخرى

وها نحن أولاء نخترق الصحراء ... فلنمر بالمحطات (الخرج) و (حرجش) وغيرها من بلاد حقول البترول ولشاهد شعوبها كاملة تحيى للبيعة مع أنه عائد إليهم .. ولنبلغ مدينة (الحفوف) وقد أمصت الليل ساهرة وماجت بالخلاتق جاءوا إليها من فجاح المنطقة الشرقية يتقدمهم أميرهم سعود بن جلوى وأخوه الأصغر عبد المحسن .. ومن خلفهما الرجل الذى عاصر عبد العزيز باظراً لخاصته وأمياً على سره عبد الرحمن الطيشى والشيخ عبد الله بن عدوان .

ولندع (الخفوف) بعد أن طللنا فيها يومين وشهدت البيعة بعينيك إلى (نقيب) وأخيراً إلى (الظهران) مدينة الخيل والعران . حيث يلتقي أهل الدية بنساء الأمريكان .. وفيها وفود من (الخبر) و (الدمام) بن فيها شعب الإمارة كلها وعمال شركة التترول حياً . وفي طليعتهم جاليات انصرية والسودانية وقد حصم معود بالطف السابع .

حسناً يا صاحبي ..

ياها تروى أحداثاً .. ولا تصدر صحفاً .. فالوصف ليس من شأننا إنما المهم أن أسألك . أيمكن وقد رأيت بعينيك البيعة الإسلامية في صدر الإسلام تحدد أن تقارن بينها وبين الانتخاب المباشر في أرق أم الأرض ؟

ألا أتولى هذا الإجابة وليس في نيتي أن أملي عليك رأياً ..

إنما أسألك فقط — أسألك ذمة وأسألك صميراً .. وأسألك عروة وأسألك ديناً :

أيمكن أن يكون أهل الدية الذين رأيتهم بعينك ثم الأنوف حفاطاً على ما لهم من حقوق .. يقولون لسعود في رجولة وكرامة : « يا بعلك على السمع والطاعة إذا باعنا على الكتاب والسنة » ، أشاهها الساجدين الذين تعرفهم في البلاد التي يحرق فيها الانتخاب دائماً ، حرأ .. ١١٤٠ ، وهل مثل هذه البيعة الإسلامية يمكن أن تنحل عقدها طلالاً الموثق قائم ولعهد مصون . وهل في هذه البيعة ثغرة لسياسي ما كره أو ما هو بصلل الساحب كل عام أو حملة أعوام ليستقر رنساً ويثب هو إلى هس المكان ؟

أهداف :

وردن فليعود بن عبد العزيز من وراء البيعة أهداف .. وأهداف . إنها درعه الذي يحمي به ظهره في الداحل كمالك . وإله إيمانه الذي

يملا به قلبه وهو يعامل ربه كيأمام .. وأنها عدته — وافتح أذنك يا صاحبي —
عدته يتسلح بها ليحطو أخطر الخطى خارج الحدود تحقيقاً لسياسة أبيه ..
وليحوض بها معتزكا دولياً لا يعرف أهل المملكة عنه إلا أن يادبوا لسعود
في خوصه مطلق الدين تماماً .. معتمداً على قلوبهم ويعتتم .. ومعتمداً على
أن يفتدوه بدمائهم .. ومعتمداً على أن يكونوا دائماً من خلفه ومن حوله ..
لم يكن عبثاً إذن أن يتلقى الملك من أخوته — ورثة أبيه — الملك
وأن يتلقى لبيعة من شعبه كله بدواً وحسراً .. ويتأرباً ومهجراً بوباً ..
يذرع الجزيرة من بحرهما الآخر إلى خليجها العارسي ... أحسبك الآن
مقتسماً ..

تقول كلا ؟

حدثني إذن أو سلني ..

تسأل إن كان سعود مبطل مشغلاً بهؤلاء الدو عشر سنين تاركاً ذلك
العراك العربي الناشب الآن في كل مكان من بلاد العروبة .. وذلك التشابك
الدولي بين العروبة وإسرائيل من ناحية .. وبين العروبة والاستعمار من
ناحية ثانية ؟

كلا يا أحي ..

لكي تعرف السياسة السعودية الجديدة .. على حقيقتها ما عليك إلا أن
تتريث أياماً .. وأنت مدعو بعدها إلى مفاجأة سياسية تدرك منها .. أن هذا
الملك الجديد حيث يوجد .. توجد السياسة .. أياماً من الصبر أرجوك

الفصل الثاني عشر

مفاجآت سياحية

نحن الآن في الدمام ..

والشاطر كما ترى يا صاحبي قائم على قدم وساق ..

وكل شيء يدل على جديد مقل .. أو على صيف جليل قادم .. فما هو الجديد أو من هو الضيف ؟

هـ نحن أولاً دعياً لرافق الركب إلى المطار .

إنه صاحب السور الأمير سلمان الخليفة أمير البحرين قادم لتهنئة صاحب الجلالة الملك سعود بن عبد العزيز .

ها نحن أولاً سامعين في الحفل واشتركنا في السراشق الكبير .. وبيننا الدعوة إلى حفلة لعشاء الكبرى .. واجتلياً من مظاهر اسود العرق بين الملك والأمير لشيء الكثير .. ولكن الأمير يدعو الملك إلى زيارة البحرين .
وما هي لكويت تدعو الملك إلى زيارة الكويت .

والمنطق يقضى بأن يعرض الملك بزيارة الإماراتين الحبيبتين .. لا لأواصر العروبة بيده وسهما فقط .. ولا لصرخة التاريخ المدوية في مسمع الزمن تردد قصة عبد الرحمن والد عبد العزيز الذي لجأ إلى الكويت وعبد العزيز ابن عبد الرحمن العتيق الذي خرج منها لفتح الرياض واسترد الملك المصوب .
باربعين من أحوته وصحة الفرسان فقط — وبأهلها من ذكرى تتهر لها أعطاف التاريخ اهتزازاً .
ويقسم لها النهوض العربي الحديث ابتساماً ..

إنما تتحتم تلبية الدعوة لأن سعود موجود الآن في مباء الدمام على
الخليج الفارسي .. والإمارتان على قيد النظر منه .. فلا عذر له يعتذر به .
وسترى أنه لن يفعل .

سترى أنه مرجىء هاتين الزيارتين حتما فلماذا ؟
سبحر في ذاكرتك هذا السؤال ذا البال ولن أجيبك عنه إلا بعد أيام ؟
بعد المفاحاة .

المفاحاة الأولى :

أتراها ..

حد يالله هذا الرى العربى الذى أهدى إلى منه اثنان .. حذ أحدهما
وانسرب معى إلى الركب لنمشى حفية فى الركاب .. ولتجه إلى الشمال .. إلى
قرية أو بلدة لم يعلنوا اسمها بعد .
ها هو الركب يقف ..

ها هو بحيم الملك الكبير يضرب ..

ها هى مظاهر الحراسة .. من جيش وشرطة . تملأ المكان كله ..
أها نزال فى أرض سعودية ؟

أجل .. لم نزل . إنها قرية (مدنه) على الحدود السعودية الأردنية .
ما هذه (البروتوكولات) الملكية العربية التى تملى أوامرها على رجال
المملكة ؟

وعزفت الموسيقى بالسلام الأردنى .

وتخطى الحدود الملك الشاب حسين بن طلال الأردن .
وتعانق الحسين وسعود .. وبالكلمة (الحسين) من ذكريات حجازية ..
ولكن دعها .. فالأمر أخطر .

وساد المكان سكون رهيب .. وأعلن أن الملكين مجتمعان .

تسال وأنت تهر رأسك في زهول : ما هي القصة ؟

لا أعرفها على وجه تفصيل

إنما أعرف أشياء لا يحمل بك كعربي أن تجهلها .

إنك تعرف العراك السياسي الخفي الناشب الآن في الأردن .. بين الملك

الوطني لشاب (ابن طلال وكفى) وبين المستعمر ..

وتعرف العراك العسكري اليه .. الذي يبدو على الحدود بين الحين

والحين .. في صور اعتداءات غير مفهومة ، من جيش إسرائيل على

المواطنين الأردنيين .

وتعرف موقف الجامعة العربية — ولها واقفه ألف عذر وعذر — إزاء

ما يربوه الأردن منها ومن شقيقاته .. وإزاء الكاشة التي تطلق فكها

الاستعماري وفكها الإسرائيلي عليه .

وتعرف ان السياسة السعودية ترى إلى سد الثغرات في الجدار العربي

وثغرة الأردن تدور هيبة غير قابلة للسد .

وطن ملك الأردن أن ، سعودا ، حرير من ناحية على اواله ..

منصرف من ناحية أخرى إلى تدفق البيعة في الداخل فلا محل لتحدث إليه

في هذه الآونة .

وبجاءة يقال بذلك حسن أن أحاك الاكبر سعودا لا يبتسك مهما يكن

الظرف .

وبجاءة يتحدد اللقاء عند الحدود .. وعلى أرض سعودية لنفس السبب

الذي لم أفته لك يا صاحبي عندما سألتني عن سر إرجاء سعود زيارة

الكويت والبحرين .

وهاتذا ترى الملكين مجتمعان .

وهأتدا تشهد نشاط السياسة دوى الأياب المرافقين لسعود .

ها هو يوسف ياسين بسط الخريطة أمامه ويحدث فيها بعينه الصارمتين الضيقتين . ها هو عيسى إلى رشيد على فيهمس بالرأى فى أدنيه .. ها هو حماد الحسيى مجاهد فلسطين يضع على بعض الأماكن أصبعيه . ها هم أولاء . يدخلون إلى حيث الملك ويخرجون راضين .. ها هو الطيشى يدحس ليقول للملك الأبر شيئاً بلوح أنه منقول عن الملك الوالد .

ها هم الاجتماعات تنفص .. والمسلكان يتوادعان .

أترى إلى ذلك الهريق فى عيسى حسين وإلى ذلك الرصاص يرسم فى هدوء

على وجه سعود ؟

أترى إلى الملك لصغير الشاب .. وقد جاء تلوح عليه أمارات التفكير العميق ثم ها هو ذا يذهب وثقة تملأ صدره ... والإيمان يلقي ظلاله على عيائه ؟

قل إن الريارة نجحت من غير أن تدخل فى السياسة .

قل إن سعودا كتب صفحة .

قل إن العروبة سجلت كسباً .

قليلاً من الصبر يا صاحبي .

إن يوسف ياسين يعد بياناً ..

إنهم يتحدثون عن وكالة الأنباء العربية للاتصال برأسها فى مكة

ها هو البلاع بين يديك . وغداً يقرأه العالم كله فدعنا نقرأ .

مكة - و . ا . ع

يؤخذ من الأنباء الواردة إلى مكة أنه حدث فى اليوم الأخير من اجتماع العامة لى السعودى والهاشمى فى بدنة أن أكد الملك سعود لضيفه الملك حسين

أنه مستعد لبدل أقصى ما يمكن من الجهود لتحقيق التعاون بين البلدين على أساس من الوفاء والإخلاص والصدق .

وطلب الضيف الأردني من الملك سعود أن يزور الأردن فرد العاهل السعودي بقوله : إنني أعتبر بلادكم ملائمة وبلادنا بلادكم بفضل مائتنا وبين الشعبين من روابط المودة والاخاء . .

وأضاف الملك سعود يقول :

أنه يقدر الفائدة الكبيرة من الاجتماع والتعامم ووعد بأن يزور الأردن متى ساحت الفرصة .

وأخذ الملك سعود يواصل رحلته في ربوع بلاده .

أقرأ .. وأعد القراءة ..

ننت إدن رسمياً إن ملك الأردن نفسه . لا أمير الكويت ولا أمير البحرين — دعا سعوداً إلى زيارة الأردن فوعده — كما وعدهما بالزيارة — متى ؟ متى ساحت الفرصة . .

أناطلب تفسيراً لهذه العبارة ؟

التفسير هو بعبه الجواب الذي صنت به عليك عندما سألتني عن سر امتناعه عن زيارة الكويت والبحرين .

وعم .. حين الوقت لأن أميط اللثام عن ذلك السر الخليل .. سر .. تنامي في لساطة في ظهره .. وتنامي في السياسة في باطنه .. وتنامي في جلال الأهداف في لخته وسداه .. فاستمع إليه يا أخاه .

السر يا صاحبي أن سعود بن عبد العزيز رأى وقد ارتقى أريكة الملك أن يبدأ سياسته العربية من حيث ينبغي أن تبدأ . ورأى إعلاناً للديا العربية بمعسكرها .. وللرقعة المحايدة شرقيها . أن سياسة الملك الجديد استقرت على أن تزعم مصر وحدة العروبة .. رأى أن يمح إليها حجة السياسي الأول ..

وأن تكون قلته الأولى عندما يتخطى حدود ملكه الجديد ليزور الأشقاء.
وأبناء العمومة .. وبعد الزيارة الأولى .. التي يرتبها في ذهنه الصافي هذا المعنى
العربي الرفيع .. وهذا الاتجاه السياسي . يدع للظرف أو للرأى أن يرتب له
الزيارات الأخرى .

ومن هنا حرص سعود على أن يعتذر للإمارتين الكويت والبحرين ..
وكان على مرمى الطر منهما .. وعلى أن يعتذر للملك حسين .. وقد لقيه على
مرمى النظر من حدود الأردن .

وأحبك الآن قد تنهت على حقيقة عميقة لن ترفع عنها نظرك خلال
تطواف .

وستتجمل سفرنا إلى مصر لترى إن كان ما قلته لك هو الحق أم أن
العصر الروائي كان فيها قلته لك الغالب .. والواقع يا أخى أن الأحداث
أثبتت لك دائماً إلى لا أقول لك إلا ما أعرف أنه حق . إنما هو حبيك
إلى مصر قد أخذ يشغاف قلبك فأردت أن تستره بهذه التلمة .. قليلاً من
الصبر يا أخى ..

ولا أطلب الصبر عبثاً ..

فما ينبغي يا أخى أن يطير ملك كبير كسعود من قلب الصحراء إلى عاصمة
مصر من غير أن يودع عاصمة ملكه هو .. ويترود منها بمن شاء من مستشارين
دوى حبرة ودراية يختارون لأهداف الرحلة بما تشأهله من عناية .. ويوائم
تشرفهم بمرافقة البرنامج الموضوع بدقة وإدراك لهذه الرحلة .

وقد تكون هناك تقاليد أخرى في الطريق فما صرنا لو طللنا في الرك
إلى الرياض ؟

في الرياض :

هاتنح أولاء في الرياض يا صاحبي

وهو حفل واحد فيها . ثم نخلق في الخو إلى مصر .

إنه حفل العروبة الأكبر .. فلا تخلع عك العمامة الموشاة بالقصب ..
ولا ترفع عن رأسك العقال فإننا عرب من الآن وفي كل مكان ..

لقد طوفنا مع الركب بكل أرجاء الجزيرة ، ورأينا بأعيننا كيف انعقدت
لبيمه .. وعاد الملك آخر المطاف إلى عاصمة الملك . أقام يحلو أن يتوج
لبعة الإسلام . بإحاء تقليد من لتقاليد العسكرية العربية يكون معبرا
حملا بين الصوفة المسنة في أرجاء الجزيرة .. والطوفة العربية المقلدة في
مصر العربية .

تسقم ؟ إذن راقك أن يحول هذا المعنى في رأس الملك
لقد جان فعلا .. فإله أظأف العدة مني



الملك سعود في طريقه إلى افتتاح أول مجلس الوزراء

نحن الآن على مشارف الرياض في حقل يرتد عنه البصر .. والصحراء
تموج بقوات الجو ولا يرتد الإذن لها في التحرك ..

تقول انه عرض عسكري ؟ عسرى نعم .. يا أحمى .. والعصرية هـا
تعني العروبة .. والعروة هنا نستطيع أن نقول للدعويين من سفراء
المعسكرين : نحن في الطريق إليكم ..

صه .. بدأ العرض فعلا

تعالى أسمائك يا رب .. كيف غدا جيش الأربعة الخالدين ، الدين
فتح بهم عبد العزيز الرياض على هذه الصورة ؟ الإقصاف يا صاحى يقتضينا
أن نقف حاشعين هيئة قبل أن نحى مشعل وزير الدفاع الراقف هناك
يشرف على العرض .. تقتضينا أن نقف حاشعين هيئة لا أمام ذكرى
عبد العزيز فقط .. بل أمام ذكرى مصور ولده وزير الدفاع السابق ..
لقد كانوا يتوقعون أن يلعب في تاريخ الجزيرة أدواراً . ولكها حكمة الله .
سأل إن كان للجزيرة عهد يمثل هذا العرض ؟

مدى على أن الحرية على كثرة ما رأت .. لم ترق أبداً .. مثل هذا
العرض ولا مثل هذه المشاهد .. هاهو البرناح يبدأ فدعنا تفرح
هاهو العرض يحتم بالوحدات الطية تمر بها بمجهره أكمل تجهيز .
فتأهب .

انتهى البرناح كما هو مطبوع ولم يبق إلا أن يقف الملك فيقف المدعوون
فيندق جلالة التهاني بنجاح لعارصين .

أقلت الزمام :

ها هو الملك يهم بأن يقف ..

إن اللعط يتعالى .. فما هذا الذى بدأ يحدث ؟

أخرج أساء الصحراء على النظم ولم يستطيعوا له صواب . أم ماذا ؟

أَكْتَم بالله أُنْفَاسَكَ وَانْظُر .. وَلَا تَسْأَل ..

إِنْ احْمَاسَةً أَخَذْتَ عَلَى الْحَرَمِ الْمَلِكِي مَسَالِكَ التَّفَكُّيرِ عَلَى مَا يَلُوح ..
فَسَعَرْتَ فِي قُلُوبِ قَتِيَّةِ الصَّحْرَاءِ نِيرَانًا لَا تَقْوَى عَلَى رَوْدَةِ الْحَضَارَةِ ..
هَاهِيَ ذِي أَصْوَاتِهِمْ .. تَرْتَفِعُ فِي الْفَضَاءِ بِأَهَازِيحِ الْقُرُوسِ الْعَرَبِيَّةِ
وَتَلْعَلَعُ .

هَاهُوَ الْمَذْبِيعُ الْمُسْكِينِ .. يَصْطَرِبُ وَيَتَعَثَّرُ يَتَدَارَكُ الْمَوْقِفَ تَنْطِيلًا لَهُمْ
وَيَعْلَنُ .. أَنْ قُوَّاتِ الْحَرَمِ الْمَلِكِيِّ تَرِيدُ أَنْ تَعْرِضَ نَفْسَهَا عَلَى مَلِكِهَا
احْتِفَاءً بِهِ وَتَكْرِيماً .

تَطُورُ الْمَوْقِفَ يَا صَدِيقِي فَلَا تَرْتَجِفْ .. أَرْطِ عَلَى الْقَلْبِ بِالْيَدِ .. وَأَصْغِدْ .
وَاعْذُرْنِي إِذَا دَارَ رَأْسِي لِأَنِّي أَرَى الْآنَ فِي السَّمَاءِ مَا لَا تَرَى .
تَرَفُّعَ رَأْسِكَ وَلَا تَرَى شَيْئاً .. ؟ اِرْفَعْ قَلْبَكَ يَا أَخِي قَبْلَ أَنْ تَرْفَعَ رَأْسُكَ
وَاتَعَثَّ .

إِنِّي أَرَى جَنُودَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ وَالْفَرَسَانَ الصَّنَادِيدِ فِي أَيَّامِ الْخُلَعَاءِ
إِذَا اشْدَيْمَ يَطْلُونُ عَلَى جُودِ سَعُودِ .. وَيَمْرُونَ مِنْ وَرَاءِ السَّيَّارِ الْإِسَافِيِّ
الَّذِي يَحْجِبُ عَنْكَ الْمَشْرِقَ الْفَاقِظَ .
تَقُولُ إِنِّي جَنَنْتُ ؟

فَقِهَا يَا صَاحِبِي وَلَا تَحْفَ .. لَا قَوْلَ لَكَ إِنِّي أَرَى أَيْضاً .. تَقَالِيدَ بَنِي أُمَيَّةٍ
تَمُرُّ مَعَهُمْ مِنْ خَلْفِ تِلْكَ الْحِجَابِ .. وَأَرَى سَيُوفَ بَنِي الْعَاسِ تَلْتَمِعُ مَشْرِعَةً
فِي أَيْدِيهِمْ .. وَأَرَى الْعُرُوبَةَ مُوَصُولَةَ الْخَلَقَاتِ مِنْ ذَلِكَ الْحَيْنِ حَتَّى تَلْقَى الرَّهَامَ
إِلَى عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ فَيَجِيءَ إِلَى الرِّيَاصِ عَرِيّاً حَيْثُ تَقِفُ الْآنَ ..
فَيَسْلُمُ السِّبْفَ مَعُوداً لِيَصْصَعَ آلَ الرَّشِيدِ .
اِنْتَظِرْ .

أَفْتَدْرِي أَنَّ هَذِهِ الِذِّكْرِيَّاتِ الَّتِي تَسْتَوِي الْآنَ مَائِلَةٌ أَمَامَ نَظَرِي .. قَدْ

ثارت في نفوس الامراء السعوديين أيضاً .. ففسوا أوروبا وأمريكا ..
ولم يعد يملأ صدورهم إلا ذكرى عربيتهم وأجدادهم .. وإلا تاريخ أخيتهم
الدى نادوا به ملكاً .. وإلا حبه الذى لم يعد أيتهم كل شملهم .. وإلا
الفروسية التى حفظت عليهم تقاليدهم .. والإسلام الذى ملأ بالإيمان قلوبهم ..
تأهب يا صاحبي .. للفتاجة الكبرى .. إلى أرى مطلع الحركة
فأحررها ..

تأهب .. إن السماوات العلاء نفسها تتأهب .. قصى الأمر .. وثارت
فى قلوب الأمراء ذكرى أيتهم صقر الجزيرة .. يوم كان يرقص رقصة الحرب
نسيفه المبدى .. فتوقد جذوة الاستشهاد فى قلوب المحاربين فلا يعليه فى
اصحراء ظالب .

وُهبوا ...

أى والله ففسوا عنهم تقاليد الإمارات الحديثة التى لقوها عن أيدى
المريين صغاراً .. وراولوها فى بلاد الخصارة شباناً .. وارندوا إلى أعماق
التاريخ خلصاً أعراياً .



فهد بن سعود

أنظر .. لقد وثبوا كما قلت لك .. وثبوا
بأنفسهم وبنسبهم وبنسبهم فى أيديتهم على
وقع الأهاريج وقرع الطبول ..
بهم يتقدمون على شكل المروحة من
أيتهم ومنكهم ولعرا .. والأجاب يمدقون
فيهم حتى إذا واجه الأمراء أحام سعوداً ..
رقصوا رقصة الحرب التى كان يرقصها
أبوهم وهزجوا وأشدوا ورددت النادية
أحسن أناشيدهم وأهاريجهم . يحبون حيتهم
وأحام كما كانوا يحبون مليكهم وأيامهم ..

يحيون سعوداً . وينادونه باسم الله الأكبر ... فهد ، على عادة العرب :
« أبوفهره بالله عسى عمره طويل يا شيخنا . يا عز نجره ونوره »
ها هي روعة الموقف قد أخذت بالباب الأجاب فاطلقوا يصفقون في
حماسة أدنى إلى الجنون الذي رمتني به ... وها هو الفناء يردد أصداء الخفاف
ترسلها حاحر الأصاف ..
الوقوف قبصل :



فيصل يرقص

تسألني عن فيصل ؟

فيصل أمي ولياً للامهد .. وهو يجلس في وقار إلى جوار الملك .
ها هو ذا بدأ يصفق . أتريد منه حماسة في التصفيق أقوى وهو السياسي
الرصين الذي طوف بالدنيا وأنقذ أساليب الدهاة .. وعرف بعد النظر
وسلامة الأعصاب ؟

أعصاب ؟ يا ويحها الفراسة تتحلى لأول مرة عنى .. ماذا يريد ولي العهد
أن يفعل .

إنه يتنفض واقفاً في شمم .

به يلتقي العباءة بعيداً .. ويطقت إلى الساحة كما كان في ساحة الحروب
يافعاً .. أنه يستل سيفه المرصع بالجواهر .. يستله من صميم البروتوكول
يساعد لعروبة .. ويصرخ في رنير الأسود وعاضفة اخب الموروث ويلعلع
منه الصوت عنى دق الطبول والدفوف يحاطب أحاه مسعوداً والأحوة
يرددون : أبو فهد بالله عسى عمره طويل يا شيخنا .. يا عر نجد وهورها ،
يحيل إلى يا صاحي أن رحاب انصحاء اتسعت لرحاب السماء .. وأن الدنيا
التي يعرفها توارث في صرام عاطفة عن أعينهم .

لله .. لله .. لله

قف .. لا تتحرك أستحلفك .

التاريخ نفسه يتحرك ..

من هذا المتي الذي يحرق في الملك ويدنو
منه .. وما الذي يقصد إليه من هذا الدنو ؟
آه .. إنه الأمير الوزير سلطان بن
عبد العزيز .



لله يدنو من سعود . ويدنو على مهل . سلطان بن عبد العزيز

إله يث وثنة خاطفة . . ثم يتوقف .
 إنه ينحن أمام الملك . . ويقدم سيفاً .
 أريد أن يباركة الملك أم ماذا يقصد ؟
 إن المدعويين يحسون أنفسهم ليروا هذا المشهد المضحك . .
 إن سعودا . . ماذا ؟ دعنا ملتقط بحق السماء أهلب . .



سعود الملك الإمام . . نفسه

إن .. إن صاحب الجلالة الإمام ابن الإمام سعود بن عبد العزيز ..
يهب واقفاً فيقف الخلائق جمعاً ..

إنه يلتقط السيف من أخيه إلقاطاً .. إنه ينحى عنه أردية الملك حياً
إنه بداته يشب إلى الساحة وثأ .. إنه يلعب بالسيف في الحلبة كما كان يلعب به
صقر الجزيرة .. إن سعوداً .. يرقص رقصة الحرب بين الأخوة الأعزة ..
وجنات الصحراء ترنج ارتجاجاً .. بدوى الهتاف وتصفيق الخلائق ..
وتاريخ العروبة يطل هذه المرة وصاء راصياً .. والفضاء يردد هذه الأصدا ..
فقول الأبعاد أو تكاد بين الأرض والسماء ..

وعلا صوت سعود بالغناء ..

أى والله صوت سعود .. وبالأهاريخ والأماشيد .. ولم تردد أهداء
صوته هذه المرة فلوأت وصحارى .. إنما ردها على مسمع السفراء والوزراء
تاريخ الحضارة

أفكست يا صاحبي تريد أن تعدو إلى الطائرة عدوا .. لتبلغ القاهرة
فوراً .. ونحرم هذا المشهد الخالد .. مشهد العروبة تجري مع النمل في عروق
الملك العربي؟ وهلا ترى بعد الذى رأيت أن سعوداً وهو يتوح اليعة
الإسلامية بالتقاليد العربية .. إنما يقول لمصر زعيمة العروبة قبل أن يلعبها
أنه على استعداد لأن يفعل في سبيل الوحدة العربية كل ما يدخل في طوقه
كذلك وكإمام وكعربي؟

الآن نرحب الرياض راضين .

الآن نولى وجوهنا شطر النيل الخيل وملء صدورنا إيمان بما يحويه الشرق
من ثمار التحالف بين مصر التي تزعم .. وبين البيت المحرم .

الآن نستقبل سعوداً في ديارنا وهو المضيف ونحن الضيوف .

الفصل الثالث عشر

ساسة اليوم .

أخيراً يا صاحبي .. بلغنا الهدف المرجو .
ها هي الطائرة .. تهبط بنا في مطار القاهرة ..
وها هي مصر حكومة وشعاً .. تستقبل ضيفها الكبير القادم .



مصر الرسمية تهرع إلى المطار لاستقبال الملك

وما نحن أولاء في الركب الملكي .. شهد ظاهرتين كبيرتين .. قد يكون
لها اتصال بالهدف .

الظاهرة الأولى أن خمسة عشر أميراً من الأسرة المالكة يرافقتون سعوداً .
وفي طلعتهم الأمير محمد ثالث أنجال الملك — بعد سعود وفيصل — سناً

وفوداً .. والظاهرة الأخرى إلى الركب يضم عدداً صحباً من المستشارين السياسيين ومن رجال الجهار لعودى الذى يتحرك فى الساعة العصيبة الفاصلة بحر كادقاً واعياً .. فمادى تعنى هذان الظاهران ؟

أيعنى وجود الأمراء بهذه الكثرة أن من تقاليد هذه الأسرة الحاكمة أن تدرب أسماءها على السياسة الخارجية ومصارفها .. وتعرفهم بالسياسة العرب وأقدارهم .. لا سيما أن الوزارات السعودية لم يكن يليها قبل عهد سعود غير أمراء من بيت الملك إذا استثبتت عداقة السليمان ؟ أم تعنى الظاهرة أن الملك الصيف .. أراد أن يشعر مصر بأنها تؤلف مع مملكته .. مملكة واحدة . فجاء إلى ربيعة بيته الثانى هنا عوطاً بلفيف نابه من أفراد بيته الأول ؟
أى المعنيين على أى حال .. جميل .

أما وجود هذا الحشد من المستشارين السياسيين ورجال الجهار الإدارى والسياسى فى الديوان الملكى .. فدلل — فى الأغلب الأعم — على أن الرجة سياسية ودات شأن .. وأن القرارات التى تتخذ فيها من الخطورة بحيث ينبغى أن يلم بها هذا الحشد لانه من الحاشية المسئولة .. وهذه هى الظاهرة الثانية .



يوسف ياسين

وقد يكون مفيداً أن نعرفهم يا صاحبي ببطرة لا تلفتهم ولا تستقر طويلاً على أحد منهم .. فتحن كما تعرف معنيون بالسياسة أكثر من عابثي السياسة .. ولكن نظرة منك تترك أن فى مقدمة الحشد السياسى السورى المحضرم يوسف ياسين مساعد فيصل ابن عبد العزيز .. وتركك أيضاً السيامى المصرى القصير القامة مساعد صقر الجزيرة من هلال النهضة .. حافظ وهبه .. وتركك



عبد الرحمن الطيشي

عبد الرحمن الطيشي ناظر خاصة الملكين
عمرًا .. وترك سليمان اخذ تليذ عمه عبد الله
السليمان .. كما ترك رئيس الديوان عبد الله
ابن عثمان .. ورشدي ملحق رئيس الشعبة
السياسية في الديوان .. وعبد الرحمن الحميدي
رئيس المكتب الخاص للملك وعبد الله بلخير
السكرتير الخاص للملك .. ينتظر هؤلاء
جميعاً هنا حشد آخر من الملك السياسي
المعروف لنا .. كعبد الله الفضل السفير الطيب
الحادي .. الذي يلوح بسيطاً وصريحاً ..
ولكنه يسجل في المهارة رقفاً قياسياً يفاجأ به

الملك السياسي دائماً .. ويفقد في صبر وصمت
سياسي عبد العزيز وسعود .. ويملك هو
الآخر جهازاً طيباً من معاونين أكفاء .

عبرناهم يا صاحبي ...

وبعد ؟

نسال : وبعد ؟

إن شئت الصراحة فالجواب قد

لا يروقك ..



عبد الله الفضل

إني ألمح في الاتصالات التي بدأت تجري .. وفي الأحاديث التي بدأت
تدور .. جلالاً يحتم على أن أعتذر لك .. من عدم استطاعتي بدءاً من
الساعة مصاحبتك .

فدني هذه المرة وجيداً .. وسأردد عليك القصة محمداً .. والسياسة

مبسوطة .. وسترى عند ما أعود إليك .. مملكة السعوديين موروثه .
تقول إنى سأفقد طلاوتى إذا لم تصاحبى .. وأجادلك وتجادلى .
قد يكون .. ولكن الذى أحرص عليه .. ألا أفقد أهدافى ..

إن هذه الأيام العشرة التى يقضيها سعود فى مصر أيام تاريخية من غير
شك .. وسألتى كل دعوة توجه إلى .. وسأرور قصر الطاهرة أكثر من
مرة .. وقد أجد محدثى القديم موجوداً بين المستشارين .. أو قادماً فى
الطريق .. أو هابطاً من شاطئ .. المهم ونحن الساعة فى العشرين من
مارس .. أو آذار .. أن نلتقى فى التاسع والعشرين لنودع الملك ونبدأ
الحديث من جديد .

بعد المرحلة :

تسألنى الآن عن قصر الطاهرة .. والأيام الذهبية العشرة .. وتسألنى
أن أبر لك بالوعد وأفنى إليك بالمجمل ؟
لك هذا .. كان القصر يا صاحبي خلية عريّة هادئة لا يعرف الطنين
سبيله إليها .

وكانت الأيام العشرة غنية .. أغنى بكثير من عشرة شهور ولا أبالغ
وأقول : من عشر سنين .

والقصة وما فيها كبيرة .. إلى الحد الذى يعجزك تصويره .. عريضة
عرض الآمال التى تعلقها السياسة السعودية على مصر .

هذه السياسة .. ماذا تريد ؟

جاءت هذه السياسة السعودية إلى مصر تسعى أول ما تسعى إلى تعرف
حقيقة كبرى .. هى استعداد القائمين بالحكم لإدراك أهداف السعوديين ..
وخرجت السياسة السعودية من هذه الجولة مطمئنة .. إلى أن حكومة

مصر تدرك تماماً أهداف السعوديين .. وإلى أن لحكومة مصر من الآمال المعقودة على الشرق كله ، من أقصاه إلى أدناه ، ما قد يدعو الأهداف السعودية إلى التماس المزيد من المرونة .

وقال ، محدثي ، وما أخرجني الساعة إليه — إن أحد المستشارين قال لبلاتك مارشاً بمصعب على أحاديث مصرية سعودية ذات شأن : (ولست أعطيك ربك فترضى) فصحح الملك طويلاً .. وتبين أن سعوداً كان قد رسم وهو في الرياض الخطوط العريضة التي ألقاها مرسومة في مصر .. ولكنه تخشى أن يشير إليها حتى لا ترمى السياسة السعودية بالإسراف في المثالية ، فما ألقاها مرسومة .. اكتفى بأن أقرها .. ولم يشر إلى أنها أمانيه الشخصية .. ومن هنا كانت مزحة المستشار للملك

ماداً ثريه هذه السياسة "

أما أن تسألني يا صاحبي : ماذا تريد هذه السياسة ؟ فالسؤال على هذا الوضع لا يجاب عنه في مصر .

وفي وسعك أن تسأل : ما الذي تريده اليوم ؟ وما الذي تريده عدا ؟ وما الذي تريده بعد غد ؟

أما اليوم فالسياسة السعودية تريد من مصر أن تنسجم زمام القيادة في حكمة وحرم .. وأن تبدأ مهمتها على الفور .. وأن توحد بين دول الجامعة العربية توحيداً قنبياً صريحاً وصادقاً . وأن تأخذ بسياسة التفاهم الشخصي والمواجهة .. وأن تقسم هذه الأعباء بين الدول الأعضاء . فما يرحح فيه سعود نفسه .. سيقدم عليه في غير تردد .. وما يصلح له حكام مصر يقدمون عليه في غير تردد .. وما يصلح فيه الرئيس الثاني أو غير الثاني بعد الجانبان — المصري والسعودي — على إقناعه بالقيام به .

والنص الأول — كما تراه السياسة السعودية — هو الخطي الجريئة

من جانب مصر في الإقدام على تطهير أراضيها أولاً من المستعمر لتطلق يديها
ثانياً في النهوض بشقيقاتها .. والتضحيات التي تحتفلها مصر في هذه الحاجة فمن
لا يدمه للزعامة التي تباع بها من شقيقاتها .. والسعوديون على استعداد
للمساهمة في هذه التضحيات بكل ما يدخل في مقدورهم .

تقول إنني أضرب بك في تيه من التعميم ولتجهن ؟

كلا يا صاحبي .. فهذه الحاجة لا تحتل تجهيلاً ..

يرى السعوديون - ومصر ترى معهم نفس الرأي - أن التعليم مثلاً
يجب أن توحد برأيه فوراً .. وفي الدول العربية جميعاً .. وأن تكون البرامج
المصرية هي أداة هذا التوحيد .. وأن تكون الكتب الدراسية التي يدرسها
طلاب الابتدائية مثلاً في مصر هي نفس الكتب التي يدرسها طالب الابتدائية
في كل مكان في لشرق العربي .. ولا يخفى لأن يقال إن التعليم متقدم في مكان
ومتأخر في مكان .. فاللد الذي لا يوجد فيه تعليم ابتدائي حديث - كأمين
مثلاً - يمكن أن يبدأ فوراً بإيجاده كما سى* به في ليبيا الناشئة .. والمؤسسة
الثقافية العربية التي تنشأ للإشراف على توحيد التعليم في البلاد العربية كفية
« كيونسكو عربي » ، سد الثغرات جميعاً متى أحسن تأييدها من أعضاء هيئ
وواعين يمثلون مجموعة هذه الدول .

ولكن .

ومع أن السعوديين يعلقون أهمية كبيرة على هذه الحاجة فإن لهم رأياً في
« التنفيذ » يحسون أن بدوه في غير تحفظ .. وهو الرجا. المفقود على مصر في
أن تسخو على لبلاد لعربية ببعثات المعلمين محاء مفرونا بالنصحية والإيثار ..
وحس الاحتيار .. لأن لبلاد المتأخرة ثقافة لا تطلب مائة معلم يعدون
بالأرقام أو بالأجسام .. إنما تطلب مائة من خلص المربين .. يدركون أنهم
لا يعلمون تلاميذ فقط .. إنما يوحدون تعليمها . ويخلصون للعروبة جيلاً .

ويؤدون رسالة بعيدة المدى لحضارة عربية مقبلة .. وإذا كانت بعض بلاد العرب قد شكت أحياناً من تخلف شعوبها أو استئامة بعض هذه الشعوب للمستعمر أو للحتل .. فالفرصة سانحة ندماً من اليوم لخلق الجيل العربي الحر الذي لا يقبل الدل ..

وحكومة مصر تؤيد هذا الرأي وهي مستعدة للهوض بالعبء على مابه من نقل .. لأنها تدرك إدراكاً بعيد الغور .. أن خلق جيل عربي .. ينشأ على براعم واحدة .. وبطالع في كتب موحدة .. ويفكر بطريقة واحدة .. مؤد حتماً إلى وحدة في الشعور .. بحيث لو انبعثت صرخة من أقصى التين .. رددتها جناب مصر وليبيا في أقصر المدى .. وخف لنجدة الصارح كل عربي في لبنان أو سوريا .

وه الوحدة العربية ، لا تعني الوحدة السياسية وحدها .. ولا تقوم عليها .. إنما تعني أصلاً وقبل .. وحدة الشعور .. ومحال أن يتوحد الشعور في اثنين .. إلا أن توحدت طريقتا التفكير فيهما .. فتم التفاضل والتلاقى بينهما .. فانبعث الشعور الموحد من تفاهمهما .. فتعاون الاثنان على الهدف بالعقل والمباطفة معاً .. وهذا التعاون على الأهداف هو د الوحدة السياسية ، بل هو عين د القومية العربية .

وقد قيل لي يا صاحبي — وأسعدني هذا الذي قيل — إن التكتل العربي الذي يراد لمصر سياسياً أن تزعمه سيقوم أول ما يقوم على الوحدة الثقافية التي حدثتك عنها .. فإن صح هذا الذي قيل فد أبشر .. بلغة المعوديين .. لأن من المؤمنين بهذه الوحدة .

وقفط .. :

تقول : د وقفط ؟ ، أى فطط تعني ؟

تعني أن تسأل : ألم يتفق على غير التوحيد في طرق التعليم ؟

كلا يا صاحبي .. أنت إذن لم تفهمني بعد .. لأن اتفاقاً نهائياً على أى

الطرائق لم يتم ولم يتم .. لأن الملك السعودي والمستشارين ليسوا خبراء ،
أو فنيين ، في التعليم أو غير التعليم .. إنما هم خبراء بالعروبة جاءوا ليقوموا
لها بناءها العالي .. وإنما أضرب لك مثلاً بالخطوط العريضة التي رسمتها
المحادثات التي جرت .. لتدرك أن السياستين المصرية والسعودية لا تريدان
وهما تتحدثان عن الكتلة العربية ، في هذه المرة أى إنشاء أُنيق ..
إنما تواجهان الحقائق عارية .. لتجنى النوايا صادقة .. ولتخطو كل منهما
حضاها سافرة جريئة .

لقد مست أطراف كل ناحية من نواحي النهوض بدول العروبة
ومقومات الوحدة العربية المرجوة .. ومن تأليف شركات الملاحة
العربية والاشتراك في إنشاء الأساطيل .. ومن السياسة السمة المشددة
في انتقال رؤوس الأموال بين الدول العربية .. ومن موضوع توحيد العملة
وأخيراً بحث موضوع التعاون العسكري الصادق بين دول الجامعة .. وتعهدت
مصر بإيفاد بعثاتها العسكرية إلى أرجاء البقاع العربية .. تمهيداً لتوحيد النظام
العسكري بين الجميع .. لتؤلف جيوش الدول العربية أخيراً جيشاً واحداً
أو موحداً .

لقد بلع اهتمام سعود بكل صغيرة وكبيرة تمس العروبة ومصر الزعيمة
أن التفت وهو في القاطر الخيرية إلى السيد فتحي رضوان رئيس بعثة الشرف
الذي يرافقه وأعرب عن دهشته أن تكون مصر هكذا ويسافر أبناؤنا إلى
أوروبا (أى أبناء السعوديين) ولست أعنى وأنا أحيطك خبراً بمجمل
ما قيل لي بأن أفضل لك كل ما قيل .. إنما أردت أن أقول لك أن الملك
سعود أراد من زيارته — أول ما أراد — أن يدعو مصر إلى تسلم زمام
القيادة تسلياً سريعاً وحازماً .. لأن الأحداث لم تعد تسمع بالبطء .. والشرق
العربي في حاجة إلى النهوض السريع .. والضمان الجماعي نفسه .. الضمان
الذي يراد له الآن أن يخرج إلى حيز التنفيذ على عجل لا سبيل إليه إلا مان

تخطو مصر الخطى المطلوبة منها كرمجة .. فيسافر زعمائها إلى كل مكان فيه خلاف يتطلب تسوية .. ويثبون إلى كل قب في جفوة تتطلب ترصية .. ويسربون إلى كل صدر يملأه الشك ليملاؤه ثقة .. وإلى كل عقل فيه التواء ويتطلب تقويماً .

أريد أن أقول لك إن سعوداً صاح مصر بأنه إنما يحيى — أول ما يحيى — ليعلى قيام محور ، القاهرة — الرياض ، وليتعاون طرفا المحور على أن تنضم إليه دول الشرق العربي . نفس الروح الذي ارتضاه الطرفان روح الصحة والابتشار .. وتعهد الملك سعود من ناحيته بأن يصرب للصحة كل من يمكن أن يصرب . تعهد بأن يزور إمام اليمن .. وبأن يزور الأردن . ولن يتردد في زيارة أى مكان تغلغ فيه الربرة وتثمر انتصحية .. وتعهدت مصر أن تزور لبنان . وأن تزور أمين شمه ليردته لها .. وأن تزور كل مكان تغلغ فيه الربرة المصرية وتثمر الصحة .

وتخرج يا صاحبي من هذا المجلد بأن محور ، القاهرة . الرياض ، قد قام فعلاً .. ولا رجعة فيه ولا انكاس له أبدأ .. وفي القاهرة والرياض أكبر الإمكانيات في الشرق كما لا بد أن تعلم . وفي مصر كهيئة سياسية لا يكرها عرق .. وفي المملكة السعودية ثروة روحية يعبو لها وجه كل مسلم .

تقول : والسودان ؟

لفتة بارعة منك يا صاحبي . لكن أوجه "شمه" التي كانت قد جالت بمخاض يوم هضت بالصائرة في مصر بور سودان هي التي حملتني على هذا السؤال . وجوابي أن السودان لم يحتل بحثاً .. إن محور ، القاهرة — الرياض ، إنما هو في حقيقته محور ثلاثي لك أن تسمه في أوجدان ومن غير داع إلى الإعلان — محور ، القاهرة — الخرطوم — الرياض ، .. كما كانوا يقولون أيام الحرب العالمية الأخيرة : محور ، طوكيو — روما — برلين ، مع الفارق الكبير بين أهداف التحرر وأهداف الاستعمار .. ومع الفارق الكبير بين دعة الحرب ودعاة السلام .. ومع الفارق الكبير بين الوثنية

في التفكير الناري ولفاشي .. والروحية في التفكير العربي والإسلامي .
السودان يا صاحبي الرثة الأولى أو العين النيمي لعملاقنا الإنساني أول أسرار
الديا حصاره وثانيها طولا .. فما محل أن يوجد بيننا هذا النيل ثم تحدث
عن الوحدة ؟ والسودان يا صاحبي يسبح تلقائياً في براعم التعليم وطرائق التفكير
نبح أخته مصر . ومصر توليه في عهد هذا الجديد من الرعاية أكثر ما تولي
بها .. وسياسة السعودية تعرف هذه الحقيقة .. وترى في الإتصال التجاري
الجارى بين جدة وبور سودان .. أو بين المملكة العربية والسودان . نوعاً
من الإتصال بمصر أشبه ما يكون بالإتصال بين جدة والسويس .. والسياسة
السعودية إذ تعدد أوجه أشبه بين مصر والمملكة العربية إنما تسجل في حسابها
لسودان . وقد تعرف بعد حين .. أن تطرّب إلى السودان تجاور الحدود
الجغرافية الحالية له . إلى نقاع أفريقية مسلمة .. وأفريقية غير مسلمة يعدها
السعوديون ضمن الحدود السودانية لئى أرادها الله وحاربها المستعمر .. بل
أذكرنى أحد المستشارين مرة بسياسة قديمة لحمل الدين الأفغانى يوم ر . إلى
تحرير مصر عن طريق تحرير السودان أولاً .. رأى أن يركز قواه في إحراج
الإنجليز من السودان بمساعدة الثورة المهدية وماصرت .. لتثقل الثورة
طبيعياً إلى الشطر الشمالى وتخرج الإنجليز من مصر . وقتئذ للاستيلاء
السعودى ونحوه في قصر الظاهرة : د يحيل إلى أن مصر الحديثة حطقت
نفس النظرية في جوهرها فبدأت يائارة السودان على "البريطانيين وأرجأنا
نحن ثورتنا .. ومكنا لسودان دولياً من اتفاقية تحقق خروج الإنجليز منه
قل أن يصل نحن إلى مثل هذه الإتفاقية .. ألا ترى أننا لم سعد كثيراً عن
رأى الأفغانى ؟ ، وصحك المستشار السعودى طويلاً .. ووصف هذا التخريج
بأنه "تخريج شيطان" ، وإذ فلا تشع نفسك بالسودان يا صاحبي .

تقول : والجامعة العربية أين مكانها ؟

ما هذا لسؤال يا صاحبي ؟ الجامعة العربية تنظر نتائج هذا المسعى ..

الجامعة ليست إلا البوتقة التي تبلور فيها هذه الجهود وما أراد لها أحد قط غير هذه المهمة .. الجامعة العربية وحدها .. يكفيها — على كل ما لاقت وعانت — أنها ما تزال على قيد الحياة .. حسنا من هذه الجامعة أن رمى الإنجليز من وراء وجودها إلى تضليل الشرق العربي عن كفاحه الشعبي والجدى .. فاستناع وعيا القوى أن يحرص عليها وأن يلوّح بها .. وأن تظل قائمة حتى يجيء الوقت فكسو عظامها لحا .. ونجى في عروقها دما .. (وتنصر فيه بمهمتها) . وسعود من عبد العزيز إنما يجيء لينقذ فيها من روحه .. ولينمك لها من هذه المهمة .. وهو يرى أن مصر بالرعاية السياسية تستطيع أن تعدو خط الدفاع الأول عن العروبة .. وأن المملكة السعودية بالرعاية الروحية تستطيع أن تغدو خط الدفاع الأول عن الإسلام .. وأن الجامعة العربية بالمهام التي تنتظرها تستطيع أن تتلقى الرماح أحيرا .. وتحشد جهود المملكتين معاً في مظنة دولية ذات شأن .. شأنها شأن منظمة الأمم المتحدة مع الفارق الكبير الذي تعرفه بين المتطمطين .. ومع الاستجمام الطبيعي الذي لا بد أن يقوم بين دول العروبة .. والاصطدام الطبيعي الذي قام وما يزال بين دول المعسكرين في هيئة الأمم .

والولايات المتحدة :

تجب أن تذكرني بنصوري القديم للوحدة العربية مصبوبة في قالب هيدرالي أو ولايات عربية متحدة ؟

ماله هذا لنصور ؟

تري أن السعوديين لم يتصوروه ؟

أبدأ يا صاحبي .

أنهم أكثر تصوراً له مني ومنك .

إن الوضع الطبيعي للمملكة العربية كآف وحده لتذكيرها بهذه الأمانة الحية ..

ضع خريطة شبه الجزيرة أمامك وأنت تفتتح .. كهل باصمحي ..
بل انظر إلى غموض كتابي لتترك سر مجيئه في صورة خريطة .. خريطة
مبسطة ماثرة نضاف إلى رمزك معنا فيها

إن النزاع على واحة البوريمي .. بينها وبين إنجلترا .. كاف وحده لخلق
هذا التصور .

تقول إنه البترول .

لا تصدق يا أخي .. ولدى إنجلترا بترول الكويت .. وبينها وبين
أمريكا وحدة بترولية لانضمام لمرأها .. وما كان أغناها عن بترول
محتمل الوجود في بقعة صغيرة كالواحة .. أو ما كان أولأها — أي
إنجلترا — بمنازعة الألمان الذين يبحثون عن البترول في اليمن .. والأمريكيين
الذين يبحثون عنه في صحارى مصر .

إن المملكة السعودية تعلم علم اليقين أن إنجلترا ، المستعمرة ، هي التي تريد
السيطرة على الواحة . لأنها ملتقى القوافل الداهية إلى الجهات الأربع فهي
موقع استراتيجي على شمال الخليج الفارسي وعلى الطريق المؤدى إلى مسقط
في الشرق وإلى محميات عدن في الجنوب والعرب بل هي قواعد حرية مقطوعة
النظير تسيطر على الطريق — وما الخطر — المؤدى رأساً إلى قلب نجد
أو هي سهم مصوب تماماً إلى قلب الرباض .. وتملك الإبحار لها على ضآلة
شأنها سكاناً وعمراناً يجعل المستعمر قابضاً في أي وقت يشاء على المافز إلى
شبه جزيرة العرب كلها .. ومن عجب أن الصحافة العربية اسأقت كلها إلى
تعليل النزاع بالبترول ولم أجد على صفحاتها إلا مقالا واحداً لكاتب واحد
أشار مرة إلى أن النزاع استراتيجي واستعماري .

وفي وسعك يا صاحبي أن تقرر وأنت آمن عقبة المبالغة أن اهتمام سعود
ابن عبد العزيز بواحة البوريمي الصغيرة لا يقل شأنًا عن اهتمام مصر بفاة

السويس . . ومن هنا يلتقي سعود معاً في المحطة وإن كانت سياسة جلالة
تمن إلى تهوين من الأمر لا أكثر من اعتبار ورجاء حل العقدة في هدوء وعلى
الرمس . . وحين حثول آخر .

تريد أيضاً أن تفهم هذه الاعتبارات ؟

صدقني أني غير مهم بها تفصيلاً ولكن الذاكرة تعودني هنا إلى «محدثي»
لقديم وجلسات جدة - وما أخرجني إليه في كل بحوثي فأذكر أن
السياسة السعودية ترى أن وضع الوريث في حط الهجوم الأول . . قد
يساء فهمه عند بعض الشعوب العربية فتظل أن معنت اهتمام سعود بمحاربة
المستعمرين يرجع إلى غصه عليهم من ناحية «لوريثي» مع أن الواقع يفي هذا
الطل . . لأن أمر الوريثي يمكن إرجاؤه عشرات الأعوام مادام لسلام
قائماً في شبه الجزيرة . . وتحرير الوريثي وحدها لا يحرر المحميات ولا يحرر
مسقط ولا يحرر عدن ولا يحرر الساحل الهادي - وأهداف السعوديين طرد
المستعمرين من شبه الجزيرة كلها لا من الوريثي وحدها . . بل طردهم من
دول لعروبة جميعاً . . ثم لانس أن الهدم - دة لتاح لبريطاني أفلتت
من بريطانيا فاهارت أمراطوريها ولم تعد تحشى على طريق الهدم عن يصع
يسه على لوريثي كما حشبت على هذا الطريق من مصر يوم بلغت قواتها
واستولت عليها في أيام محمد علي الكبير فحاكت له بريطانيا ما قوص فتوحاته
ورده إلى حدود مصر . . والياً متواضعاً .

تساءل : إذن ما سبب اهتمام بريطانيا بالوريثي ، وهي مسيطرة على عدن
ومحمياتها ، وساحل الخليج الفارسي ، ولها سلطانها السياسي ، والبترولي على
الكويت ؟

وجوابي أن الوريثي كما قلت تسيطر على الطرقات المؤدية إلى هذه البقاع
واحتفاظها هذا الساحل له كل الأهمية من حيث قربه من كينيا الشائرة
وأفريقا التي تغلغل الوحى فيها وأحسبك تعرف أن بريطانيا تحمل الآن ياقامة



الملك سعود يستجمع إلى سكرته - عبد الله ملحق وهو يتلو عليه الرقية

بجدها الإمبراطورى بعد أن انهار هذا المجد فى آسيا . . وهذا الساحل خط
دفاع عن هذه الامبراطورية التى تعلم بها وعدن مركز تموين لأساطيلها بل
لا ميلل لروميا إلى الاستيلاء على إفريقيا كما قال الكاتب المقنع إلا عن
طريق الخليج الفارسى والبحر الأحمر . . ونقول نحن إن البحر الأحمر شاطئه
المصرى ثائر ولا بد أن يتطهر منهم . . وشاطئه السعودى متحرر . . فلا أقل
من الاحتفاظ منه بعدن ومحيطاتها والخليج الفارسى تسيطر فيه على مسقط
والكويت والبحرين وما جاورها وأحسبك الآن قد أدركت قصة البورى
وسراهم السعوديين بها .

ألسنت ترى الآن حاجة شبه الجزيرة إلى اتحاد ، ولاياتها ، .. بعضها مع
بعض على الأقل . . وبأقصى السرعة وفى أقصر المدى ؟
تريد أن تقول : « كلنا فى الهم شرق » ؟

قلها ياميدى ولا ضير . ولكن تذكر أنى إنما أحدثك ها عن سياسة
اليوم ، لا عن سياسة العدم ، وأكبر دليل على أن السعوديين مدفوعون إلى
أهداف أبعد مدى من البورى . . أنى سأحدثك حالا . . عن السياسة
الدولية للمملكة السعودية . . والتقاءها فى هذه الساحة بالسياسة المصرية . .
لتدرك أن مصر الزعيمة والمملكة العربية المدركة لكل الأوضاع إنما ترميان
إلى تكتيل الشرق كله . . وإلى استرداد زمام الحضارة التى أفلتت منه
فاستند به الغرب كل ذلك الماضى الطويل المحزن .

ملك الحديث . . أم عمق ؟

عمق . . إذن فاسترح واستردد أنفاسك .

الفصل الرابع عشر

سياسة الغد وما بعد الغد

إني أدرك أنك مشوق إلى استطلاع رأى السعوديين فيما نسميه :
« سياسة الغد وما بعد الغد »

وأحب لصاحبي أن يكون قد اقتنع معي بأن سياسة السعوديين في عهد
سعود .. تزن دائماً إلى الألف .. وترى دائماً إلى بعيد .. وتحلم دائماً بالغد ..
ويخيل لي أن وصول الملك إلى القاهرة كان يعنى أن المملكة السعودية
طوت خريطة الجربة وأن مصر طوت خريطة الليل .. وأن الشقيقتين
بسطة أمامهما أو بينهما .. خريطةين أخريين .. أوسع رقعة وأشد هولاً ..
خريطة الشرق كله أولاً .. ثم خريطة العالم كله أخيراً .

وقال محدثي مرة أن بعض السياسة السعوديين — من المتفائلين — يرون
أن في وسع الشرق المظوم المؤمن بالغد وما بعد الغد (ومن غير حاجة
للحروب من عالم الواقع إلى عالم ويلز ، المتخيل) أن يرسم على خريطة العالم
خطاً .. ويجعل فوقه « المعسكرين المتنازعين الشرق والغرب » ..
ويجعل تحته « شرقاً المظوم .. المظوم فيه .. المعتدى عليه » .. ويجعل ضمن
نصفنا الشرق أجزاء من النصف الآخر .. تضم صلوها على حقد يستعر
استعاراً .. ويتأجج ناراً .. على « الظالم .. والطامع .. والمعتدى »

تسأل : إن كان هذا رأى سعودى خصب الخيال أو رأى المملكة التي
نضعها في الميزان ؟

مدى على صاحبي .. أن هذا البحث أثير على نطاق واسع هناك ..
وفي قلب نجد .. وبأمر من سعود وتحت إشرافه .. وباشتراك السياسى الكبير

فيلصل بن عبدالعزيز والمستشارين السياسيين .. وجاء الملك إلى مصر .. فأنار
نفس البحث .. وباركته مصر

تقول إن هذا البأ يمكن لك كعربي من أن ترفع رأسك ؟

مرة أخرى أقول لك : ارفع قلبك . قبل أن ترفع رأسك .. ارفع
قلبك وحاول أن تصدق أن السياسة السعودية الموضوعية خطوطها من أيام
عبد العزيز .. تريد أن تجاوز على يدى سعود دائرة البحوث ..
إنها سياسة مؤمنة بالله والحق ولا ترهب حتى قوى الدرة ..
تبتسم ؟

أعتقد أن هذه الانقسامات تسمى إلى رأييك .. وحين أن تموت فوراً
على شفتيك .. لأن لا أعني أن سياسة السعوديين يستحقون بالسلح الدرى
على طريقة علماء ببح القدائى . أو بقوة لبحر والتعاويد .. كلا يا أخى ..
إنهم يرون أن سلاح الدرة سلاح ناه ومفلول فى أيدي المعسكرين الشرقى
والغربى . لأن فى أيدينا نحن الشرقيين أن نجعله يتغلل ويتشم . قد يهولك
الرأى لأول وهنة ولكنهم يرون أولاً أن أى المعسكرين لا ينفرد بملكيتة
حتى يحشاه المعسكر الآخر .. ويرون ثانياً أن كلا منهما يدرك تماماً أن
الانطلاق فى استخدام هذا السلاح مؤد حتماً إلى الفصاء عبيهما معا ..
ويرون ثالثاً أن هذا السلاح يمكن أن يغدو جباراً وشاراً فى حالة واحدة
عندما يتصارع به المعسكران على أرض غيرهما .. أو على التحديد عندما
يستخدماه فى ميادين الشرق أو على قارتى أفريقيا وآسيا

وهذا السلاح الفتاك فى أيديهما بقاله سلاح أشد فتكاً فى أيديا .. لو
أنا عرفنا كيف نستخدمه ليقل سلاحهما ويتشم .. سلاحاً ياصاحي — وهو
رأى سعوديين والمصريين معاً — أن نجلب الشرق أن يكون ميداناً
لصراعهما . وأن يتعاون نوه — من أدناه إلى أعلاه — على أن يقيموا منه
كتلة حيادية تسيطر إحدى ذراعها على المحيط الأطلسى وتسيطر الأخرى

على المحيط الهادى .. وتقيم من نفسها حارسة للسلام العالمى يؤيدها من شعوب المعسكرين نفسيهما خلائق كثر من المسلمين والمسيحيين الذين يهرون بقلوبهم دائماً إلى مكة والقدس .. وخلائق كثر ممن حرت الحرب الأخيرة دورهم وقصص على فلذات أكبادهم .

ترى أن هذا هو عينه ، المثالية ، التى تجعل بأسلوب داتق ووجهة المعرى ولا تجعل بأسلوب كاتب مثلى يعرض للبحث السياسى . ولا تجعل يبحوث جادة تساهم فيها مملكتان ناهضتان كمصر والبلاد السعودية ؟

شيئاً من الريث يا صاحى وأنت تدرك أن هذه الأمانى ليست ، مثاليات ، أبداً .. وإنما هى ، سياسة الغد وبعد الغد ، السياسة التى يسميها الباسة « بعيدة المدى »

ولكى نحدد البحث بحسب أنه نسأل عما الذى يريده المعسكران وما الذى يريده نحن ؟ وما الذى يستطيعانه أنه يفعموه وما الذى نستطيعه نحن ؟

يريد كل معسكر مهما أن يسود العالم بظلمه .. فتهاجم الرأسمالية ، أو تنهار ، الشيوعية ، وكل نظام من الظالمين سائد فى مكانه .. فالشيوعية قائمة فى روسيا ومستقرة .. وقائمة فى البلاد التى تدور فى فلكها أو داخل أسوارها ويستوى أن تكون مستقرة أو غير مستقرة .. والرأسمالية قائمة فى إنجلترا وأمريكا ومستقرة .. وقائمة فى البلاد التى تحالفها أو تقع تحت سيطرتها ويستوى أن تكون - أى الرأسمالية - . مستقرة أو غير مستقرة .

وهدف كل منهما إذن أن يسود نظامه الفارتين الكبيرتين .. أفريقيا وآسيا .. وأن يتصارع المعسكران على أرض هاتين القارتين .. ولم يفاز منهما حتى إخضاع الأفريقيين والآسيويين .. وحقق الاستيلاء على حقول البترول والمطاط .. وما ظهر من المعادن والثروات وما لم يظهر .

هذا ما يريد المعسكران .. ويستوى عندهما في ميزان الطمع أو الطموح
أن يشقى الإنسان أو يسعد ..

فما الذي نريد نحن . أو ما الذي نراه حيال هذه الحقائق ؟

ترى السياسة السعودية يا صاحبي أن الشرق العربي يستطيع — في أسر
وشيء من بعد النظر — أن يقيم في وجه هذه المطامع كتلته الحيدة ..
مؤمنة بهذه الحيدة إيماناً . يدرك منه أى المعسكرين أن محاولة الرح بها في
الحرب هو بمثابة اعتداء . عليها .. وأنها لن تؤمن ظهر المعتدى الذى يتحد
من أرضها ميداناً .. إذا لم نستطع أن توجه إلى هذا الطهر طعنة قاتلة .

والشرق العربى المعنى هنا هو الملى رمام الرعامة فيه إلى مصر .

وترى لباستان السعودية والمصرية أن في آسيا الآن كتلة أسويه قوية
تزع مصر العرعة .. فلا محل لأن نطل إحدى لكتلتين غير متعدوة مع
الأخرى .. وأن الخير في أن نسعى إليها أو نسعى إليها .. ولدى ها
أكرم .. ومعنى الكتلة التي تزعمها الباديت نهرو .

وترى السياسات السعودية والمصرية أن كراهية الشرق للاستعمار تجمع
يساوين الكثيرين من غير الآسيويين كالكتلة اللاتينية الأمريكية .. وكأى
شعب يناص الاستعمار أو ذاق في الماضي مرارته أو يحشى منه عى مستغله ..
وليس أمر عيانا الجديدة وزعيمها السجين بحاف على أحد ..

وترى السياسات السعودية والمصرية أن المعسكر الشرق به يرتدى
مسوح السود عن حرية الشر ضد طغيان المستعمر .. وفي وسع الشرق
العربى أن يستفيد في مساعيه إلى التكتل بمزاعم هذا المعسكر .. وقد ظهرت
بواذر تأييده لنا فعلا في منظمات هيئة الأمم .. وفي أكثر من موقف ..
وكما نفيد من خبراء أمريكا أو عليها أو صناعاتها أو أموالها إذا لم تفس هذه
الاستفادة حوهر استقلالها وحرراتنا .. وجب أن نفيد من روميا ومثاليها

الصحيحة أو المعروفة كل ما قوى كتنلتا ويوطد أقدامنا ويعاون صراعنا
التحررى ويؤكد استقلالنا المتشدد . .

والسياسة السعودية والمصرية لئلا من العجلة بحيث نطمان أن ما تعرفانه
من قسوس السياسة يحق على سياسة المعسكرين . . إنما تستخدمان من السياسة
كما يسمى أن يستخدم . . ونستعان لضرورة الملجئة لكل معسكر إلى التماس
صداقتنا ستقضى ثم هذه الصداقة . . تأييداً سياسياً أو عوناً اقتصادياً . .
أو أسدحة حيث يجد إلى الأسلحة سيلاً . . والسياسة السعودية والمصرية
لا تريان في هذا اللون من التفكير خيلاً أو أحلاماً كما يحيل إليك يا صاحى !
نقول كيف :

ولم تتعجب . . وكل ما سأرويهِ لك ها من البيانات التى وقفت عليها
ومن الفكرة التى كوتها فيه أكثر من الجواب عن « كيفات » عديدة . .
لا عن « كيف واحدة »

نحن إذن أمام هدفين بن أضف ها هدفاً ثالثاً . . أمام كتلة عربية
محيطة بقبها على أرض الشرق الأوسط . . وهى فى متناول أيديها لو صحت
عزائماً وصفت قلوبها وبدد الإشراف الحديد كتابت الظلام الراس من
أجبال فى محقولنا . . وهذا هو الهدف الأول .

وأمام كتلتين متعاونتين — عربية وأسيوية — وهما ما نعنهما من
« سياسة العد » ، ويستطيع محور « القاهرة — الرياض » أن يقوم بدور كبير
ومسمى موفور فى إقامة هذا الصرح المرد من الحياض الفعال الذى يعمل له
المعسكران حساباً أى حساب . . وهذا هو الهدف الثانى .

وأمام كتلة شرقية من المحيط الأطلسى إلى المحيط الهادى تضم أنما مكافئة
مثل كينيا فى أفريقيا . . وتضم أنما محاربة للمستعمر مثل الهند الصينية بن قل
ها ولا تخف مثل الصين التى تحارب المستعمرين من وراء ستار « الفيتميين »

والكوريين الشماليين ، فإذا قامت هذه الكتلة الشرقية — في الواقع لا في الخيال — فالحظ الوهمي الذي يفصل بين الشرق والغرب أو بين الشرق والكتلتين المتصارعتين يكون قد قام .. ويكون للعسكريين المتنازعين حق الصراع . مدأ ، على أراضيها ليفتي كل منهما الآخر برغم إفلات . الصيد ، المتنازع عليه منهما .. أو يكون لها أن يعيشا جنباً إلى جنب وسود الأرض سلام طويل يقول تاريخ الوجود .. لم ينجى . إليه من المولد .. أن الشرق كان صاحب اليد الطولى والأولى في استتباب هذا السلام على الأرض .. فلا يصل الناس الطريق إلى مجد الله في السماء .. وهذا هو ما نريده نحن .

بقى أنه نساء ما نرى يستطيع العسكرية أنه يفعله .. وما الذي نستطيع نحن أنه نفعله ؟

وفي اعتقادي أن البحث عما يستطيع أن يفعله العسكرية غير مجد .. لأنها لا يدحرا جهدا يدخل في الطاقة .. ولأن جهدهما مبدول فعلا — ونحت أعينا — وإلى أقصى المدى .. ولأن كل ما يجري الآن على ظهر السبطة من حرب باردة فوق أرضهم أو ساخنه في أرض الآسيويين وكينا والمغرب وكل بلد مجاهد ، يدخل حتما ضمن ما يستطيعان أن يفعله

أما الذي يجدي حقيقة .. وأما الذي جاء بسعود إلى مصر .. وطار به إلى الكويت والبحرين وباكستان والأردن واليمن .. فهو الرابض تحت السؤال الآخر : « ما الذي في وسعنا أن نفعله نحن ؟ »

وقد حددنا البحث . فيما سلف .. ثلاث كتل : كتلة الدول العربية .. وكتلة التعاون بينها وبين كتلة نهرو الآسيوية .. وكتلة الأمل المرجو في قيام كتلة تضم دول الشرق كله والعاطفين على الشرق

وعينا إذن أن نتناولها كتلة .. كتلة لنرى ماذا في وسعنا أن نفعله ؟

الفصل الخامس عشر

كتلة الشرق العربي

كان آخر لقاء بيني وبينك في أواخر مارس الفائت
وهانحن أولاء. لالتقى في أواخر يوليو سنة ١٩٥٤ م أو أواخر ذى القعدة
سنة ١٣٧٣ هـ .

ولراما على يا صاحبي أن أستاذي حديثي معك بالاعتذار إليك عن ذلك
الحرب الطويل .

يبد أنه هرب لابد منه . . في خلاله طوفت وحدي مع الزك السعودي
بالكويت والبحرين وباكستان والأردن . . وأخيراً باليمن حيث عدنا مد
أيام من صعاء إلى جدة . . وعدت وحدي إلى القاهرة أبحث عنك لاستأنف
الحديث معك .

وهذه الشهور الأربعة لم تنسى أبداً أني وقفت بك عند الكتل الثلاث
التي كما نقب الرأي فيها . . بل لعل هذه الشهور الأربعة زادتني ثقة وإيماناً
باتجاهات المملكة السعودية . . وسياستها العربية حيال هذه الكتل .
والآن مدأ .

ومن حسن الحظ أن أتحدث إليك الساعة وبين يدي تصريح أفضى به
السيد جمال عبد الناصر رئيس الوزارة المصرية لجنة نيورويك ، الأمريكية
يعلن فيه « انه مصر ستعمل على إنشاء عالم عربي موحد »

ثم يقول :

« انا نشعر أن هدفنا يجب أن يقوم على أساس إنشاء العالم العربي
وتوحيد أسرته » .

بأن يهول :

« إلى مفتنع بأنه هذا عالم العربي الموحد سيكونه من أعظم عوامل السلام في العالم لاني الشرق الأوسط وعده وأعقد أنه هذا الدور بحسب أنه تقوم به مصر بعد أنه نسوي متكلزة منقطة فناء السويس »

وإذا فما عدت بحاجة إلى التلخيص على اتجاه مصر بعد هذا التصريح الرسمي الذي يقول في غير التواء : إن مصر ستعمل على إنشاء عام عربي موحد ، وأحييت تذكر أن مبعوث مصر الرسمي إلى الدول العربية — السيد صلاح سالم — كان قد سافر إلى الرياض وعدد منها إلى القاهرة ليعلم العالم كله بأن مصر والمملكة السعودية أمستا ببدأ واحداً أو في حكم البلد الواحد وإذا فالمملكة السعودية (وشهادة مبعوث مصري رسمي) تعلق هي الأخرى لمصرارها على إنشاء « عالم عربي موحد » .

وإذا لم أكن أحاشطط أو حبال في كل أحاديث الساقطة معك . . ولم تنكر عني حق عند ما كنت أحيماً أنتسم .

والرعاية المصرية التي أصرت عليها المملكة السعودية . . أعلنها رئيس اورادة المصرية أيضاً . . ولكن في أدب وتواضع — لا رميز لنا حبال شقيقاتنا . . عند ما قال : « وأعتقد أن هذا الدور يجب أن تقوم به مصر ، وهو يعنى « إنشاء العالم العربي الموحد » وما أسميناه « الكتلة العربية » .

ولكن ما هو هذا العالم العربي الموحد . . وما ضروره ؟

في رأى فريق أن يقوم على البلاد التي يتكلم أهلها العربية . . وفي رأى فريق أن يقوم على دول الجامعة العربية وحدها . . وفي رأى فريق أن يقوم على دول الشرق الأوسط كله بحيث تدخل معنا الشقيقتان باكستان وإيران وبحيث تدخل معنا تركيا المسلمة . . لالاستدراج إلى حلف « تركيا — باكستان » .



الملك سعود والصاع صلاح سام

ولا لشتراك في إشعال الثقاب في بترول عدنان وفي المملكة التي يتارعها
المسكران .. وتتصل بها حدود أحدهما .. بل لستدرجهم إلى محور
القاهرة — الرياض .. وأصار هذا الرأي الأخير يرون أن على دول
العروبة أن تلعب أدواراً في هذه الناحية قد أحدثك بها عند الحديث عن
الكتلتين العربية والأسبوية والتعاون بينهما .. ويرى هذا الفريق نفسه أن
الشرق الأوسط على هذا الوصف قوة قومية ترشح كمنته المرجوة لأن
تلعب دورها العالمي ضد الامبريالية القديمة التي شاحت والدولية الحديثة
التي تتصارع وتحسم للام العام في العالم لا في الشرق الأوسط وحده ،
كما قال رئيس الوزارة المصرية .

ولسياسة السعودية تقر أي رأي تراه مصر في هذا الصدد .. لأن الملك
سعود كان يمثلاً يده ، من قديم من حسن نوايا الباكستان .. وقيل إن زيارته
الأخيرة لها رادت يده امتلاء .. ولم يعد يحشى ما يثيره في الأذهان حيف
تركيا وباكستان ، وقيل لي — أن الملك سعود أخذ في عقبه فعلاً أمانة
الباكستان وتأييدها لمحور القاهرة — الرياض .. سواء صممت الباكستان
إلى لكتلة عربية .. أم صممت إلى الكتلة الأسبوية . ويبدو أن مصر تشاطر
الملك السعودي اطمئنانه إلى الباكستان .. بل قين ما يمثلاً صدور ما رجاء —
وإن كان من حق وأما أروى لقول الجديد أن تحفظ ولا أجاوز مهمة
الراوى — قيل إن الأمر كبير في تركيا نفسها وفصل الباكستان ..

وعلى أي حال فالمملكة السعودية تعرف أنها لنجحاً في إقامة دول عربية
مستقلة في الشرق الأوسط هي واحدة منها . ولكن الذي ترمى إليه هذه
المملكة أن تنجح في إيجاد الأمة العربية ، التي تربط العروبة بين أجزائها
ويتعلم الإيمان بالفكرة العربية في قلوب أسئها .. وترى المملكة السعودية
أن مصر القوية مطالبة بهذه الخطوة .. لأنها تملك من وسائل الاداعة
والصحافة والثقافة ومختلف وسائل الدعاية ما لا تملك غيرها من الشقيقات ..



إمام الحج والصالح صلاح ماني

والسعوديون على استعداد للمساهمة في هذه المحاكمة . كل ما يمكن
من إمكانيات ،

ومصر تنهت إلى واحد في هذه لاجية فعلا . ولكن في إشاثا له صوت
العرب ، في إداعتها . . وادركى السعودى ، لحوب وادها . ما يدل على
أنها لم تعض قط هذا الخاب الحوى . أو عن عايتها . مدقامت جامعة
الدول عربية . بالدعوة إلى المآثرات العربية للمحمد مرة وبالأطباء ثابئة
والصحفيين ثلثة . ونساجة أحيراً ما يدل أيضاً على أن مصر لم تغفل توحيد
التفكير بين الطوائف المتباثة . . ولا الدعاية لفكرة لعربية والإيمان بها .

وترى المملكة السعودية أن على مصر أن تساهم حدياً في النهوض بالدول
العربية . . لأن محاولة تكليب . . والون بين كل منها والأخرى يبدو شامهاً .
يعوق هذا التكتل . . وظاهر من نشاط المصرى الأخير أن مصر استجابت
لهذه الدعوة السعودية فوراً وفعلا . . وما كاد سمعت مصر الرسمية يعود من
الرياض حتى بدأت حكومة مصر تعد بعثاتها العسكرية وحبراءها في شق
الشئون نسفر إلى صنعاء . . من إن هات ما يشت أن كلا من مصر والمملكة
السعودية كانت تعمل على المراد في هذا الحمل من قبل أن يجرى إلى القاهرة
سعود . . ويقع المحور ويوحده الجهود . .

وحسبى أن أسوق دليلاً مصرياً وآخر سعودياً . . فإما المصرى فهو
الدور الدولى الذى لعبته مصر في بعث المملكة اللية لتضم إلى الجامعة
عصواً عربياً جديداً . . ولتحرر من يبر العبودية قطراً بحوراً وشقيقاً . .
وعلى الرعر من الدسائس الاستعمارية التى كانت وما تزال تتخذ من ليبيا
مسرراً لها وتنشئ . فيها قواعد عسكرية ضخمة فين مصر ارتفعت فوق مستوى
هذه الدسائس . ورأت أن تنشئ يديها الجيل اللبى الجديد المتحرر . . فشدت
معليها في المملكة الناشئة . . وتولت إقامة نظام التعليم على الأساس المصرى
ورودت القضاء اللبى بمشارين دوى شأن من أكفأ القضاة المصريين . .

إلى آخر ما أدبغ في حبه وعلم به الجميع . . وكان ذلك قبل مقدم الملك سعود
بزمن طويل .



سمو الأمير مشعل آل سعود وزير الدفاع السعودي بن رئيس الجمهورية محمد نجيب
ورئيس مجلس الوزراء جمال عبد الناصر

وأما الدليل السعودي . . فهو في البعثات العسكرية التي اختارها الأمير
مشعل بنفسه من حيرة شباب السعوديين وأرسل بهم إلى الكلية الحربية
المصرية . . ليتخرجوا منها صباطاً مصريين قبل أن يكونوا ضباطاً سعوديين
وكان الملك سعود يومئذ ولياً للعهد فاحتضن هذا الاتجاه الرفيع وشجع أخاه
على المريد . . وأمر (سموه) يومئذ بإيفاد بعثات أخرى إلى مختلف كليات
الجامعة . . ثم ألف لجنة من كبار رجال العلم والتعليم ، جاءوا للإشراف
على حالة البعثات الدراسية ، وكانوا يرفعون إلى (سموه) وما يرالون يرفعون
إلى (جلالاته) التقرير تلو التقرير . . وكان يعنى عناية فائقة بما انطلت عليه
إيماناً منه بأن توحيد طرائق التعليم مؤد إلى توحيد التفكير والشعور . . مؤد

إلى ترسيخ الوحدة العربية في العقول وفي القلوب . . ثم عاد فأوفد في هذا الشهر الذي أحدثك فيه أخاه الأمير مشعل من جديد . . وبدأ يجتمع بالمسؤولين لتحقيق ما اتفق عليه من تعاون عسكري . . وبدأ يرور مصابيح الذخيرة والأسلحة وكل ما يتعلق بالشئون العسكرية . . ولم يتردد مشعل بعد مباحثاته مع رئيس الوزارة المصرية من الإدلاء بتصريحات واضحة عن الوحدة العربية المرجوة وقال إن أخاه ومولاه ما كان يسمح له وهو وزير دفاع وطيران بالتدخل عن موسم الحج يوماً . . إلا ليدل جلالته على إعزازه لمصر وعائنه تنفيذ ما تم الاتفاق عليه بينه وبينها . . وأنه أعرف أن الأمير طلال سافر إلى أوروبا وبذلت الأمير مشعل للنهوض أيضاً بوزارة المواصلات وترك كل هذه المهام وجاء إلى مصر .

قلت لك يا صاحبي إن الملك سعود لاحظ أنما يحجها في تكوين دول عربية مستقلة ولكسألم صحح بعد في خلق الأمة العربية ، ومن أحلها جاء إلى مصر . . وتباحث وتعاهد وإياها وأقام محور القاهرة - الرياض ، ولكن « الأمة العربية » ، المرجوة لا يمكن أن تتألف إلا من شعوب عربية حرة . . و « الدولة العربية » ، لا يمكن أن تقوم إلا على دول عربية مستقلة . . ومصر الرعيمة لا يزال جانب من أراضيها محتلاً . فأمسى لازماً إذن على الدول العربية أن تجعل في المحل الأول معاونة مصر على التخلص من المحتل . . وفي هذه لاجية أعلى لسعود حكومة مصر أن تملكه بكل ما تملك من ماس وسلاح وأرواح مجدة لهذه المهمة ، فما على مصر إلا أن تطلب وما على سعود إلا أن يستجيب حتى تمكن مصر من قيادة الكتلة العربية إلى أهدافها ، وهذا ما يطاق قوياً رئيس الوزارة المصرية ، وأن هذا الدور - أي الرعاية - يجب أن تقوم به مصر بعد أن تسوى مشكلة منطقة قناة السويس ،

والمملكة السعودية تعرف كل صغيرة وكبيرة عن الخلافات التي كانت قائمة بين بعض الشقيقات - وكلها من صنع المستعمر - وأقلها تقليدي

موروث .. وقد رأى الملك سعود أن الوقت قد حان للقضاء على هذه الخلافات قضاء مبرما .. وأن تعاون مصر معه في هذه الحاجة كفيل بنجاح المسعى .. وتم الاتفاق بينه وبين مصر على الخطة .. وكل الذي يطالع من أساء العروبة أنباء الأيام الأخيرة عن سفر المبعوث المصرى — صلاح سالم — إلى الرياض ولبنان وتغز وصنعاء وسفر سعود بن عبد العزيز نفسه إلى اليمن أخيرا بعد جولته الأولى يترك أن العروبة بدأت تجنى ثمار زيارة سعود لمصر بل ثمار السياسة السعودية المرسومة

ومنى عزائم :

وصحيح أن القوى العربية مبعثرة تحت سباتك الجواد الاستعماري . ولكن أكثر صحة أن الرقوف في وجه الجواد ميسور على أى حال .. على أن نعرف قوانا لحرص عليها ونفودنا لاستخدامه وأخطاء ما لصاحبها

إنا نملك قوة بترولية لا تقاوم .. وثروة معدنية قد يكشف الغد القريب عن كموزها .. ونصف سكان العالم من المسلمين والمسيحيين يهودون بأفئدتهم إلى مكة والقدس .. وتاريخنا الحديث موصول الحلقات بأول وأكبر اخضارات .. أفما يكفى هذا كله لحفرنا على كالم القوى المبعثرة ؟

ومصر ترد على هذا السؤال بوجهة نظر .. إنها ترى أن الأسباب الحقيقية لكل انحطاط في أية أمة عربية ليست إلا أسباباً داخلية وتقول مع أحد الفلاسفة أن الشجرة إذا سقطت بفعل العاصفة فيجب ألا نلوم العاصفة على إسقاطها للشجرة بقدر ما يجب أن نلوم الشجرة نفسها على تعصى باطنها

وترى المملكة السعودية أن الاستعمار هو مبعث التعفن وأن العمل على تنظيم البيت الداخلي لا يمنع الأهل من التجمع لدفع العدو الخارجي

والتقت الدولتان على أن تدعو الشقيقات إلى العمل داخل البيت وخارجه في وقت واحد .. وفكر في إقامة مجلس عربي يتكفل بتدارس هذه الأمور ..

وأن تبدأ مصر من قودها في الاتصال بالدول الشقيقة ودعوتها إلى السياسة المصرية السعودية الحديثة . أرى إلى التكتل العربي وإن كان تنفيذ مثل هذه الخطة الحاسمة التي نتوجت تظاهرات قد أرجى . إلى ما بعد اجتماع رؤساء الدول بعد موسم الجمع وبعد ظهور نتيجة المفاوضات المصرية

وصدقني يا صاحبي أني سعيد بمرور كل وجهات النظر على مسامحك .. ولكي أصدقك القول دائماً .. ولا محل إذن لأن أكتسك ظلاً من التعاسة شاب هذه السعادة

لا تفرح بالأمر أهون مما يثير الفزع .. وإن كان يستحق أن يدفع كل ما حدث أني قرأت وأما أهم بالتحدث إليك رأياً تنهى في الغرابة العربي كبير أقدر ماضيه . وأعني به السيد عبد الرحمن عزام . قرأت في مجلة ، التحرير ، المصرية أن السيد عزام سئل :

— حين كنت أميناً للجامعة العربية .. هل تخففت على بربك الأمانى القومية للعرب ؟ وما رأيك الآن في الدور العربية اليوم .. وما تمرى عليه أصورها ؟
فأجاب

لم تخفنى بعد الأمانى القومية للعرب .. وقد يحتاج ذلك جيل كامل وقد حاولت طول حياتي أنه أصعب بزور الانحدار والدولة الشاملة للعرب . ونهضتها بفرس جهدى قبل الجامعة العربية وفي أثناء وجودي بها .. أسأل الله أنه تمر وأنه يجنى هذا الجيل ومن بعده ثمرة

والأمانى بقومة العرب لا تحتاج يا صاحبي إلى جيل كامل .. كما يقول « الحخير العربي » ، والدولة الشاملة للعرب ، هي التي جاء سعود إلى مصر

ليقيمها الآن وفي هذا العام .. ولم يحى ليقمها بعد جيل .. وأعتقد أن هذا
الرأى إنما أملاه على السيد عرام عصبه للعروبة المناهضة فكان للأسى دخل
كبير فى حب اليأس النادى على العبارة .. أو قد يكون يحى الإجابة على
هذه الصورة نتيجة للصيغة التى صب السؤال فيها : « هل تحققت على يدك
الأماني القومية للعرب ؟ »

يبد أن من الإصاف أن أقرر أن السيد عرام وفق وهو سياسى محصرم
وبابه وكفه فى الشؤون العربية .. وفق عندما سئل عن « الرأى القائل بقيام
جامعة للشعوب العربية ما دامت جامعة الدول العربية لم تؤد رسالتها ،
فأجاب :

- إنه الحكومات العربية هى من الشعوب العربية منى طئت صمتها
باستقلالها ولا أعرف كيف تنظم الشعوب فى جامعة أخرى ضد إرادة
حكوماتها ولاى عرض !

أقول وفق السيد فى الإجابة .. وبحور ، القاهرة - الرياض ، يقوم على
تحرير مصر والسودان من المحتل . وعلى تعدية الحركات التحريرية فى كل
دول العروبة حتى تتحرر .. فى تونس ومراكش والجزائر . والأردن .
والعراق .. وعدن والمحميات ومسقط والإمارات .. وكل مكان فيه قدم
للمستعمر .. وبوم تتمتع هذه الشعوب باستقلالها لن تكون حكوماتها
إلا من حلص الأحرار فيها .. ويومئذ يصدق عزام عندما يقول :
« ولا أعرف كيف تنظم الشعوب فى جامعة أخرى ضد إرادة حكوماتها
ولاى عرض ، .

تريد أن تسأل سؤالاً واحداً ؟ قل يا أخى . تسأل عن رأى سعود
فى الهيئات المدنية المشتغلة بالسياسة فى بعض الدول العربية ؟

مدى عنى أن السياسة فى البلاد السعودية نفسها هو كقول أمرها إلى

الحكومة السعودية أو السلطات المدنية وأن شئون الشريعة السمحاء موكول أمرها إلى آل الشيخ سلالة الإمام محمد بن عبد الوهاب وليس للسلطة الدينية أن تسأل الحكومة إلا فيما يخص الإسلام وأوامره ونواهيه ومدى على أن الملك سعود يرجو أن يكون الأمر في الدول العربية كلها منسوجاً على هذا الدوال . . . فيعطي ما للحكومة وللحكومة . . . وما لرجال الدين لرجال الدين .

ولكنني أعلم أيضاً أن من دواعي ارتياح سعود المسلم أن تزدهر الهيئات الإسلامية في مصر ويشتد ساعدها . لا لخصوص عمار السياسة كما تحوضها الأحزاب . . . ولا لتفانل على كراسي الحكم كما يفتن الساسة . . . وإنما لتزجج نار الوطنية من الراوية الدينية وليظل الشعور انوطى صد المستعمر مستعر انهيب دائماً . . . أى أن يستمد اليسارى المصرى من هذه الهيئات الدينية تأييداً روحياً يذكى روح الشعب فيطر مستواه الكفاحى عالياً . . . وعلى نفس النسق الذى حمل المملكة السعودية على متابعة مصر بالرعاية العربية السياسية ليستخدم السعوديون زعامتهم الروحية كحماة للحرم فى أوصل بين الشعور الإسلامى أو النهوض العربى .

وأعتقد أن سعود ما يزال يعمل فى صمت وصبر . . . ليحقق هذا الهدى وليدرأ عن بلاد العروبة المكافئة منعة الانحرافات الدينية المنصرفة . . . وليستعز الهدى الأسمى وهو التكتل العربى يعود بعض اهيئات الاسلامية فى مختلف البلاد لعربية استعمالاً ليوحد القوى السياسية واروحية ويحشددها فى جيش واحد . . . هو جيش الخلاص الأكبر .

وأحب يا صاحبي وأنا أحتّم معك الحدث عن التكتل العربى أن ألفتك إلى قصة ناقلة البترول والملك سعود . . . التى استهل ورير التجارة السعودى الجديد عمله . . . تدشينها . . . أفقد لاحظت أن السعوديين بدأوا دائماً من فوق . . . ولعل فى اتحادهم نواة الأسطول التجارى عديم أكر نفقة فى لعالم . . . دليلاً على شعورهم بالحاجة إلى الصخرة ، حيث وجدوا إليها سبيلاً . . . ثم

لم تلاحظ أن مصر وصفت في ميرانيتها اعتماداً يدل على أن الأسطول
المصري الجدى .. مقس في الطريق .. ثم لم تلاحظ أن زيارة سعود أعقبها
اتفاق دول الجامعة على إنشاء شركة ملاحية — عربية عالمية؟ أفأعطيك هذا
الحشد من الجهود .. لوناً من ألوان التكتل العربي الذي تم الاتفاق على أن
يقوم .. معنود ادواء لمصر الرعيمة .. منسق الباء فوق محور القاهرة —
الرياض .



وزير شجاعة السعودى الذى أرسى أساس البحرية السعودية

الفصل السادس عشر

التعاون بين الكتلتين العربية والأسبوية

بقى أن نعرف يا صاحبي حقيقة الحلقة الثانية من سلسلة التعاون الذي تستهده السياسة السعودية والمصرية ونعني به : التعاون بين كتلتين العربية والأسبوية .

الكتلة الأسبوية يترعها كما لا بد أن تعلم الناصيت جواهر لال نهرو ونحس بعي الكلمة مخروفاً عندما يذكر اسم هذا السيد الأسبوي المحترم .. لأنه أحرر كائن الإحترام الذي أحرره الأفراد انقلات من أبطال الفكر في الترويج الإنساني ولأنه كموطن وقف إلى جوار المهائم عابدي حرر الاثنان مئات الملايين من استعمار الأجانب .. ولأنه كسبسي - وهو مايعيد في هذا البحث - يترع أسبويا الكتلة الداعية إلى الحياء ، ويترعده لخدمة الداعين إلى السلام .. وهو أسبي ما تستهده جهود البشرية عندما تأخذ مكانها الذي تدعوها إليه أقيم لفصيلة والخير والرق العاطفي أو الوعي العقلي .

وإذن فالكثرة الأسبوية - عل جلال قدرها العددي وعلى خطورها من ناحية الاستراتيجية عالمية - مدينة بقدر كبير من الاحترام الذي ظفرت به .. لشخصية الناصيت نهرو .. وللب في حاجة إلى القول بأن ديتاء يجب للرعي .. ومن أقصى شرق .. وفي الهند التي كان يضرب تحلقها المش .. أحتل عني مسرح السياسة العالمية الدور الذي عجز عن الهوص مثله كثيرون من أقطاب الترويج السياسي الحديث .. وترأس الجمعية العامة لهيئة الأمم في عصر الدورة .. لسا في حاجة إلى القول بأن ديتاء ، يجب لهذا الزعيم .. في مثل هذه الملاحظات .. مثل هذه الشقيقة . هو بيت

عميق الجدور في تربة السلالات الحصاة الركية .. يأسق الفروع في سماء الرق
الفكرى .. جدير بأن يقدم للانسانية رجلا كنهر ولا يدري أحد ما الذي
كان يمكن ان يكون .. لو أنه نشأ في بلد نامص كالولايات المتحدة أو في
بلد حي كالمانيا أو في بلد ديمقراطي كالمكسيك .. أو في بلد حر كفرنسا .

هذه اللمحة العابرة عند هرو الإنسان والمواطن والسياسي .. إنما تقصد
بها إلى تنبيه انقراء على خطورة الكتلة التي يقودها .. وعلى جلال الفكرة التي
يعتقها وعلى سلامه الخطوة التي يتتبعها .. والكتلة هي الآسيوية .. والفكرة
هي لسلام .. والخطوة هي الحياد

والسياسة السعودية كانت وما تزال تحث باهتمام عن الطريق إلى الحياد ..
حياد الشرق العربي أو الشرق الأوسط أو الشرق الإسلامي أو الشرق كله ..
وكانت وما تزال تتساءل دائماً وقد شهد الشرق حريين كبيرتين .. بالله منهما
ما ناله من اويل — ولم يكن ساحة أصيبت لهما — ما الذي أفاذه الشرق من
الحروب .. وما الذي حققه له العرب من الوعود . وأي دخل لنا في الخصام
بين المعسكرين الحديدين .. وأية مصلحة للشرق في أن يتغلب أي من
المعسكرين على الآخر .. وقد ننت أن الشرق سوف يكون هذه المرة ساحة
الحرب المقبلة .. وأن أهليه سوف يكونون الوعود ؟

وعلى الرغم من أن الشرق كله شاطر المملكة السعودية تلعانيا هذا التفكير
أو هذا التساؤل بجامع الوضع الراهن والهم المصى والوعى البامى والمستقبل
المشود .. فإن المملكة السعودية كانت وما تزال أرهب حساً من شقيقتها ..
لأن ملكها عبد العزيز التي روضت زعيم المعسكر العربي في الحرب الأخيرة
كما سبق القول وأصعب الملك في رجولة الصحراء التي تفقدى شرف الوعود
بكل مرتخص وغان إلى أفصوصة الحريات الأربع .. ثم عاش عبد العزيز
حتى رأى بعينه السيد ترومان وهو يمرق الميثاق بيديه المحضنتين بدم العرب ..
ويرس وعود سفته مع الريح .. ويمعن في السكر وفي الغدر وفي التجريح ..

حتى ليطرد من أبناء العروبة حتى أنقذت الخلفاء مليوناً من أبناء فلسطين
الشهيدة إلى التشرّد في العراء .. وإلى مشاطرة ذئاب الغلاة حرية العواء ..

رأى عبد العزيز هذه المهزلة الرجيسة بعيه . فأحد ولديه الكبار
تحت جناحه .. وقال لها ما قاله عن الشرق ولعرب .. وصب في أديهما
وقلبهما ما صب .. ثم مضى إلى يارثه برى، الذمة . وصاء الرجاء .

إنما هي لسياسة العودبة .. آمنت بأن الحديد لا يفله إلا الحديد .. وأن
أمريكا أفادت من المملكة العودبة ترولاً .. فوجب أن تفيد المملكة من
أمريكا .. علماً وصناعة وخطوطاً حديدية . وظائف وأسلحة . ومبانيات
ومؤسسات .. على أن يكون في وسع المملكة . في أية لحظة — أن تشكر
لأمريكا ، وتغلي طرفها .

ولكن متى تجيء هذه الساعة ؟

عندما تجد في دول العروبة ما يعجبها عن أمريكا .. أو عندما تستطيع هي
أن تستعنى عن أمريكا . ولقد فوجئ العالم كله في الأسابيع الأخيرة بقرار
سعود التاريخي «الاستغناء عن خدمات» الفظلة الرابعة ، معللاً أن ما تؤديه
لمملكته .. أصح في وسع مصر وشقيقاتها أن تؤديه

هذا القرار الحريء الذي لم يتوقعه عربى واحد . ثم تفكر في اتخاذ مثله
دولة عربية أخرى .

تسأل عما أقصده من إثارة فقرة النقطة ؟

أقصد بإصاحي أن الاتجاه السياسى في المملكة السعودية إلى التعاون مع
دول العروبة أو معها ومع الكتلة الآسيوية لا يمكن أن يعوقه ما يتولى خصوم
السعوديين بالترويج له من الشائعات .. وإلى لعائد بك من هورى إلى
موضوع التعاون بين الكتلتين العربية والآسيوية .

ولقد قلت لك إن السياسة السعودية كانت وما تزال تبحث باهتمام عن

الطريق المؤدى إلى حياد العروبة .. عن المعسكرين المتصارعين .. وأدركى هذا الاهتمام فى دهر المملكة المسلمة .. أن المعسكرين يتقاتلان ، مبدأ ، على ، الرأسمالية ، أو ، الشيوعية ، والإسلام لا يعترف بالرأسمالية التى تنبج لأفراد فريق من تبحر السياسة والحروب احتكار الملايين من الجيهاات .. على حساب الملايين من الجائعين .. ولا يعترف بالشيوعية التى تقوم فلسفتها على مادية التاريخ وتسقط من الحساب الإنسانى جوهره الرفيع الغالى .. وجانبه الروحى الوضاء .

كل طريق إذن مؤد إلى حيدتنا .. غربا .. أو شرقا .. هو الطريق السلطانى فى ميزان هذه المملكة .

وقد لاحظ الملك سعود أن كتلة نهر وكتلة قوية .. وأن شخصيته شخصية عالمية .. وأن التعاون مع هذه الكتلة يحبب المعسكران له حساباً .. وأن هذا التعاون قام بالفعل ولكن فى نطاق محدود .. أو فى هيئة الأمم على التحديد وبفضل ما بذلت مصر وشقيفتها من جهود .. والملك سعود يصمم فى المزيد من هذا التعاون ولكن الكتلة الآسيوية يعترها من الضعف الداخلى مثل الذى يعترى لكتلة العربية .. فالخلاف بين الهدى الجانحة إلى الاشتراكية .. والباكستان المؤمنة بالإسلام .. على ولاية كشمير .. ما يزال قائماً .. وسعود كحامي الحرمين قد يتعذر عليه أن يؤدى واجبه بين الجارتين من غير أن يناصر الباكستان المسلمة .. والموقف من ناحيته السياسية يجب أن يرتفع إلى ما فوق العاطفة .. فما هو السبل لتسوية مشكلة كشمير .. أو ما هو السبل إلى تجاهز هذه المشكلة والارتفاع إلى مستوى الأحداث الأكبر شأناً وهى تعاون لكتلتين العربية والآسيوية .

رأت المملكة السعودية أن الدور الذى يحل عليه الموقف يمكن أن تنقاسه هى مع مصر اربعيمة .. فتكفى هى بالباكستان .. وتكفل مصر بالهند . وسدو أن كلا من الدولتين - مصر والمملكة السعودية - كانت تعرف

واجبها . وكانت قد بدأت تقوم به من تلقاء نفسها . بل يبدو أن مصر اتجهت هذا الاتجاه "سعودى من زمن غير قصير .. وتكفلت بالأمر كله من قبل أن يفتحها السعوديون بسين .. وأنا أستخلص هذا الزد ، يا صاحى من السيد اللذين أحنت مصر اختيارهما ل سفارتها في الهد وال كسان .. ولم تكن مصر في ذلك الحين تحس احتار "سفراء .. وسكن وجود الأدب العالم المم بالذات السامية والمحوب من الملكتين السعودية والاكستانية عند الوهاب عرام لمصب السفير في كرانشى . دليل على أن الاحتار لم يقع عليه عبثاً ومن يدري إذا لم تكن الملك عبد العزيز أور (الأمير) سعود هو الذى أوعز إلى مصر بذلك الاختبار . لأن عرام كان يقوم بمس المهمة لدى البلاط سعودى في حدة قبل أن يقبل إلى كرانشى .. وأهم من هذا الاحتار . احضر اسماعيل كامل صديق هرو والمعجب من قديم ، لهد وأحد الثقة في الشؤون الهندية لسفارتنا في الهند .

وواضح أن الملك عبد العزيز وثى صداقته للسيد علام محمد رئيس الدولة الكستانية وانتقلت هذه لصداقة إلى ما بين علام وسعود . وألعب في فصل سابق إلى اريارات السياسية ، التى قام بها علام محمد للرياح والأراضى المعسرة .

وعندما جاء الملك سعود ، إلى قاهره ضاب له — كما قيل لى — أن يحسن مصر مصر من ناحية استعدادها لإحتداب هرو إلى التعاون مع الكتنة لعرية . وسره أن يجد كل شئ معداً . وأن يصع به على دعواطف متبدلة من قديم بين الهنود والمصريين .. ظهرت أعراضها على الهند عندما بدت للقيام بواجبها الأولى ، في قضية السودان .. ولم تكن هذه الدعواطف ، القديمة بجهولة من المملكة السعودية . ولكن الذى كان يجهو لا قيامها حتى الآن ونفس التأمج والاستعار .. مع مصى أكثر من ثلث قرن على مدها يوم اتحد عاندى (أستاذ هرو) من سعد بحوال عجم مصر .. أستاذ له

وأعلى العالم كله .. أن الهند اعترفت أن سير في الطريق التي سلكها أستاذة سعد .. وكما وجد سعد بين قلوب المسلمين والمسيحيين في مصر .. حاول غامدي أن يوحد بين المسلمين والهندوس في الهند .. وقصى بالفعل على العداء الموسوم باسم الـدي كان الهندوس يشنونه على المنودين ويهددون به إنسايتهم .. هاتثل عاى الصانقة المبوذة من وهبتها وهو يرح سياسة رغول .. الـدى عليه كيف يقود .

ويسو أن مصر تعترم أن تقوم بدور كبير في هذه الساحة بعد أن تفرع من مشكلة المال .. وهى على أى حال معنية بها من الآن ومن قبل الآن بأعوام كما قلت لك ..

وإندونيسيا .. هذه الأمة الملمة الككرة ذات المكاة العاية في الكتلة الآسيوية .. هن أسقطتها السياسة السعودية من حسابها ؟ كلا بالطبع . ولكن أى الدولتين - مصر أو المملكة لعودية - أولى بانفرع لتوثيق الصلات مع إندونيسيا ؟

أجيب عن هذا السؤال بأن الدولتين معاً تنفرعان . لأن إندونيسيا أولا أمة مسلمة ، حقاً ، ولحامى الحرمين نفوذ روحى فيها .. ولأن إندونيسيا ثانياً لا تنسى أبداً أن مصر كانت أول دولة في اعام اعترفت بالدولة الإندونيسية .. ولا تنسى أبداً أن مصر رفضت أن تأدى للسف الهولندية (أيام الحرب بين إندونيسيا أشعية الكثرة وهولنده المستعمرة الصالمة ..) أن تجى . إلى قناة السويس لتزود منها أو ترسو فيها .. مما صعب يومئذ على هولندا مهمتها لعاية ضد ثماين مليوناً من حالص المسلمين .

بين إن مؤتمر أسويوا ، حالصاً ، تقرر أن نقام في إندونيسيا في شهر ستمبر القادم .. ومع ذلك دعيت مصر ، الأفريقية ، إليه . ففررت في سعادة وانتشاء أن تشترك فيه .. دليلاً على أنها تواص مهمتها .

واصح إذن أن الطريق بمهد وميسور إلى التعاون المشود بين الكتلتين

العربية والآسيوية لاسيما إذا فرغت مصر من مشكلة القنال وتفرغت لهذه المهام .. ولهذا التعاون فائدة أخرى هي دس أسفين في هيئة لكونولت البريطانى .. باعتبار الهند وباكستان عصوين في هذه المجموعة .. ولأن نهر و استطاع فيما يلوح جنب سيلان إلى صفه بعد أن عقد مؤتمره الأخير في كولبو عاصمتها .

واعتقد أن هذا البحث كان له حظ غير قليل من رعاية الملك سعود في أثناء زيارته الأخيرة للباكستان بين في أثناء زيارته الأخيرة للكويت والحرين واليمن .. اليمن التي وحدها سعود .. وظهر فيها القلوب . وانتقل بالإمام أحمد لأول مرة مد تولى الملك والإمامة من تعز إلى صنعاء .

وسعود ملك نابه يعرف للباديت نهر و قدره . ويدع ما لله لله . ونهر و عند ما يتحرك اليوم تحركا متواصعا إزاء مؤتمر دولي صمم يتوقف عليه مصير العالم ك مؤتمر جيب يعمل لتحركة حساب .. فبالك به إذا تزعم كتلة آسيوية وتعاون جادا مع الكتلة العربية وأراد جادا أن يعلن حيدة الكتلتين معا .. ويدعو للسلام باسميهما ؟

والدعوة إلى السلام من أى المعسكرين تماس دائما بالارتباب . ومواطن عالمي واحد يستطيع أن يدعو للسلام فيصغى له البشر .. إنه جواهر لال نهر و ..

والعالم كله يعرف أن هذا الرجل . يخترن من الجوهر الإنسانى الأصل قدرا لا تعرف للبشرية نظيرا له في إنسان آخر ..

وهو مفطور على السلام .. معجون من مادته . حتى صفاء عييه تقرأ فيه صفحة السلام بجنوة . قد إن تظالها مسطورة في كتبه .. إنه فيلسوف خير .. كان من الممكن أن يخلق إلى برجه العاجي ويصيف إلى تح الهدد المفكرة درته الثانية إلى جوار ددة رابدرانات طاغور .. ولكن نهر و رأى أن الأرض والسلام عليها أحوج إلى جهوده العملية والسياسية من

السما العية بالأبراح العاجية .. وإلى لكبير الرجا في أن تخطو المملكة
السعودية مع مصر خطوطها الجادة نحو التعاون مع هذا الرجل .
وأعود فأكرر أن سعود بن عبد العزيز ملك نابه يعرف نهرو قدره ..
ويدع ما لله لله .

وأعني كل حرف من كل كلمة عندما أقول : « ويدع ما لله لله » .

بيان السفارة :

وقد شاء الله أن تديع اليوم السفارة السعودية في القاهرة بياناً -
والحديث يحري يسا - ولم يبق على وقعة عرفات حمة عشر يوماً ..
تقول فيه بالحرف ما يأتي :

« أعلن اليوم سمحت سعودى أنه الحكومة الفرنسية قد استعانت من
وزارة الخارجية العربية السعودية بواسطة سفيرها في جدة إذا كانت حكومة
جمهورية الملك سنقبل هذا العام للفتاد بقتة رسمية من مر اكش موفدة
من قبل محمد ابن عرفه وقد أمابت حكومة جمهورية بأنها بناء على قرار
الجامعة العربية لا تعترف مطلقاً بابن عرفه المذكور ولذلك لا تقبل أية
بعثة بوفدها » .

لم تضيل لتحديق في وجهي وتبر رأسك هزاً متوالياً ؟

أتريد أن تقول إنك آمنت بكل ما قلته لك ؟

حساً .. نحن إذن أمام صفقة مدوية من يد ملك مسلم نهوى عني وجه
سلطان مسلم .. لأن « الجامعة العربية » لا تعترف « بابن عرفه المذكور » ..
وحامى الحرمين لا يعترف إذن به ولا يسمح لبعثته « الدينية » أن تحي ..
لأن العروبة لا تقبل أن تنهك وحدتها .. باسم الدين .. إن « ابن عرفه المذكور »

حان أماته العروبة ورسالة التحرير . . فوجب إقصاؤه ويستوى أن يكون مسلماً أو غير مسلم . . وحواهر لال نهرو وقف إلى جانب التكتل العربى . . ودعا إلى سلام العالمى . وادى بحباد لكتله الآسيوية . . فوجب أن تعاون معه ويستوى أن يكون هندوسياً أو ملحداً . . لأن بلاد العروبة - فى الميران السعودى للعرب . . والشرق للشرقيين . . والدير لله ألم أقل لك أن هذا الملك ماله . . ومدره . . وبعيد النظر ؟

بين الإسماعيليين :

إن بين يدى الساعة وأنا أتحدث إليك بياناً آخر رسمياً ومشاركاً أذاعه الملك سعود والإمام أحمد على أثر اجتماعهما فى صعاء أصعه أمامك بحروفه لأن أرى فيه وثيقة ، من وثائق العروبة لا يستكثر عليها خير فى كتاب .
« اخذ الله أبى قدر لسا هذا الاجتماع المقعم بروح الأخاء ، وهياً لنا العريضة الصادقة ، والية الخالصة ، لإقامة علائق أوثق . . ووضع أسس للوفاق بين ندبنا المتجاورين ، وشعبنا المتأخيين ، لعمل بالتعاضد والتكاتف فيما فيه رفعة للبدين ، وصالح لشعبين ، اتباعاً لهوله تعالى : « وتعاونوا على البر والتقوى » .

« وسكى بديل كل ما فى وسعنا ، وما نبلعه استطاعتنا للعبس متفقين مع البلاد العربية عامة لتحقيق العايات السامية التى أنشئت من أجلها الجامعة العربية ، وتحقيق الرعات الوطنية التى تصبو إليها نفوس الباطقين بالصاد ، فى جميع أنحاء العالم العربى .

« واصل مع الأمم الأخرى إلى تلك المرحلة الانسانية العليا ، التى وضعت أسسها صحيحة هيئة الأمم المتحدة فى ميثاقها الذى ضمن العدل والإصاف للجميع .

« ولقد استعرضنا فى اجتماعنا هذه الأسس التى قامت عليها هذه المبادئ .

الخاصة والعامة وبحيثنا فيما يختص بنا منها ، فوجدنا فيما يسا اتفاقاً في الرأي ووحدة في الاتجاه ، واتحاداً في الغاية ، فتعاقدنا بمواثيق خطت على صفحات القلوب بأن نعمل جامعين (رفع مستوى شعبنا ، ودعم جامعتنا العربية ، وبذل الجهود مع العاملين على نشر السلام في ربوع العالم .

« كما استعرضنا ، بصفة خاصة المشاكل السياسية الخاصة التي تهم بلدنا ، فكانت الآراء مبددة ومتفقا عليها تفصيلاً واضحاً وكل ما سيعمل جاهداً في معاونة الآخر بجميع الوسائل السلية وبما تقتضيه المواثيق العربية .

« كما اتفقا على التعاون في المبادئ الاقتصادية فيما يبتنا إلى عاية الجهد المستطاع ، وبتبادل النصح والمعونة فيما يرفع شأن البلدين في الأمور التجارية والزراعية والصناعية ، وفيما يسهل سبل التعاون بين أفراد لشعبي المنتجورين ، في جميع مرافق الحياة .

« ولا حاجة بنا أن نذكر أننا عازمون — معور الله — على أن نفد ، بأمانة وإخلاص ، ما ارتبطنا به مع الشقيقات العربيات في صهيون اجماعي عند حدوث أى اعتداء على أى من بلادنا العربية العريضة . والوقوف أمام كل تجاوز على استقلالنا ووحدةنا .

« ولا ريب لدينا بأن جميع احواننا ، ملوك ورؤساء البلاد العربية ، يشاركوننا في هذا الشعور نحو المبادئ السامية التي ذكرنا ، وتلك العريضة الصادقة سدفاع عن كياناتنا ، وحققا الكامل في الحياة في أنحاء عالمنا العربي .

« كما أننا نيب بجميع أفراد الشعوب العربية في مختلف أفكارهم ، أن يجعلوا هذه المبادئ نصب أعينهم ، وعاية حياتهم فيبذل كل منهم استطاعته في سبيل تحقيقها ، ويقف في وجه كل فرد يقوم لعرقلة العاملين على تشيئها ، ضمن جامعتنا العربية ، التي نرجو الله أن يحقق آمالها ، ويعين العاملين عليها ، ويلهمنا وإياها السداد في الرأي ومضاعفة الجهد لصل بها متساوين إلى العاية

التي قامت من أجلها والمرلة التي نرجو لها ، لننعم جميعاً بكرة وأخرة وحياة
وإدعة ، وسلام شامل .

« وبحي نمد يد الصداقة لى أرادها منا ، صداقة حرة تقوم على المساواة
فى تبادل المصالح ، واحترام الاستقلال والله ولى التوفيق وبه نستعين » .

عبارات لرها مغزاها :

والميثاق بين الملكين العربيين المسلمين .. صريح صراحة الإسلام .
صديق صدق العروبة .. ولكن فيه عبارات تحمل من المعاني ذات العمق
ما يتصل بالسياسة السعودية « فى الغد » .

ومع أن البيان حرص فى مظهره على أن يحى . داخل الإطار الإسلامى
وأن يزدان بدعة القرآن .. فإنه لم يغفل أن يتحدث عن « المرلة الإنسانية
العليا ، التي ترمى المملكتان إلى إدراكها .. وهى لغة جديدة م يكن للمملكة
المتوكلية عهد بها من قبل . وتدل على أن القلم الذى جرى به قلم سعودى .
والقلب الذى تجاوب بهذا المعنى مع قلب الإمام أحمد .. كان قلب الملك سعود .

وعلى ذكر القلوب يستوقفنا من البيان قوله عن التعاقد بين الإمامين عن
العصر لرفع مستوى الشعبين — وهى خطوة طيبة تحيىها لعروبة — أنها
« موافق حطت على صفحات القلوب » .

وأخطر ما فى البيان التعاقد بين الملكين :

« على دعم جوامعنا العربية ، وبزل المجهود مع العاملين على نشر

« السوم فى ربوع العالم » .. والذى يترجم الدعوة إلى السلام فى عالم ليوم
هو البانديت جواهر لال نهرو . فكل قصص السياسة السعودية بهذه العبارة
أن تفتح الباب إلى هذا التعاون بين الكتلتين العربية والآسيوية ؟

أدع لك الإجابة هذه المرة .

أما التكتل العربى فالبيان لا يهرب منه حتى الجانب الحربى بل يعدها أمراً مفروغاً منه ويصفه بقوله :

« ولا حاجة بنا أن نذكر أننا عازمون — بعون الله — على أن تنفذ بأمانة وإخلاص ، ما ارتبطنا به مع لشقيقات العربيات فى الضمان الجماعى عند حدوث أى اعتداء على أى من بلادنا العربية العزيزة والوقوف أمام كل تجاوز على استقلالنا ووحدتنا .. »

قد يقال إن اعتداء البريطانيين على الأراضى اليمنية فى العهد الأخير أغرى الإمام أحمد بهذا النص الحاسى .. وهو رأى مردود أولاً بأن هذا النص إنما تسعى السياسة السعودية إلى قيام مثله بينها وبين أصغر إمارة عربية .. ومردود ثانياً بأن التكتل العربى يرفض فى إياه أن ينظر بعين الاعتبار إلى الرابع من وراءه أو إلى الخاسر . لأنه إنما يهدف إلى تركيز الرمح كله فى العروبة نفسها .

وإذن فبيان الملكين الإمامين بلاع له وره وله خطره .. وله معانيه التى تربط بين « سياسة اليوم » و « سياسة العد » فى ميزان المملكة السعودية .

ومصر أيضاً :

ولعن من اخبر أن نحتتم البحث بكلمة عن مصر .. ولو أنى لا أحب أن أكثر الحديث عنها هنا . حتى لا أنهم أولاً نشرف التعصب لمصريتى — وتنزه البحث عن التعصب — ولأن الكتاب ثانياً إنما يزن المملكة السعودية ولا يزن مصر .

إنما احتتم البحث بكلمة عن مصر .. لأنى أكتب هذه الكلمة ومصر تستمع إلى حصتين سيادة رئيس الجمهورية وسيادة رئيس الوزارة .

أشهد أنى تأثرت كثيراً وأما أطلع لرئيس الجمهورية قوله :

« ولست مكانة مصر بين البلاد العربية إلا تكليفاً لم تسع إليه وإنما فرضها

عليها موقعها الجغرافي وورثها بلاد العرب شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً ..
وهذا هو الحق . وزعامتنا ليست إلا تكليفاً ، لم نسع إليه قط ..
إنما فرض علينا فرضاً .. وموقعنا الجغرافي الذي يربط بلاد العرب .
هو نبيه المؤدى إلى الهدى .. وإلى بلاد لكتنة الآسيوية .. فبدأت
ريجات في قصة تحفاتها الأربعة لقديمة يوم بادئ السلطان قزاد ملكاً ..
قد جعلت تأمين طرق المواصلات إلى الهدى تحفها منها .. أف تكون أولى
منها ببعض السواجد على هذا الطريق .. الذي رسمه الموقع الجغرافي
الذي يتحدث عنه رئيس الجمهورية المصرية ؟

أما رئيس الوزارة المصرية فقد كان في خطه أكثر تحديداً .. للبحث
الذي سيجري به .. فقد أعرب عن إعاضد حكومته ، أعطى الاعتدال
لما رآه من توثيق لعلاقات بين العرب وابق أعزاء لكتنة الآسيوية الأفريقية
وطراد سماح هذه لكتنه . وظهر آثارها في ايجاد اسول ولا يستطيع
مصنف أن يسكر أن هذه لكتنة الآسيوية الأفريقية عمل كبير من عوامل
الاستقرار وعصر حثير من عناصر السلام الدولي ..

لا أريد أن أريد يا صاحبي .. فهل تريد أنت مريندا ؟

كلا ؟ ولا أنا .. فستقن .

الفصل السابع عشر

التعاون بين دول الشرق جميعاً

وانتبك بك أخيراً إلى التعاون بين الشرق كله .. لأنفس يدي من الحديث كله .

تقول إنك تشعر بشيء وراء هذه لعجة .. ؟

وأنا أيضاً يا صاحبي أشعر بها وأعرف سببها .. إنني أتعهد الانتقال السريع بك لأنني اكتشفت بعد أن فاجأتني الاتفاق على الهدنة في الهدنة الصينية في الساعة التي أتحدث خلالها إليك .. أن الحلقات أمست موصولة بين الكتلتين الثلاث .. وأن الذي يستطيع أن يقيم التعاون بين الكتلتين العربية والآسيوية يستطيع أن يوسع رقعة الأمل .. وأن يفسح لبصر في مرصده .. ليرى الشرق من أدناه إلى أقصاه كتلة واحدة محايدة .. تدعو للسلام الذي يدعوه له نهرو ويتمناه بنشر جميعاً .. بل في وسعي في هذه الحاجة أن أتخلى عن بقية الحديث وأن أتحيز التعاون بين دول الشرق كله أمراً واقعاً محتوماً نتيجة للتعاون بين الكتلتين العربية والآسيوية .

وفي الحديث الفات لم يكن في وسعي أن أتحدث إليك مثلاً على الصين .. وفيها وحدها مافي القارات من سكان .. لأن الصين ليست عضواً في هيئة الأمم حتى الآن .. والكتلة الآسيوية التي طهر تعاونها معاً على المسرح الدولي كلها أعضاء في الهيئة .

أما اليوم وقد وصعت الحرب أوزارها في الهدنة الصينية .. فإن الوضع يتغير ويستأهل حديثاً جديداً وهذا الحديث الجديد مؤد بنا حتماً — وأكاد أراه تلقائياً — إلى البحث في التعاون الشامل بين دول الشرق جميعاً .

خذ هذه النصير

ولا إنكار أنها أمت دولة حرة ..

ولكن . البر حملهما أن تذكر حديثاً لي في هصلي الفائت قلت لك فيه إن السياسة العودية ترى أن تفيد من المعسكر الشرقي تأييداً سياسياً أو تحريرياً أو تسليحاً .. كما تفيد من المعسكر الأمريكى علماً وصناعة وخبرة ومالا .. ؟

الآن تأمل هدى التنازع يا صاحبي .. روسيا كمعسكر شرقي له أهدافه (ولا تعينا هذه الأهداف) بثفت نصير . والنصير أحدث على عاتقها (لبب أو لآخر) أن تظهر أرض الهدد الصينية من المستعمر فأشعنت نار الثورة فيها وزودت ثوار فيتنام بالأسلحة .

فاذا كانت النتيجة ؟

كانت النتيجة أن حرت فرنسا المستعمرة من عليه كبرياتها جائية على ركنها . ووقعت الهدنة . وأعلن دولياً لامحة منها — استقلال كامبوديا ولاوس وسحب جميع القوات الأجنبية مهما والنزاعها الحياتيين الكتلتين الشرقية والعربية وكذلك تحررت فندم على أن يجري فيها انتخابات مسببة تمهيداً لتوحيدها .

وماذا تعني هذه النتيجة ؟

نعني أولاً أن الاستعمار الفرنسي — وبين العرونة وبينه ثار — قد دكت اليوم معقله في آسيا .. إيداناً باندكاكه عما قريب في شمال أفريقيا بن في كل أفريقيا .. وجراء عادلاً لامة حانت ثورتها الكبرى وشعارها المثلث حررت مصها لتدل الآخرين

وتعني النتيجة ثانياً أن هذه الهدنة الدولية حررت كامبوديا ولاوس تحريراً تاماً وردت عليهما استقلالهما كاملاً .. ثم نتحتم على روسيا أن تدس

مسوح أبطال التحرير - صادقة أو غير صادقة - فتارك هذا الاستقلال .
وتوافق هي ولصين - راصيتين أو كارهتين - على أن تلزم كامبوديا
ولاوس جانب الحياد التام بين الكتلتين الشرقية (روسيا والصين ..)
والعربية (أمريكا والمجملات ..) .

وهذا الحياد التام هو الذى تحلم به الكتلتان العربية والآسيوية ..
وهو الذى تحلم به الدولتان السعودية وأمصرية .. وهو الذى يحلم به
نهر ورجل السلام .

أحرز السلام .. إذن نصراً جديداً كما قال بحق راديو موسكو .
وأحى المعسكران رأسهما لهذا الانتصار .. واستفادت الهند الصينية من
المعسكر لشرق .. وهذه هي السياسة التى تزو إلى النسيج على متوالها بمكة
سعود .. وهى تزو إلى التعاون مع الكتلة الآسيوية أو مع دول
الشرق كله .

وفى رأى بعض المتفائلين من المستشارين السعوديين أن التعاون بين
دول الشرق ليس متعذراً .. وليس لزماً أن يولد كبيراً .. وأن يسط من
مولده ذراعاً على المحيط الأطلسى وذراعاً على المحيط الهادى .. وإنما يدرس
دراسة عميقة واعية على أساس إمكانات واقعية .. وعلى خريطة الشرق ..
وطرود دوله .

ويرى السعوديون أن الهند الصينية وباكستان وبورما وسيلان يمكن
الآن إلحاقها بركب الحياد الداعى إلى السلام .. (داخل إطار من التحفظ
أو التحوط) .

ويلاحظ السعوديون أن الإمبراطور هيتلر سلاسى صرح أخيراً وبعد
وبرغم - جولته فى أمريكا أنه منضم إلى الكتلة الأفريقية الآسيوية
معتزها ولا يفكر أبدأ فى الانضمام إلى أى حلف آخر خلف تركيا -
باكستان .

وإذن فأنثوييا تمشي في الرك .. صادقة أو مجاملة .. وواجبنا أن نفتح لها الدراعين تأهيلاً ورحباً .

نسأل ما الذي يتبقى لكي يتكفل الشرق كله ويعمل حياده فيتواري الاستعمار ويستقر السلام ؟ يتبقى أن نعد إلى جانب حملة الحياض الظاهرة المشروعة .. حملة خفية .. من براميل لا حصر لها من الریت .. لنتلقى بها في كل مكان يوجد به مستعمر .. ونؤجج به النار في كل مكان يوجد به نائر .. في كينيا والمستعمرات الإبحيرية والعربية والبلجيكية .. وفي تونس ومراكش والجزائر .. حتى تشب النار في وقت واحد ضد الاستعمار في جميع الأجزاء فلا تقوى آلائهم على الإطفاء .. ولا يعملون لتناول المطبوعين فرادى . لسكلواهم كما يفعل السماح أرسكين في كينيا .. وتظل الكتلتان العربية والآسيوية ملترمتين رسمياً جانب الحياض الداعي إلى السلام . لتظل الثورات فردية بأسماء الثوار .. وتظل دول السلام تعذيبهم من وراء ستار .. وتدعو إلى السلام أمام الستار .. وحتى لا يتحد المستعمر من حماية الدول المحايدة للثوار دربعة لأعصار الثورات حروباً .. فتنتسبها إلى المبادئ ويستل لنا جيوش وتشتعل الحرب ونحن في حقيقة أهدافنا دعاة حيدة وأنصار سلام .

يرى لسعوديون أن هذه الآمية الصحيحة — آمية التكتل بين اشرق كله — ليست آمية حيالية .. وتحقيقها لم يعد بعيد المآل . وأن دراستهم لهذه الآمية غير صارة إذا لم تنفع .. بن هي حتما ستوقظ أقواما طال نومهم .. وستحرك قلوباً ظال فجمدها .. وستورث أهل القارتين حرارة وكرامة .. بعد أن تجمدت أضراسهم من برودة الهواء .

نقول أنه المستعمر لن يقف مكتوف اليدين ؟

المسكة السعودية تعرف بإبداهة هذه الحقيقة .. وتطلب إليك أن تعود إلى ما قلناه لك وأنت نسأل عما يستصعب المعسكران أن يصعاه ما ؟ لن يقف

المستعمر مكتوف اليدين أبداً .. وصعوبة التكتل نابعة أصلاً من الخوف من ألاعب هذا المستعمر .. والسياسة البعيدة المدى لا تقيم أى حساب للصعاب التى تعترض الآن « سياسة اليوم » .. إننا نتحدث مثلاً عن مصر كزعيمية قادرة .. ونتحدث عن مصر والسودان كوحدة حرة .. ونتحدث عن المملكة السعودية كدولة مستقرة .. فهل يعرف هذا الحديث أو يشكك فى سلامته .. وجود محتلين فى رقعة من مصر أو فى أرض السودان .. أو وقوع اعتداء منهم على واحة البوريمى ؟

لا يعرب عن بالك أن تكتل الشرق هو ما أسميناه (سياسة ما بعد العد)

من برسى :

تقول إن لديك سؤالاً أخيراً .. ؟ هاته ..

مالها ليبيا ؟ هى الأخرى سافر بعض مسئولها إلى تركيا .. فلماذا ؟

لا تنعب نفسك يا أخى .. إننى أعرف ما هو أخطر .. أن حلف تركيا الباكستان .. أحيط بإرهاصات كثار .. وقيل إن معبراً لا بد أن يقيمه المعسكر الغربى من إيران وباكستان والعراق وتركيا لتقيم منه خط دفاع عن الشرق الأوسط ضد الخطر الأحمر إذا رفضت مصر الاشتراك فى هذا الدفاع . ولكنى رأيت قد لا أعدو الحق إن قلت لك إنى استخلصته من دراساتى للسياسة السعودية واتجاهاتها .

رأيت أن ما تحاله شراً قد يعدو خيراً كثيراً .

وجامعة الدول العربية أيد (إيدن) قيامها ليضلل بها وعى العروبة عن كفاحها الشعبى المشر وليركز كل انفعالات الأحرار والثوار .. فى أيد رسمية رحيمة تنفق عمر الجامعة فى حفلات تنفض وحفلات تقام .. ومع ذلك استطعنا أن نمكر بالكاتبين (إيدن) أكثر مما استطاع أن يمكر بنا .. وخطقا من جامعة الدول العربية .. منظمة أقليلية ذات شأن .. وأمسى فى

وسعد . أن تصح لها مكاناً دولياً إلى جانب هيئة الأمم فمن يدريك إذا صح أن أمريكا تعد هذا الوعد وتغري ليبيا بتركيا وتغري العراق بباكستان وتغري الباكستان بتركيا وتغري هيللا سلاسى بالدولار الأمريكي .. من يدريك إذا لم تخرج دول أفريقيا وآسيا وراء الشطارة الأمريكية .. نكتة أمريكية أميوية ذات عم ومال .. وأسلحة وذخيرة .. ورعاية عالمية تسترد من العرب زمام الحضارة وتقلب على رأس ايزنهاور فيما يستهدفه الآن نفس الإبناء الذي قتلته العروبة على رأس (إيدن) .. كل ما يعورنا في هذا الشرع أن ينصل الأحرار بالأحرار .. وأن يتعاون الأحرار مع الأحرار . يجب أن نذكر حقيقة أسية لأنها طبيعية وجغرافية وإسائية .. الحقيقة التي تقول إن كل الروابط التي تربطنا اليوم بالبحر الأبيض المتوسط وأمريكا وروسيا .. صنعها كما قلت قدام المستعمر ولم تصنعها يد الله .. ولا صفة ساهم .. لا حبساً ولا ديناً ولا جواراً ولا تحوماً .. ولا لغة ولا لوناً .

أما يد الله فهي التي ربطت بين دول العروبة بروابط اسعة والجيرة والجنس وبرابطة الدين في الأعم الأغلب . هؤلاء الذين يؤلفون قرابة الحسين مديونا وتصيف إليهم ثلاثين من الملايين في شمال أفريقيا بل يؤيدهم خمسمائة مليون من المسلمين في أرجاء الأرض .. تمشى الأخوة بينهم مع الدم في عروقهم وتتردد مع الهواء في أعينهم .

والبلاد السعودية رعيمة المسلمين الروحياً تعرف خطر هذه الروابط وتريد أن يعرف الأخوة هذا الخطر .. وتريد أن تهض مصر بالمهمة المهمة على عاتقها في هذه الساعة .

ومصر تعرف هذه الحقائق وتقدر هذا الوضع وتدرك أنها بلد أفريقي وآسيوي في وقت واحد .. أفريقي لأنه (مع السودان) يشعل أكر رقعة في القارة الأفريقية مساحة وسكناً وثقافة وعمرانياً .. وآسيوي بوصفه آجر . لا يتجرأ من دول العروبة . وكلها أميوية تتاحم بمحدوداتها حدود الباكستان

وليران والأفندي والهد . ومن ها تآلف الشبكة التي تربط بينها الأحوة
بمختلف أنواع الروابط .. ومن ها يحى . الربط طبيعياً بين الكتلة الأفريقية
ولكتة الآسيوية . ومن ها تحار تنقياً - إلى أى الكتلتين - البلاد
الأخرى الباقية من رقعة الشرق كله .

علك لاحظت يا صاحبي أن أسباب الود اتصت في السوات الأخيرة
بين إسبانيا ودول لغروية ورار مصر اليد أرتاحو ودير حارجيتها ..
وتبادل الكراسى الجامعية يساويها . واثرتا دكريات إسبانيا لفحورة
بتاريخ الأندلس ..

هذه القصة تلاحظ البلاد لسعودية أن مصر الأفريقية الآسيوية تستطيع
أن تغدو مصر الأوروبية وهي تعالجها .. أليست مصر من البلاد الواقعة
على شاطئ البحر الأبيض المتوسط وهي هذه الصفة أحت للبلاد لى اتحدت
من هذا لشاطئ . أنا لها .. وهي هذه الصفة تستطيع أن ترى أن كل لبلاد
ما بين تركيا وإسبانيا أرسعتهم لطبيعة من مياه هذا البحر .. ميولا
وطماعاً . وعقلية ومراحاً .. حتى اليونان الرابضة على الشاطئ الأوروبي
تجه لشاطئ الأفريقى .. ألم تكن أحتاً لمصر واسة فى الحصار بين المرعوية
والاعريقية ؟

رعاة مصر إذن كفيفة بأن تضى من روحها على هذه الشواطئ . وأن
تدخر للشرق منها كثيراً من العواطف .

لفرصة إذن للتكتل الشرق سائحة .. ولا ترتفب إلا أن يلتقى الأحرار
فى هذه الدولة بالأحرار فى تلك .. والمملكة السعودية ترى أن هذه الآوة
التي يهتر ميران السلام حلالها فى يد الصدر هى خير فرصة يمكن للعمل اجاد
فيها أن يشر .

ومصر تؤيد هذا الرأى .. ولكها تتمهل حتى تفرع من اتصالها

البلاد العربية .. وتوحد الجهود المشودة في كل بلد عربي . وحتى تفرع
سوريا من انتحاياتها النيابية وحتى يجتمع الملوك والرؤساء للتفاهم .. ومصر
في هذا التمهل تذكر دائماً كلمة ابرهام لنكولن (إن الوطن المنقسم على نفسه
لا يقف على قدميه أبداً ولا أعتمد في قيام حكومة لبلد بصفه أحرار
وصفه عيد) .

الفصل الثامن عشر خاتمة

يا أمي الأدهم :

طوفت بك ما طوفت .. وحلقت بك في أطواء الجو .. وغزت بك
عباب البحر .. ولارمتك كالطر في الدو والحضر .. وأتعبت معي صاحبي
الشيخ .. لا لأفصل بين الفداق في أم القرى وشرب .. ولا لأحدثك عن
الخادم اسباني والسائق التركي .. وإنما لأطلع بك على جناحي في القصة .. إلى
لباب الكتاب .. في بابه الثاني . عن الوحدة العربية .. وعن الجامعة
الإسلامية . وعن الكتلة الشرقية .. في ميران المملكة السعودية .. ثم عن
إلمملكة ذاتها في ميزاني .

وعمر يا أمي : إذا كنت قد وفيت لك بما وعدتك به .. وأسرفت في هذا
الوفاء .. فلم أتحل عن الأسلوب القصصي في كل فصول الكتاب ..

ههنا يا أمي . إذا كان قد هالي — ككاتب — أن تلك الرلي التي جمع
اليها جن اسكتاب في السنوات الأخيرة ليجتذبوك إلى نتائجهم .. فتملقوا
فيك غريرة الإستعلاء على البحث والدراسة .. ورغبتك المتوطنة ، في
الاسترخاء والراحة .. فعبروا بك الحوث عبراً .. وقطعوا بك أوسع
المحيطات سبجاً .. ليجنبوك أصغر الفوات غوصاً ..

عزراً يا أمي : إن كنت قد لاحظت أنهم بهذا التحايل غير الربيع . قد
نشأوك على الفور من كل بحث ربيع .. وحيبوا إليك الشكل دون الموضوع
وأعروك حتى في مصاري العلم وساحة السياسة بالأسلوب الوليسى الخاطف ..

وزينوا في طريقك حادث طالب يدخ طالاً .. فلهوت به عن أرسكين السباح
وهو يدخ في كل يوم قطعاً من الشر .. ولهوت به عن الاستعمار الفرنسي
يوم كان يعرض سموت في دكة النهر الأحمر مئات الآلاف من أساء
الستقال والمغرب .

عندما يا أمهي : إذا كنت من صحتي قد لاحظت في أسي .. هذه ظاهرة
المؤسفة . فلجأت إلى من القصة أعربه بك وأستعين به .. لا لأدعوك إلى
إيثار محمد علي فدين . ولا لأرحوك الاستنماع مع سمرة الهدية الحساء
في ردهات ، لتبير ، . إنما ذكرت كل ما ذكرت . وذكرت الهدية
لسراة في العمق . وذكرت المصيبة الإنجليزية في لصائرة .. لأنسرب بك
في طلال الميول التي عرسوها فبك إلى أن تقف معي - من غير أن تشعر -
وقفة ناحت لسبب عن عدة مصائر . مصير شرقها المهيمن .. ومصير حمها
المهدد . ومصير عرونها المصقلة . ومصير شرقها المستبعد .

عندما يا أمهي إن كنت قد استدرجتك بالرحلة مدحلاً .. وبالقصة أسلوباً ..
حتى دفعت بك في رفق إلى عمارة السياسة .. ومخطفة الشرق الأوسط الحساسة ..
لترى ما يريده المستعمر من وراء الدس لـ وتفريق بسا . وتري ما يريده
نحن من وراء الدعوة إلى وحدت .. وعن وراء التشيير بكتلتنا الشرقية .
ولتري ما ترمى إليه مملكة السعوديين وما يرمى إليه الملك .. من أهداف في
هذا المعترك .

والآن . وأنت تفحص يدك مني .. هل تستطيع أن تقول عني أنني مدحت
ملك لسعوديين كما يمدح الكتاب الملوك ؟ وهل تستطيع أن تقول عني أنني
مدحت بباديت نهر وعلى بعد ما يسا من بحار ومحيطات .. واختلاف في
الأجاس والأديان واللغات ؟

وهل تستطيع أن تقول عني أنني مدحت أصحاب السلطان في مصر

بالطريقة التي تخرجني عن شرف البحث أو مهمة الباحث ؟
قل ما شئت يا أحمى .

أما أنا فعد أملك إله أنه أقول شيئاً واحداً .. أملك أنه أقول لك يا أحمى
ورأسى مرفوع دائماً الى فوق .. انى أدبت لك داعي في حدود مواهبي .

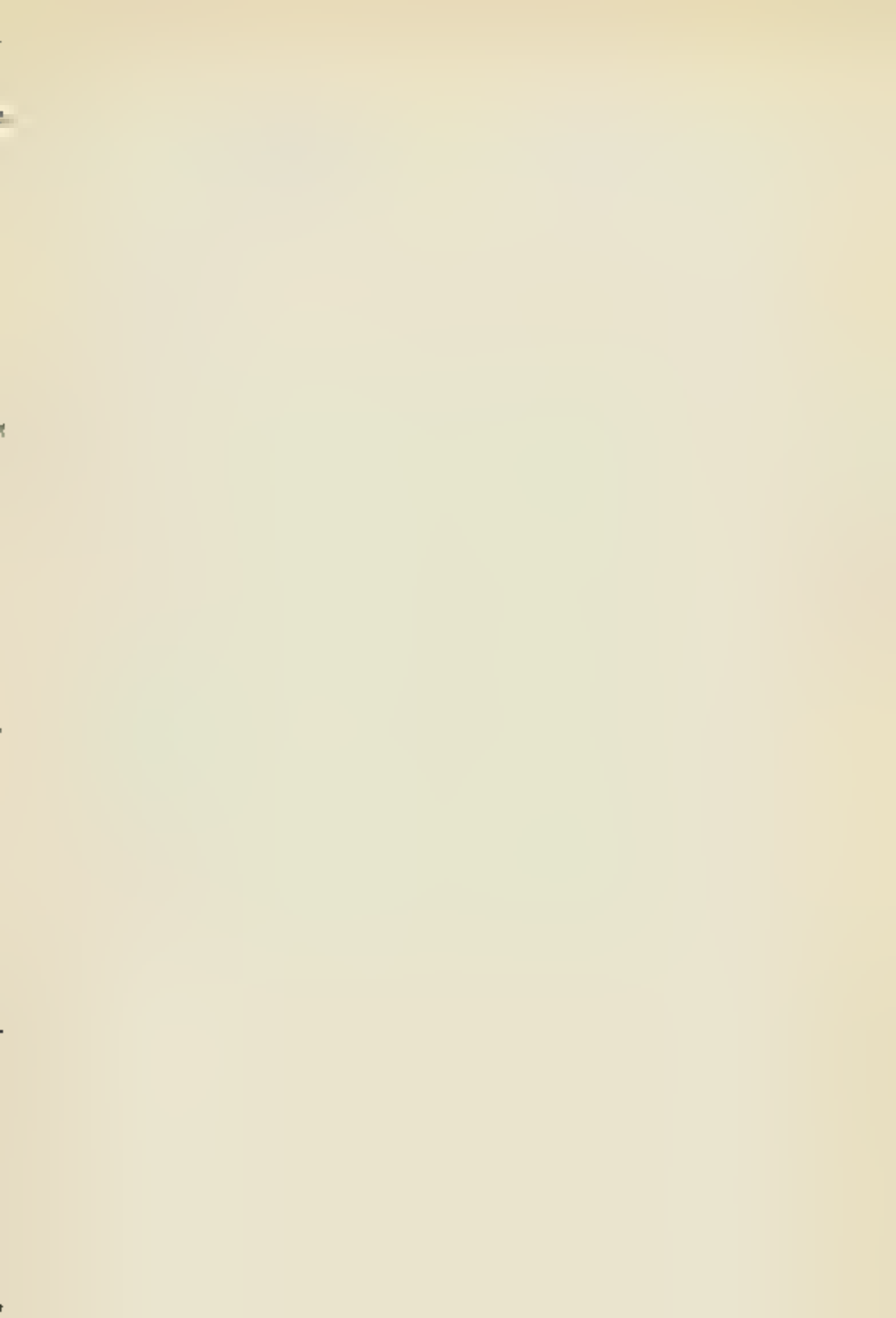
• • •

وأخيراً قد نرى أن هذه « الخاتمة » كان يجمل بها أن تكون « مقدمة »
وأنا أقر هذا الرأي .. بالقلب والقلم .. ولكن هكذا قضى فن القصة .

فخرها إله شئت « مفرمة » . أو غلغها — إله شئت — « غائمة »

والله مع .. فما أعرف في الشعر أصدى من قول شوقي : « كلما في
الهم شرق »

محمد السوادى



مجرى التاريخ

في آخر لحظة من عمر الطباعة في هذا الكتاب . .

وعند انتهاء عمال المطبعة من صف حروف ، الخاتمة . .

وفي الساعة العاشرة من مساء الثلاثاء السابع والعشرين من دى القعدة

ومن يوليو معاً . . استمع أبناء مصر والشرق البيان الرسمي المشترك التالى

من محطة الإذاعة المصرية .

« وقع رئيسى وزراء مصر ووزير حرية المملكة المتحدة اليوم

بالقاهرة ، بالأحرف الأولى من أسمائهما ، الخطوط الرئيسية لاتفاق

الذى يتضمن المبادئ التى يقترح إقرارها اتفاق على أساسها ، فخاص بقاعدة

قناة السويس .

وقد أقر رئيس الوزراء والوزير البريطانى ، بالنيابة عن

حكومتهما ، عن إيمانهما بأنه هذا الاتفاق سوف يساعد بعد إزالة أسباب

الخصم والاشك ، على الطراد الحسن فى العلاقات بين بلديهما ويعتانه

أنه ليس لاتفاق أى غرضه عدوانى ، بل على النقيض من ذلك يعتقدانه

أنه الترتيبات التى تناولها البحث . . والتى تضمنها الخطوط الرئيسية ،

ستفضى إلى المحافظة على السلم والأمن وهما هدف الحكومتين » :

وكل مرجوى . . وقد بدأ مجرى التاريخ المصرى يتحول . . أن يكون

هذا التحول موضوعاً لكتابى السياسى التالى .

محمد السوادى

قادة الرأي

يبدون آراءهم

عندما أصدرنا كتابنا الأول (البرلمان في الميران) تفصل كثير من الكتاب والأدباء والشعراء وقادة الرأي مشكورين بإبداء آرائهم في الكاتب والكتاب .

وقد رأينا - أسوة بما يجري عليه العرف في بعض المؤتمرات الأوروبية - أن نثبت هنا مقتطفات من هذه الآراء .

(١)

طه حسين (عميد الأدب)

« ... وبنيت أحسن أن من الحق على ، أن أشكر لك هذه الساعة الحلوة التي قضيتها معك ، وأن أحمّد اعتدالك في الرأي ، وحسن قدرك للأمور ، وظرفك في التعبير عما تريد وعما نريد نحن أيضاً ، وأحمّد لك - نوع خاص - هذه السباحة في الطبع التي عصمتك من التكلف الغيبي ، وأنت الكلفة بينك وبين قارئك ، أو ألفتها بينك وبينى على أقل تقدير . »

(٢)

توفيق الحكيم (القصص الفسّاد) .

« لم يبق شك في أن كاتب هذا الكتاب ، قد أعطى هبة سما . »

(٣)

فكري أبانك (الصحفي الكبير) .

« هذه الكفاية السكولوجية في التحليل هبة بل تكاد تكون إلهاماً .. والكتاب لا يوصف ولكنه يقرأ ويلتهم . »

(٤)

المهموم على محمود طه (الشاعر الملهم) :

• هذا الكتاب جديد في موضوعه ، جديد في أسلوبه ، وفي الطريقة التي تناول بها مؤلفه فترة من حياتنا البرلمانية وليس القلم الذي جرى في صحائفه سوى ريشة فان قاهر ومصور بارع ،

(٥)

محمد نجيب الزملي (وزير التربية والتعليم بمصر)

• أهديت إلى قرائك تحفة نفيسة حقاً .. تمتع العقل والحس والذوق جميعاً . عني أسلوبك اليسير الحلاب وفي نقدك الباعد الأخاذ .. وفي هذا العرض الخبز الرائع . متاع يسع به القارىء في غير جهد ولا مشقة عني كثرة ما بذلت من الجهد وما احتملت من المشقة ،

(٦)

محمد لقبانى (مدير رقابة النشر بمصر)

• و أول كتاباً أقيم له تمثال إحتفاء بظهوره وتخليداً بحده وتوحيماً بإسم واضعه لشيد (للبرلمان في الميران) تمثال ، .

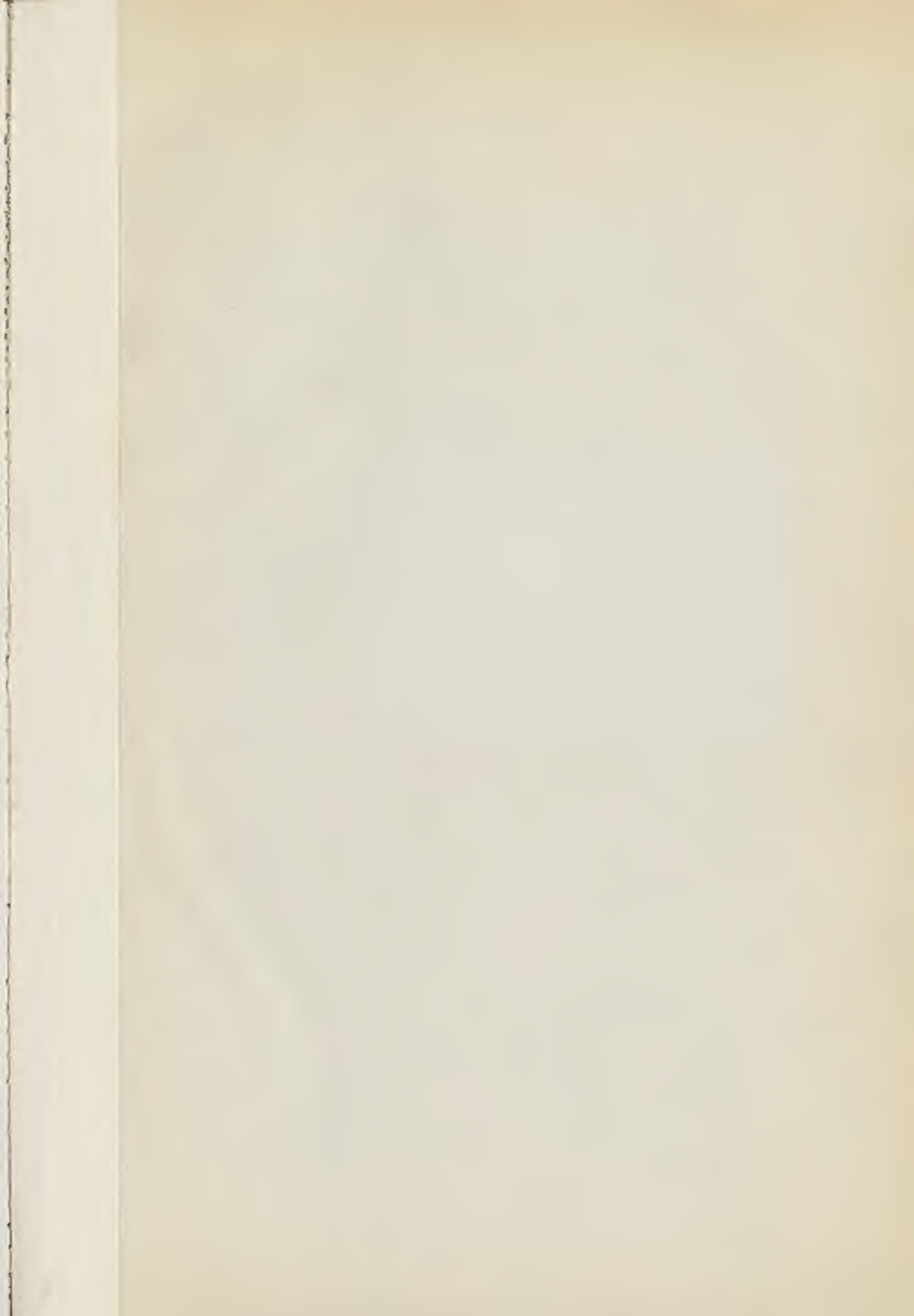
(٧)

هورنال ريمبيث

• في اعتمادنا أن هذا أول مؤلف من نوعه صدر باللغة العربية .

رسم خريطة الغلاف : الفنان محمود المصرى

يطلب هذا الكتاب من المكتبات في مصر وجميع الملاد
العربية . ومن مؤلفه (دار السوادى ٣٣ شارع جامع لإسماعيلي بالمالية
بالقاهرة تليفون ٢٦٠٠٩) .



LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

Princeton University Library



32101 074326503